الفقه

آية الله العظمى

السيد محمد الحسيني الشيرازي

دام ظله

كتاب الاجتماع

دار العلوم

بيروت - لبنان

الشيرازي

الفقه

١٠٩

الاجتماع

دار العلوم

الإجتماع

الإجتماع

آية الله العظمى
السيّد محمّد الشيرازي
دام ظله

دار العلوم
للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة السادسة
١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م
منقحة ومصححة مع تخريج المصادر

دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع
العنوان: حارة حريك - بئر العبد - مقابل البنك اللبناني الفرنسي
بيروت - لبنان ص.ب ١٣/٦٠٨٠ شوران - تلفون: ٨٢١٢٧٤

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلقه سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

المقـــدّمـــة

أ ـ الانسان نفس وبدن وروح ، وقـد ذكر القرآن الحكيم النفس و جعلها محتملـة الامرين ، مثل قولـه سبحانـه : « و نفس وماسواها فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها» (١) .

وقد ذكر البدن بطور حيادى كأنه لاشأن له ، مثل قوله سبحانـه : «فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين » (٢) .

وذكر الروح باعظام كالاية الانفة وغيرها، فكأن البدن سفل، والروح علو ، والنفس بينهما ان مالت الى الاعلى كانت مع العليين ، وان مالت الى الاسفل كانت في سجين .

و النفس يحيط بها البدن ، والبدن في الاجتماع ، ويحيط بـه المدينة و نحوها ، وحولها المحيط الطبيعي ، والنـفس قادرة على اصلاح نفسها ، ثم بدنها، ثم الاجتماع، ثم المحيط الاصطناعي ، ثم المحيط الطبيعي ، كما ان النفس قادرة على تخريـب الكل ، والمجتـمـع انما يتولد من نقطـة البدء ، فاللازم في علم الاجتماع، ان نشرع من هنا، ونبني الهيكل الاجتماعي الصحيح من النفس النقية النظيفة، و [أفلح] و [خاب] في الاية الكريمة ليسا للاخرة

---

(١) سورة الشمس آية ٧ .

(٢) سورة الحجر آية ٢٩ .

فحسب ، وانما للدنيا أيضاً ، فانه وان كان مطرح نظر القرآن الحكيم الاخرة فان الدار الاخرة هي الحيوان ، لكنه ينظر الى الدنيا كقنطرة، ولذا ورد في القرآن الحكيم : « وابتغ فيما أتاك الله الدار الاخرة ، ولاتنس نصيبك من الدنيا » .(١)

كيفية اعادة المجتمع الاسلامي

ب ـ وحيث ان الاجتماع الاسلامي لألف مليون مسلم قد تحطم ، بل قد تحطم الاجتماع البشري كله ، حيث استبد بالعالم قيادات غير رشيدة ، فاللازم ان نتحرى أفضل السبل لاعادة الاجتماع الصحيح ، لابالنسبة الى المسلمين فقط، بل بالنسبة الى البشرية جمعاء .

قال سبحانه: « وما أرسلناك الا كافة للناس » .(٢)

وقال تعالى : « ومالكم لاتقاتلون في سبيل الله والمستضعفين » .(٣)

وهذه الاعادة تكون بالاسس الخمسة باذن الله تعالى، وهي :

١ - التنظيم الحديدي الذي يراعى فيه جانب التنظيم من ناحية ، و جانب الحرية من جانب آخر،حتى يكون التنظيم هيكلا استشارياً في العمل.

قال سبحانه: « من كل شيء موزون » .(٤)

وقال علي عليه السلام : (نظم أمركم) .(٥)

---

(١) سورة القصص آية ٧٧ .

(٢) سورة سبأ آية ٢٨ .

(٣) سورة النساء آية ٧٥ .

(٤) سورة الحجر آية ١٩ .

(٥) نهج البلاغة / صالح / ص ٤٢١ .

وقال سبحانه : « يضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم »[١].

٢ - التوعية الكاملة المناسبة للعصر، والتي تبدأ [بعد الايمان الرشيد] بالسياسة ، والاقتصاد ، والاجتماع، فقد ورد : (وساسة العباد) و : (من لا معاش له لامعاد له) و قال علي عليه السلام : (واجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك ، فأحبب لغيرك ماتحب لنفسك ، واكره له ماتكره لها، ولاتظلم كما لاتحب ان لاتظلم، وأحسن كما يحب ان يحسن اليك)[٢].

٣ - السلم ، فان السلام نبتة لاتقلعها العواصف ، قال سبحانه : « ادخلوا في السلم كافة »[٣] وشعار الاسلام السلام ، وحتى الدولة المرهوبة الجانب ، خير لها ان تحل كل مشاكلها بسلام ، لانـّه احمد عاقبة ، واهنأ مذاقاً ، والقوة وضعت لقصوي حالة الضرورة ، ولذا نرى شعار الانبياء عند دعوتهم السلام وقد روي عن المسيح عليه السلام : (احبوا أعدائكم) .

٤ - الجماهيرية ، فلا يكون التنظيم صنماً دون المبدأ ، وكل حركة اتخذت الصنمية انفصلت عن الجماهير، وبذلك تذوي وتذبل، وجزائها حينئذ ان لاتصل الى الهدف المنشود ، بينما ترى غيرها تقدمت في الميادين ، و أخذت الساحات ، التي كانت الحركة تأمل كسحها ، فالناس أما أخ لك في الدين أونظير لك في الخلق .

٥ - و يأتي أخيراً ، دور الاكتفاء الذاتي ، فكل محتاج الى غيره مقود

---

(١) سورة الأعراف آية ١٥٧ .

(٢) نهج البلاغة / صالح / ص ٣٩٧ .

(٣) سورة البقرة أيه ٢٠٨ .

لـه، وبذلك يفقد صفة القيادة .

قال الامام أميـر المؤمنين عليه السلام: (احتج الى من شئـت تكن أسيره ، و استغن عمن شئت تكن نظيره، وأحسن الى من شئت تكن أميره) .[١]

تجنب الاخطاء حين العمل

ج ـ ويلزم تجنب الاخطـاء التي كثيراً ماتقع فيها الجماعات العاملة ممـا يسبب وقوفها في منتصف الطريق، أوارتدادها القهقري .

١ ـ مثل الانتهازية بالاعمال النفعية ، التي لاتؤمـن بها الجماعة ، وانما لكسب القوة الوقتية، اذ بعد عمل أوعملين كهذه، تنكشف سوئـة الجماعة ، ومثل هذه الجماعة غير جديرة بالاعتماد، فينفض الناس من حولها، وكثيراً ماترى حزباً يعمل خمسين سنة أوأكثر ولا يكون الا كجمعية خيرية كبيرة، لها شعب وفروع وبينه وبين هدفه مسافة شاسعة، وليس ذلك الا لارتكابه مثل هذا الخطأ أوغيره .

٢ ـ أو عدم اطروحـة جديدة لهم ، بعد نقدهم الاطروحـة الموجودة المطبقة فيالساحة، فنظامهم الذي يأملون تطبيقه، فيه ابهام واجمال، من حيث الحريات ، أوالسياسة والاجتماع والاقتصاد، أومعاملة الاقليات، أونحو ذلك والناس لايتركون مـا جربوه الى شيء مجهول ، فعلى الجماعة التي تريـد التقدم والاشتهار، والسيطرة ،انيكون لها برنامج معلوم مفهوم، ويكون أفضل من البرنامج الموجود ، والاباء بالفشل .

٣ ـ أو توجس الناس منهم خيفة ، حيث لا سلام لهم مع الجماعات و

---

(١) شرح نهج ج/٢٠ رقم ٤ ص ٢٥٥ .

القوى التي في الساحة ، و بذلك يأخذون في هدمهم ، وتفريق الناس من حولهم، وقد ورد في الحديث: (لو وضع الرفق على شيء زانه، ولووضع عنه قط إلا شانه)[1] .

وفي الحديث: (ان جبرئيل عليه السلام، كلما نزل أمر الرسول صلى الله عليه وآله بمداراة الرجال . ..)[2] وهكذا يلزم على كل جماعة عاملة ان تدقق في الاخطاء التي وقعت فيها الجماعات الاخر ، فيتجنّبها و الاكان مصيرها الفشل ، كما كان مصير تلك الجماعات .

مراحل العمل

د ـ ثم انالطريق الى جمع كلمة المسلمين، وانقاذهم من براثن التخلف والذل ، بعيد المدى ، حيث ان الامراض قد استفحلت فيهم، وقد انطبق على جملة منهم، قوله سبحانه: « في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً »[3] هذا بالنسبة الى انقاذ المسلمين فحسب، فكيف بانقاذ غيرهم، من الذين سقطوا في انياب الطغاة ؟ اذاً ، فاللازم على الجماعة العاملة ان تخطط تخطيطاً سليماً ، لاجل الوصول الى الهدف، والتخطيط لابد وان يقسم الى مراحل ثلاث :

١ ـ المرحلة القصيرة المدة، بالتكوين والتنظيم بكل هدوء وحزم و تعقل ، كالنبتة تكوّن نفسها ـ باذن الله تعالى ـ تحت التراب ، فتمتص من

---

(١) وسائل الشيعة مجلد ٨ ص ٤٥٣ .

(٢) بحار الأنوارج/٢ ص ٦٩ .

(٣) سورة البقرة آية ١٠ .

الماء والنور والاملاح وغيرها حتى تتأهل، لان تكون نبتة تخرج برأسها الى السطح « كزرع اخرج شطائه » .[١]

٢ - المرحلة المتوسطة المدة ، وذلك بوضع الاسس الفكرية الصحيحة المتكاملة اللائقة المؤهلة، لان تكون بديلة عن الاوضاع السائدة، وهذه المرحلة متوسطة بين الاولى والاخيرة، حيث تهضم في نفسها المرحلة السابقة، وتكون كالفرخ الذي يخرج من البيضة ، وقد تقوى بالبيضة وجعلها قاعدة الانطلاق وهذه المرحلة تحمل اعباء المرحلة السابقة، من ناحية ، وتؤهل نفسها للمرحلة اللاحقة .

٣ - ثم يأتي دور المرحلة الاخيرة والنهائية بتجميع القوى والقدرات ، وتكوين الانصار والشمول والسعة، حتى تكون بالفعل بديلا عن النظام القائم وبذلك تكون الجماعة قد وصلت الى هدفها المنشود ، وتمكّنت من اقامة حكم الله في الارض ، بما لامثيل له ، لامن حيث الحرية ، ولا من حيث السلام ، ولامن حيث الرفاه .

الميزانية الدقيقة

هو كما نشاهد في عالم الصناعات وجود الميزانية الدقيقة للاخذ والعطاء فاذا زادت الكهرباء مثلا جعل الميزانية الضغط منخفضاً ، واذا قلت جعلته عالياً ، كل ذلك لحفظ التوازن المطلوب في المحل المجهز بالكهرباء ، كذلك يلزم ان تكون الجماعات العاملة ذات ميزانيات دقيقة ، تعرف كيف تأخذ الكر والفر مع الضغوط العالمية على البلاد الاسلامية، فاذا علا الضغط تخففه ، واذ

---

(١) سورة الفتح آية ٢٩ .

انخفض تأخذ بالسير للامام وهكذا ، وهذا الامر في الانسان يحتاج الى رؤية مستقبلية دقيقة ، بينما الماديات مثل الميزانية الكهربائية لاتحتاج الى ذلك .

ثم لايخفى ان ماذكرناه فيهذا الكتاب، كما ان ماذكرناه في كتابي[الفقه: الاقتصاد] و[الفقه : السياسة]كان حسب ماوصل اليه الفكرمما يستنبط من الادلة الاربعة مع أخذ الموضوعات من العرف ،حسب « ماأرسلنا من رسول الابلسان قومه »[1] و « نحن معاشر الانبياء امرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم »[2] ولعل الله سبحانه يقيّض جماعة من علماء المسلمين ليستنبطوا هذه المواضيع الثلاثة بالاضافة الى الكتب المعنية بهذه الشؤن من قبل،ليجد الطالب فيما يستخرجه من الاوفق بالحق منهابغيته ، والله المسؤل ان يوفقنا لاتباع مراضيه ، وهو الموفق المستعان .

---

(١) سورة ابراهيم آية ٤ .

(٢) بحار الأنوار ج/٢ ص ٦٩ .

المعرفة

(مسألة ـ ١ ـ) الانسان يتلاقى مـع المحيط الطبيعي أو الاجتماعـي أوالصناعي ، وقد أودع الله في الانسان ذخائر ، كما قال علي عليه السلام في حكمة بعث الانبياء :(ليثيروا لهم دفائن العقول)[١] وبهذا التلاقي تنعكس حالات المحيط الى داخله ، ممايسمى أول المعرفة .

وقد أودع الله في الانسان حب الاستطلاع ، ولذا نرى الطفل منذ صغره الباكر يهتم بالاشياء يأخذها ويقلبها ويتذوقها ويستمع اليها، ليعرف خصوصياتها وطعومها ، وأصواتها ، وملمسها ، وأحياناً يستشمها لمعرفة روائحها .

ثم هناك في داخل الانسان جهاز العقل، وهـو كالنبتة ، تنمو وتنمو ، فان شذب وهذب نمى نمواً مستقيماً والا نمى نمواً منحرفاً، وهذان: [الحس والعقل] يتعاونان ليكونا للانسان المعرفة ، ان قليلا أو كثيراً .

والثواب والعقاب في الدنيا والاخرة مرتبطان بالعقل، والافالمجنون يحسّ ولا يعاقب كما لايثاب ، لانه لاعقل له ، وفي الحديث : ان الله لما خلق العقل قال له : بك اثيب وبك اعاقب .[٢]

---

(١) نهج البلاغة /صالح/ ص ٤٣ .

(٢) العوالي : ج ٤ ص ٩٩ ح ١٤٢ .

ثم ان تلاقي الانسان والمحيط، يوجب تأثير احدهما في الاخر، فالمحيط بأقسامه الثلاثة يؤثر في الانسان، من طريق الحواس الخمس، ولذا كان المحكي عن ابن سيناء انه قال: (من فقد حساً فقد علماً) اى سلسلة من العلوم المرتبطة بتلك الحاسة كما ان الانسان يؤثر في المحيط تشذيباً وتهذيباً وتنظيماً واصلاحاً.

المعرفة صحيحة وخاطئة

والمعرفة الذهنية المستفادة من الحواس، والعقلية التي تتكون عند الانسان من داخله ليست صحيحة دائماً ولاباقية دائماً، بل أحياناً تكون اشتباهاً، كمن يرى ماء البحر أسود، أو الشيء الكبير – من البعيد – صغيراً، كما ان المعرفة أحياناً تتغير بأقسامها الثلاثة من الصحيح الى الغلط، وبالعكس، أو من الغلط الى الغلط ونادراً يمكن ان يكون من الصحيح الى الصحيح، باعتبار ان الصحيحين لهما جامع صحيح هما جزئياه، كما في قصة داود وسليمان عليهما السلام حيث كان أخذ صاحب البستان الاغنام لنفسه في قبال زرعه – حيث كانا بقيمة واحدة – وكان أخذها لاجل الاستفادة مدة استدراكه مقدار ما فسد من زرعه، ثم ردها، كلاهما صحيحاً، ولذا قال سبحانه: «وكلا آتينا حكماً وعلماً»[1] وان كان الثاني أفضل، ولذا قال تعالى: «ففهمناها سليمان»[2].

سير الحركة الفكرية

ثم ان المعرفة تبتدئ – صحيحة أو منحرفة – بالرؤية، حسية [والمراد بها أعم

(١) سورة الأنبياء آية ٧٩.

(٢) سورة الأنبياء آية ٧٩.

من الحواس الخمس] أوعقلية ، ثم تتحول الى الشك، وبعده الظن، ثم العاطفة وأخيراً العقيدة ، والمرتبة الرابعة (الا ما كانت في سلسلة العواطف) قد تكون مقرونة بالحقيقة ، وقدتكون مقرونة بالاحساس المجرد .

والدال ان كان لفظاً ، أوغير لفظ ، يرشدالى شيء آخر يسمى [مدلولا] و [مفهوماً] و[معنى] ـ باعتبارات ذكرناها في الاصول ـ وقد يسمى [مراداً] و [مقصوداً] وغير ذلك .

ثم ان جمع المعلومات تنتهي الى الاستنتاج ، بسبب الفكر ، وقد عرفه الحاج السبزواري بقوله :

والفكرحركة الى المبادى ومن مبادي الـى المراد

لكن الجزئي لايكون كاسباً ولامكتسباً ، وانما الكاسبة والمكسوبية ، انما تكونان بالكلية المنتزعة عن الجزئي ، وللكلية كذلك .

فان أقسام الحركة الفكرية أربعة : لانها أمـا من الجزئي أومن الكلي ، وكل أما الى الجزئى أو الى الكلي ، فان كان من الجزئي الى الجزئى كذلك سمي [تمثيلا] وان كان منه الى الكلي سمى [استقراءاً] وان كان من الكلي الى الكلي أوالى الجزئى سمي [قياساً] .

والانتقال من شيء الى شيء ، قديكون سريعاً وقديكون بطيئاً ، وقديتوقف الى الابد ، وقد يهيّي المقدمات انسان ، فيأتي انسان آخر ليأخذ النتيجة . . . والماديون ، حيث ينكرون ماوراء المادة، ينكرون انتكون المعرفة ماورائية لكن الثابت في علم الفلسفة وجود الماوراء ، ولذا فقد تكون المعرفة غيبية ، بمقدماتها ونتائجها ، وقدتكون كذلك باحداها .

ثم ان المعرفة تنقسم بانقسام الاحكام الخمسة : فهي بين واجبة : كمعرفة اصول الدين والاحكام الشرعية المبتلى بها ، وتعلم الصناعات كفاية ، ومحرمة :

مثل تعلم السحرو ماأشبه على الشرط المذكور في كتاب المكاسب ، ومستحبة كتعلم الاداب والاخلاق غير الواجبة منهما ، ومكروهة كتعلم النساء الكتابة وسورة يوسف في صورة احتمـال الخطر بمالايوجب الحرمة ، ومباحة هي مادون الاقسام الاربعة فتأمل .

العاطفة

(مسألة ـ ٢ ـ) ارتطام الاحساس بالذهن ، قد يتولد منه العاطفة الحسنةأو السيئة ، بينما الفكر المنطقي لايوجد هذا الشيء الانادراً، فانالانسان قد يرى فقيراً يتضورجوعاً ويرتعد من البرد ، فيأخذ طعام أطفاله ويعطيه له ، فان هذه العاطفة السيئة غالباًـ لانها طغتعلىالحقيقةـ انما وجدت لاجل ارتطامالحس بالذهن ، بينما اذاكان قيل له : ان هناك فقيراً ، ربمالم يقدم له حتى مايستحق فكيف بطعام واجبيالنفقة عليه؟ ولذا الانسان لايبكيغالباً لمأساةكربلاء وحده وانما يبكياذا سمعالخطيبينعي، معان المأساة موجودة فيذهنه.. وكذلك الحال في العاطفة الحسنة .

لكن نفس العاطفة قد تتحرك بدون الارتطام بالخارج ، وانما من مجرد التفكر، ولذا قديبكيأويضحك الانسان المنفرد،فيما لايواجه موجب الضحك أو البكاء خارجاً ، نعم انما تتحرك العاطفة منالحس أو الفكر ، اذاكان ما يراه أويفكرفيه من سلسلة محركات العواطف .

العواطف المتحجرة

وقد يوجد من لاتتحرك عاطفته ، وان واجهت مثل هذه السلسلة ، وهـو لايخلومن انحراف في خلقته ـ لاانحرافاً هوعلة تامة ، بلبقدر المقتضى ، اذ الانسان وان خلق أطواراً ، الاانهم معادن كمعادن الذهب والفضة ، بين خير

وأخير وحسن وأحسن ، لاسّيء وحسن ، فقد ثبت في اصول الدين ان الله لايخلق [مالاخير فيه ولاشر] ولا [ماشره يساوي خيره] ولا[ماشره يزيد على خيره] وانما يخلق الامرين الاخرين فقط ـ وانحراف الخلقة ، يمكن تعليله وسحبه الى الجادة المستقيمة ولو بقدر ـ .

أومن عدم انماءٍ لملكته ، فان الصفات النفسية ـ على الاغلب ـ كالعضلات الجسمية قابلة للنمو ـ كما ثبت في علم الاخلاق ـ فكما ان الانسان بالرياضة الجسدية يقوى وتتشد عضلاته وأعصابه ، كذلك الانسان بالرياضة الاخلاقية ، تتقوى ملكاته الحسنة ، وتزوى صفاته السيئة ، قال الشاعر: (ولن تستطيع الحلم حتى تحلما) . ولذا ورد مدح التباكي في الاخبار .

وحيث ان جمود العاطفة مذموم في الشريعة ، قال رسول الله ﷺ لذلك الشخص الذي قال لم اقبل أولادي: ماذا أفعل ان نزع الله الرحمة من قبلك!![1] ومن المعلوم ان المراد بنزع الله ، ماكان بسبب تـرك الانسان مقدماته ، مثل طبع الله، واضله الله ـ كما حقق في علم اصول الدين، في مبحث الجبر والاختيار ـ وورد في الدعاءِ الاستعاذة بالله ، من قلب لايخشع ، ومن عين لاتدمع .

ومن هـذا المنطلق ـ منطلق تأثر الانسان بالحواس في تحرك عاطفته ـ ذكر الانسان في القرآن الحكيم والسنة المطهرة، بالايات الكونية ، قال سبحانه «ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولى الالباب، الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، ويتفكرون في خلق السموات والارض ، ربنا ماخلقت هذا باطلا ، سبحانك فقنا عذاب النار» .[2]

---

(١) مسند الأمام أحمد بن حنبل ج/٦ ص ٥٦ سطر ١٤ ـ ١٥ .

(٢) سورة آل عمران آية ١٩١ .

مع وضوح ان الادلة المنطقية والاستدلالات العقلية كانت كافية في الدلالة والايصال .

ثم ان انماء العاطفة الموجب للعمل بالواجب واجب ـ لو قيل بوجوب مقدمة الواجب ـ مثل انماء العاطفة نحو واجب النفقة والارحام حتى يوجب القيام بشئونهم الواجبة والصلة الواجبة، وللعمل بالمحرم محرم ـ ان قيل بحرمة مقدمة الحرام ـ كانمائها لاجل الزنا وماأشبه، وانمائها لاجل المستحب والمكروه له حكمهما ، وما عدا ذلك مباح .

الحقائق ثابتة ومتغيرة

(مسألة ـ ٣ ـ) ان العالم منقسم الى حقائق ثابتة ومتغيرة ، فالثابتات ، أمثال الرياضيات، والكل أعظم من الجزء، وامتناع اجتماع وارتفاع النقيضين واحتياج كل معلول الى علة ، وحسن الاحسان ، وقبح الظلم ، والمتغيرات مثل تحول الزمان ، واللغات ، والاضافات ، والحالات .

فانه من غير المعقول ان تكون نتيجة ثلاثة في ثلاثة ـ ذات يوم ـ ثمانية ، أو عشرة .. وان يصبح جزء الشيء أعظم من كله ، وان يوجد زيد وعدمه في آن واحد، أو ان يوجد لازيد ولا لازيد، في آن واحد ـ بشرائط اجتماع النقيضين وارتفاعهما ـ .. وان يوجد شيء بلاعلة ، مثل : ان ترتفع كفه ميزان وتنخفض الاخرى بدون سبب اطلاقاً .. وان يكون رفع الظلم عن المظلوم قبيحاً ، او يكون ظلم الناس حسناً .

كما ان في المتغيرات من غير المعقول ، ان يجمد الزمان ، بأن لايكون للجسم بعد رابع ، وجرت العادة بتغير اللغات ، كما ان الانسان المنفرد قد يتزوج فيصبح زوجاً ، والرجل بلاولد ، قد يلد فيصبح أباً ، والطفل يتحول شاباً ، وهكذا .

وربما ينقسم الاشياء الى حقائق خارجية ، كالانسان والحيوان ، والى امور انتزاعية ، لامدخلية للاعتبار فيها ، فهي هي لاتتغير بتغير الاعتبار ، مثل:

زوجية الاربعة، والى امور اعتبارية تحتاج الى اعتبار المعتبر، مثل جعل الورقة مالا، فباعتباره تكون ذات مالية، كما ان بسبب الاعتبار تسقط عن الاعتبار.. وبذلك ظهر ان المعرفة قسمان ثابتة ومتغيرة.

أما جعل بعض علماء الاجتماع ـ تبعاً لبعض علماء الفلسفة ـ كل الامور متغيرة، كما ذكروه في منطق الديالكتيك ـ وتبعاً لذلك جعلوا المعرفة متغيرة ونسبية، بحجة ان المعرفة فرع المحيط والانسان وحيث ان كليهما في تغير وتحول دائم، فلابد وان تكون المعرفة متغيرة أيضاً، فذلك مما لم يقم عليه دليل، بل الدليل على خلافه، اذ يرد عليه:

١ ـ انالمعرفة قسم منها فرع المذكورين لاكل أقسامها ـ كما تقدم ـ.

٢ ـ ان جملة من الحقائق في الخارج لاتتغير.

٣ ـ النقض، بأنه لوكانت كل الحقائق في تغير والمعرفة تبع لها، فمن اين اثبتتم تلك الكلية، القائلة بأن [المعرفة تتغير] فاللازم بطلان أحد الامرين كما ذكروا في من قال: [كل اخباري كاذبة].

ومما تقدم ظهر، ان المعرفة قدتكون صحيحة، وقد تكون فاسدة، و احديهما لايمكن ن تنقلب الى الاخرى، فان المعرفة الصحيحة هي المطابقة للواقع، والفاسدة هي المخالفة له، ويقال للمعرفة الصحيحة [حق] باعتبار انالواقع يطابقها، و[صدق] باعتبار انهاتطابق الواقع .. أمااصطلاح الصحيح والاصح، والفاسد والافسد، فذلك باعتبار مجموع الاجزاء، فان طابق الكل كان أصح، والا كان صحيحاً، وان خالف الكل كان أفسد، والا كان فاسداًمثل الغذاءالصحيح الذي هوعبارة عما يلائم الصحة، وانكان يحرف الصحةبقدر غير ضار، مثل ايجابه بعض النعاس في غير مورده، بينما الاصح لايوجب

حتى مثل ذلك، وقد تقدم ان فتوى داود وسليمان كانت صحيحة بينما فتوى الثاني كانت أكثر استيعاباً للفصل، وكذلك الكلام في الفاسد والافسد .

لامدخلية للزمان في الحقائق

ثم ان الزمان بعد رابع للموجود الخارجي ـ كما ذهب اليه بعض لمحققين ـ وهو لاتأثير له على الموجود، بأن يجعله نسبياً، بل عامل يقع في مان، دون زمان، فلا تتغير الحقيقة بأن تكون نسبية، بل بتبدّل العوامل تبدل المسببات، كالطفل، والشاب، والهرم .. أما في مثل الرياضيات وما تقدم من سائر الامثلة، فلا عوامل متعددة حتى توجب التغيير .

وعلى كل فتوهم جماعة من الديالكتيكيين من علماء الاجتماع ان الحقيقة بدون الزمان وهم، لاأساس له من علم أومنطق .

أما قوله عليه السلام: [ان الليل والنهار يبليان كل جديد ويقربان كل بعيد] (١) فهو كناية محضة، بالاضافة انه لاربط له بكلام أولئك .

ولما كانت العلل والمعلولات لها نظام عام، مثل قاعدة: [طغيان القدرة بدون الايمان] . قال سبحانه : « ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى» (٢) ومثل: (ان السلاح والعلم والمال والكثرة قدرة) كان ماضي الزمان دائماً مرآة لمستقبله، مثلا يقال: التاريخ يعطينا انه كلما تجمعت القدرة في يد انسان [غير المعصوم] وشبهه، طغى في السابق، كان الحكم كذلك في اللاحق، ثم يقال ان البلد الفلاني قد أخذ يجمع القدرة، فلابد وانه يطغى، وطغيانه يسبب

---

(١) نهج البلاغة / صالح / ص ١٢٣ .
(٢) سورة العلق آية ٦ .

اضرار جيرانه، فاللازم تهيئه القدرة فيقباله، أوالحيلولة دون تجميعه القدرة ومن هنا أخذ المثل المعروف: (التاريخ يعيد نفسه) .

وقال علي عليه السلام: (فسر في ديارهم وانظر الى آثارهم) .[1]

(١) نهج البلاغة / صالح / ص ٣٩٢ .

المعرفــة علمية وفلسفية

(مسألة ـ ٤ ـ) المعرفة قديقال لها [علم] وقد يقال لها [فلسفة] وهي كلمة يونانية من [فيلاسوفا] أي محب الحكمة، وبينهما عموم مطلق، اذ كل فلسفة علم، وليس العكس، والفارق اصطلاحي ، فان الانسان قديكون بصدد معرفة موضوع واحد ينتهي الى غاية واحدة ، فيحصل ذلك ، وهذا مايسمى بالعلــم ، كما اذا صار بصدد الموضوع الذي هــو [بدن الانسان] ليعرف صحته وسقمه، وعلائم كل منهما، وعلاج سقمه ـ بمختلف أقسامه ـ ولذاكان موضوع كل علم هوالجامع لموضوعات مسائله ، كما ان محمول كل علم هو الجامع لمحمولات مسائله، وهذهالجملة الواحدة [اعتباراً] من المسائل تعطي معرفة الغايـة المتوخاة، وكذلك الكلام في علم التفسير ، والتاريخ، و النحو والبلاغة وغيرها .

أمـا الفلسفــة فهي عبارة عن المسائل التي تعطي المعلومات العامــة عن الحياة، والكون، والمبدء، والمعاد ، ولـذا قدتسمى بالمعرفة الكونية ، وليس ذلك خاصاً بطائفـة خاصــة من المعلومات ، مثل العلوم التي هي عبارة عن طائفة خاصة، ولذا يتكلم في الفلسفة عن الوجود والعدم، والمهية والجواهر والاعراض وغيرها، ولذا كان الفيلسوف في الزمان السابــق يسعى لاستيعاب العلوم ، ثم يسعى لاستخراج الفلسفة الموحدة من كل تلك .

أما في الحال الحاضر، حيث تكثرت العلوم تكثراً خارجاً عن استيعاب الانسان لم يبق للفيلسوف الا ان يعرف العموميات .. ثم ان جملة من علماء الاجتماع جعلوا [الفنون الجميلة] في قبال [العلم] وذكروا ان الفارق بينها ، وبين العلم: ان العلم يتغلّب فيه الجانب الادراكي، بينما [الفنون الجميلة] يتغلّب فيها الجانب العاطفي، وهذا ليس أكثر من اصطلاح، فهو مثل ان يجعل العلم في قبال [النحو] بحجة ان العلم يهتم بالفكر، والنحو يهتم باللسان، أوغير ذلك من التشقيقات الممكنة التي لاتخرج الشقوق من واقع كونها أقساماً من العلوم .

الواقع : تجربى وذهنى

ثم ان الواقع قسمان : قسم يخضع للتجربة ، حيث انها امور عملية ، و التجربة تقود الى القوانين المودعة في ذات الاشياء، مثلا: مكتشف الكهرباء وصل اليها بسبب التجربة، فكانت قوانينها المودعة في الكون مجهولة، والتجربة والبحث قادا المجرب الى تلك القوانين .

وعليه فلا مدخلية للتجربة في تغيير الواقع، وانما لها مدخلية في كشف الواقع، وكلما زاد الانسان تجربة في هذا الميدان، زاد كشفاً للواقع، وقد قال علي عليه السلام في حكمة بعث الانبياء: (ويروهم الايات المقدرة من سقف فوقهم مرفوع ومهاد تحتهم موضوع) .[١]

وقسم آخر لايخضع للتجربة، مثلا : هل ان الشيء مركب من جنس و فصل ؟ وان الوجود والعدم لايجتمعان، وان الزمان لايعقل جمع أطرافه ، و

---

(١) نهج البلاغة / صالح / ص ٤٣ .

ان كل ترجح بلا مرجح محال و .. لايمكن اخضاعه للتجربة، ومنه يعلم ان قول بعض الماديين، ان كلما لم يخضع للتجربة ليس بعلم، مخالف للبداهة، وعلى ماتقدم فتراكم التجارب لايغير الواقع، وانمايصل الى اسرار أكثر تعقداً وغموضاً، كالذي يسير في المدن، كلما أكثر من السياحة ظهرت له مجهولات جديدة، لا ان المعلوم الجديد ناسخ للمعلوم القديم .

ثم ان التجربة التي هي مقدمة للعلم الواجب ، واجب ـ على القول بوجوب المقدمة ـ و من ذلك يعرف الاقسام الاربعة الاخر ، من الاحكام الخمسة .

الطريق الى المعرفة

(مسألة ـ٥ ـ) العلماء قسموا العلم الى قسمين : قسم مرتبط بـما وراء المادة، وقسم مرتبط بالمادة .

أ ـ فالاول هو العلم الالهي، ومايتبع ذلك، من النبوة والامامة والمعاد، وهذا هو المسمى بعلم اصول الدين ، في قبـال علم فروع الدين ، المرتبط بالسلوك الانساني، والذي يتمركز في حواسه الخمس، باضافة مايرتبط بعمل نفسه اي النية والفكرة، وقد ورد في الحديث الشريف: (انما الاعمال بالنيات ولكل امرىء مانوى) .(١)

وورد أيضاً: (فكرة ساعة خير من عبادة سبعين سنة) .(٢)

ب ـ والثاني هوالعلم المرتبط بالمادة، والمراد بالمادة الاعم من المادة الثقيلة كالارض والجسم، أوالخفيفة كالنفس والعقل، اذ لم يثبت انهما مجردان فان ادلة تجردهما لاتكفي لاثبات ذلك، وعلى اي حال، فهذا العلم في تقسيم أولي، ينقسم الى خمسة علوم :

(١) علـم النفس ، والمراد بـه الاعم من النفس والعقل والروح ـ في الاصطلاح ـ .

---

(١) الوسائل : ج ١ ص ٣٤ الباب ٥ من أبواب مقدمة العبادات ح ١٠ .

(٢) البحار ج / ٦٨ ص ٣٢٦ وانظر : اسرار الصلاة : ص ٢٨٦ .

٢ ـ علم الجسد .

٣ ـ علم المحيط الاجتماعي المكوّن من الترابط الانساني بعضهم ببعض .

٤ ـ علم المحيط الاصطناعي المرتبط بالمدينة ، مما يعيش الانسان فيه سواء كان المحيط مرتبطاً بالصنعة؛ كالمحيطات الحاضرة ، أم لا كالمحيطات السابقة على اكتشاف العلوم والصنائع الحديثة .

٥ ـ علم المحيط الطبيعي مما حول الانسان من سماء وأرض ، وحيوان ونبات وماء ، وغير ذلك ، وقد جاء بعض المحدثين فقسموا العلوم الى أربعة :

١ ـ العلم الالهي .

٢ ـ العلم بالمادة التي لاروح لها ، مما يسمى بالفيزياء الاعم ، كعلوم الفيزياء والكيمياء وعلم الفلك، وعلم الارض ـ بمختلف شعبه من معدن وماء وتراب وغيرها ـ .

٣ ـ العلم بالمادة التي لها روح ،مثل علم النبات ، وعلم الحيوان وعلم البيئة .

٤ ـ العلم الاجتماعي المرتبط بالانسان، وقد يسمى بالعلوم الانسانية ، كعلم الاجتماع ، وعلم السياسة ، وعلم الاقتصاد ، وعلم الطب ، وعلم النفس .

والمهم في هذا الكتاب نوع من القسم الرابع ، اي [علم الاجتماع] بالمعنى الاخص .

وحيث ان كل واحد من هذه العلوم لـه جهة مشتركة مع سائر العلوم ، وجهة مختصة ، يحتاج كل عالم باحدهما ، الى نوعين من العلم :

(١) مبادى العلوم العامة ، وقد يصطلح عليه بالجنس ، أو الجامع .

(٢) العلم بالشيء الذي يهمه من العلم الخاص مثل هذا ، مثل من يريد معرفة الانسان ، فانه بحاجة الى معرفة الحيوان في الجملة ، ثم معرفة الانسان بما هو انسان .

ثم ان كشف المعلومات في كل علم مادي بحاجة الى شيئين (الاول) الطرق الفكرية ، و (الثاني) الطرق التجربية ، وذلك لان الفكر هو الذي يصدق أو يكذب التجربة ، وبعبارة اخرى يقول : بأن ما أدركه الانسان هل هو صحيح مطابق للواقع أولا ؟ اذربما يدرك الانسان الشيء فيزعمه صحيحاً ، بينما يدل الفكر على بطلانه وبالعكس ، وقد عد بعض السوفسطائيين اخطاء الحس ، فأوصلها الى ثمانمأة ، مثلا : يرى الانسان منتهى الخطين الموازيين ملتصقاً ، بينما لاالتصاق ، وانما تخيله الحس كذلك ، حيث التصاق نوري العينين ، وهكذا بالنسبة الى المريض الذي يزعم ان الحلومر ، أوان القريب بعيد، أوما أشبه ذلك .

اذاً يحتاج كل علم مادي الى معرفة الفلسفة ، ومعرفة المنطق ، قبل البدأ في تحقيق مسائل ذلك العلم الخاص، واخضاعها للتجربة ، فالمنطق يعطي معرفة استقامة الفكر وانحرافه ، والفلسفة تعطي العلم بالحقائق في مجالها الوسيع الشامل لكل العلوم .

وبعد هذين يأتي دور التجربة لاكتشاف مجهولات كل علم علم ، من طرقه التجريبية .

مراحل المعرفة

وحيث قد ظهر ان الفكر والتجربة يتعاضدان في كشف القوانين وحل

المشاكل ، لابد وان يعرف ان كشف القانون ، وماوراء القانون يمر بمراحل ستة :

١ ـ معرفة المقصود ، اذ بدونها يكون الانسان طالباً المجهول ، ولذاكان اللازم على كل باحث ان يعرف أول مايعرف ماهومقصوده للبحث والفحص كالمسافر الذي يعين مقصده ثم يسير اليه متحرياً أفضل الطرق وأقصرها .

٢ ـ تجربة بدائية للوصول الى المقصود ، فان التجربة كالنبات تبتدأ بنبتة صغيرة ، ثم تنمو وهكذا التجربة ، وهي وان كانت ربما تصادف الواقع ، لكن الاغلب انها تخفق، بل وتخفق معها تجارب آخر ، خصوصاً اذا كان الهدف عالي المنال ، وقد نقل عن مكتشف الكهرباء انه جرب لحفظ النور في الزجاج أكثر من تسعة الاف تجربة ، حتى قال له بعض أصدقائه : ألم يكفك ما صرفت من عمرك هباءاً ان تعترف ان ماترومه شيء غير عملي ؟ قال : اني لم أصرف ولاشيئاً قليلا من عمري هباءاً ، لاني عرفت ان هذه التسعة الالاف تجربة ، ليست بطرق ، والان احاول تجربة جديدة لسلوك طريق جديد ، لعله يكون موصلا ، وأخيراً وصل ، واستنار الانسان بالمصابيح الكهربائية .

٣ ـ تكوين فرضية للوصول الى الهدف ، لان التجربة العميقة انما تكون بعد الفرضية .

٤ ـ تجربة وسعية لاجل معرفة مدى صحة الفرضية المذكورة ، بالملاحظة والتجزئة ، والتركيب ، والتحليل ، والدقة ، ومأشبه ذلك .

٦ ـ وعند ذاك ينكشف القانون، الذي كان الهدف الاسمى للعالم الباحث ولذا قالوا : ان الغرض أول في الفكر ، وآخر في العمل ، كمن يفكر في دار سكنى ، ثم يهي أدواتها ، ويبنيها ، فاذا تم البناء ، صارت صالحة السكنى ،

ويحصل غرضه في الخارج .

٦ - وتبقى مرحلة أخيرة ان كان الباحث يريد التوسع والتقدم، لا الجمود والوقوف وهي مرحلة الربط بين هذا القانون المكتشف ، وسائر القوانين : أيها تجتمع مع هذا القانون المكتشف في قانون أعم؟ وأيها لا تجتمع ؟وان شئت قلت: كشف النسب الاربع بين المكتشف وغيره ، هل تباين أو تساوي ، أو عموم مطلق او عموم من وجه ؟

مثلا: اذا كان عالم الاجتماع يرى فساد المجتمع بتفشي المنكرات[المقامر والمخامر ، والمباغي ، وما اليها] ويفكر في علاجها ، فانه يمر بالمراحل الست المذكورة .

فأولا: مسألته تفشي المنكرات، لا تدني مستوى المعيشة، ولا كثرة اللصوص في الطرق .

وثانياً : يفكر في ان العلاج غلق أبواب المباغي والمقامر والحانات .

وثالثاً : يرى بعد التعمق في المسألة ، ان ليس العلاج ذلك ، اذ مادام جماعة من الناس يتعاطونها، يكون الغلق علاجاً صورياً ، فان المتعاطين ينتشرون ويتحايلون بالاختفاء عند التعاطي الى ان غير ذلك.. فيصل الى فرضية مفادها العلاج الحقيقي هو ايجاد الوعي في الناس، لان تعاطي هذه الامور الضارة انما يكون لعدم رشد الناس فكرياً ، ولذا لا يعرفون مصلحتهم ومفسدتهم ، فيرجحون اللذة العابرة على العاقبة المحمودة .

ورابعاً : يقوده الامر الثالث الى تجربة فكرية أو عملية واسعة [من باب تداعي الافكار في الفكر وارتباط الامور في التجربة العملية] الى انه لماذا المنكرات؟ لماذا الاستعمار؟ لماذا تحطم الزراعة والصناعة والتجارة؟ لما انعدام الحرية ؟

لماذا السجون ؟ وهكذا من الافكار المناسبة ، أوالعمليات المناسبة [في حقل التجارب] .

وخامساً : يصل الامر الى اكتشاف القانون وهو [كلما تدنى وعي الامة تفشت المنكرات ، وكلما ارتفع الوعي قلت المنكرات الى ان تنعدم] اذاً : فالعلاج ترفيع مستوى الوعي .

وسادساً : اذا أراد الانطلاق ، وعدم الجمود على القانون المكتشف، يفكر في النسبة بين هذا القانون المكتشف، وقانون السياسة ، والاجتماع ، والاقتصاد والعقيدة ، والاخلاق، والحريات ، والقدرة ، وغيرها ، وبذلك يظهر طريق العلم [وحدته ، وكثرته ، وتداخله ، وتباينه] وطريق العمل . . واذا لم يمر الانسان بهذه المرحلة السادسة ، كانت علومه المتناثرة ، وتجاربه المتشتتة غير مرتبطة ، ولاتعطي رؤية وسيعة ، ولاقاعدة متينة .

الاسلام والتفكير

وقد أمر الاسلام بالتفكر ، والتدبر ، والتفقه ، والتعقل ، وما الى ذلك ، كما يجدها المتتبع في القرآن الحكيم، وأقوال الرسول الاعظم ﷺ وأولاده الطاهرين عليهم السلام .

وقدورد في الحديث : (في التجارب علم مستأنف) .[1]

وقال علي عليه السلام : (قيمة كل امرىء ما يحسنه)[2] .

وقال عليه السلام : (فان اشكل عليك شيء من ذلك فاحمله على جهالتك فانك أول ماخلقت كنت جاهلا ثم علمت وما أكثر ماتجهل من الامر ويتحير فيه رأيك

---

(١) فروع الكافي ج/٨ ص ٢٢ .

(٢) نهج البلاغة / صالح / ص ٤٨٢ .

ويضل فيه بصرك ثم تبصره بعد حين) .(١)

وقال عليه السلام : (الفكر مرآة صافية) .(٢)

وقال عليه السلام : (اعقلوا الخبر اذا سمعتموه عقل رعاية لاعقل رواية ، فان رواة العلم كثير ورعاته قليل) .(٣)

وقال عليه السلام : (لا علم كالتفكر ولا شرف كالعلم)(٤) .

وقال عليه السلام : (مالي أرى الناس اذا قرب اليهم الطعام ليلا ، تكلفوا انارة المصابيح ليبصروا مايدخلون بطونهم ، ولايهتمون بغذاء النفس بأن ينيروا مصابيح ألبابهم بالعلم ، ليسلموا من لواحق الجهالة والذنوب ، في اعتقاداتهم وأعمالهم] .(٥)

وقال عليه السلام : (العلم مقرون بالعمل فمن علم عمل ، والعلم يهتف بالعمل، فان اجابه والا ارتحل عنه) .(٦)

وسائل المعرفة

ثم ان العلوم تختلف ، في الوسائل التي تنتهي الى مسائلها :

(١) فالعلوم الفلسفية والعقائدية تعتمد على الطريقة التفكيرية .

(٢) والعلوم الفيزيائية والكيميائية تعتمد ـ على الاغلب ـ على التجربة العملية ، وان كان اللازم التفكر والتدبر حول جملة من خصوصياتها كما تقدم

---

(١) نهج البلاغة / صالح / ص ٣٩٥ .
(٢) نهج البلاغة / صالح / ص ٥٣٨ .
(٣) نهج البلاغة / صالح / ص ٤٨٥ .
(٤) بحار الأنوار ج/١ ص ١٧٩ .
(٥) شرح نهج البلاغة ج/٢٠ رقم ٥٣ ص ٢٦١ .
(٦) نهج البلاغة / صالح / ص ٥٣٩ .

في بحث المراحل الست .

(٣) أما العلوم الاجتماعية ـ بمختلف شعبها كالاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية، والتاريخية ونحوها ـ فانها تعتمد على المشاهدات، والاحصاءات والاسناد ، فالعالم الاجتماعي يلتقى بالافراد ويسألهم ، أو يقدم لهم أوراقاً بالاسئلة ليملاوها ، أويأخذ نماذج من الامور ليعلم بهـا كليات تلك النماذج الى غير ذلك .

والواجب على المحقق الاجتماعي، في اللقاءات وماأشبه ان لايعتمد على الشائـعات ، والاجواء المصطنعة ، بل يكون لـه من الذكاء ما لا يخلط مـعه الحقيقة بالاصطناع، مثلا: المستبدون من الحكام يفروضون أنفسهم على وسائل الاعلام ، وعلى المحلات العامة بواسطـة البوليس السري ، وعلى قطاعات كبيرة بواسطة الترغيب والترهيب ، وبذلك يملائون الاجتماع من أنفسهم، مع انـه املاء كاذب ، فالمحقق يجب ان يميز بين مثل هذه الاجواء ، وبين مثل الاجواء الحرة، ممايكون كل شيء طبيعياً فيها، فاذا كان الجو من القسم الاول كان على المحقق ان يتجنب في احصائياته ومقابلاته، عمّا يرتبط بالحاكم ولو كان سيطر عليه بسبب الاعلام وسياسة التجهيل .

أمـا اذا كانت الاجواء مثل القسم الثاني تمكن المحقـق من السؤال و الاستعلام بكل حرية، مثالهما مثال من يمشي في أرض شائكة حيث يلزم عليه ان يلاحظ بكل دقة لئلا يصيب الشوك بدنه وملابسه، بينما من يمشي في أرضه مستوية ليس عليه هذه الملاحظة، وقـد يذهب الحاكم الدكتاتور، الى أبعد من ذلك فيشتري ـ في خارج بلده ـ وسائل الاعلام والضمائر، ويكون بذلك قدنصب شبكة لاصطياد المغفلين، والعلامة للقسمين لاتخفى، فانك اذا رأيت في دولة الباطل حزباً واحداً وتقديساً للفرد، وعدم تبدل الحاكم بين مدة ومدة

وعدم حرية الصحافة، والاذاعة ، والتلفزيون، وماأشبه، علمت بان الجوملغوم فالاحصاءات وأوراق الاسئلة والنماذج لاتعطي الا رائحة الحاكم، الا اذاكان المحقق دقيقاً نابهاً .. وبالعكس من ذلك، اذا رأيتَ احزاباً متعددة وتعرض الفرد للتقديس والنقد، الى آخره، فانه علامة صلاح الجو، وامكان الاعتماد عليه .

والاسناد أيضاً يجب ان نعرف صحيحها من سقيمها، وهي تعرف من الخط، والورق، والانشاء، وزمان ومكان الانشاء كماانما ينشأ في جاشية رئيس مستبد لايكون سنداً ، بينما ما ينشأ في جو نظيف يكــون سنداً ، وهكذا يلزم الاحصاء في صحة هذا التاريخ أو ذاك ، الى غير ذلك .

من اين الاجتماع ؟

(مسألة ـ ٦ ـ) الانسان خلقه الله سبحانه، جسماً ونفساً، وله متطلبات جسمية، ومتطلبات نفسية، فالاكل، والسكن، والراحة، واللباس، ونحوهامن الاول، والعلم والادب والاجتماع والفضيلة ونحوها من الثاني، ثم ان الله سبحانه هيأ للانسان حاجياته ـ سواء حاجياته التي لاتحتاج الى العمل كالهواء والارض ونحوهما، أو التي تحتاج كالدار والمأكل والملبس ـ من ناحية، كما بيّن له بقوانين سماوية، كيفية حركته وسكونه و تفكيره وعمله، من ناحية ثانية، حاله في ذلك ـ في مثال بسيط ـ حال صانع معمل مّا، حيث يهيّيء لوازم المعمل ويبين قوانين المعمل، فهناك في الخلقة، تعادل : بين الانسان في حاجياته وقوانينه، والانحراف عن تلك القوانين يوجب العطب والهلاك ولذا قال سبحانه: «ومن أعرض عن ذكرى، فان له معيشة ضنكاً» [1].

وقال تعالى: «يضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم» [2] وقال عن لسان نوح: «فقلت استغفروا ربكم انه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً، و يمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهاراً» [3].

---

(١) سورة طه آية ١٢٤ .

(٢) سورة الأعراف آية ١٥٧ .

(٣) سورة نوح آية ١٠ .

فان الأعراض عن القوانين الصالحة يوجب ارتطام الانسان بالحواجز. كالذي يسير في الطريق المسدود، حيث يرتطم بالجدار .. كما ان اتباع غير السنن الالهية يوجب ثقـل الحياة على الانسان ثقلا على نفسه [اصرهم] و ثقلا على أعضائـه وجوارحـه «والاغلال التي كانت عليهم» .. أما الاستغفار بالسير في طريق الله ـ فانـه الاستغفار الحقيقي ـ فانـه يوجب تدارك نقص السابق « انه كان غفاراً » كالمريض اذا شرب الدواء حيث يستعيد صحته، واذا مشي الانسان في طريق الله بالتعاون، وزراعة الارض، وشق الانهار، والتزاوج والاستيـلاء، كان درّ المطر كثيراً، لانه يتولد من كثـرة مياه الأرض، ويكثر الاموال بالتجارة والزراعة والصناعة،ويكثر البنون، وتكون الجنات والانهار: فالايات الثلاث هي بيان لطبيعة عدم سلوك، أوسلوك القوانين الصالحة التي جعلها الله سبحانه، بالاضافة الى الامر الغيبي الذى يعمله سبحانه ماورائياً .

فان الحياة يسيرها أمران: [القوانين الطبيعية المودعـة في الكون باذن الله سبحانه] و[الأمو الماورائية التي يجريها الله سبحانه، بدون اسباب ظاهرة] كالمعمل الذي يسير بسبب قوانينه، وبسبب المهندس الذي يسيره .

أما من يقول بالانسان الاول المنحدر من نسل الحيوان، وبالاشتراكيـة لاولى ، وبالاجتماع لاجل الاقتصاد ، و ان الاقتصاد هو البنـاء التحتي، لكل القوانين والانظمة والاخلاق والاداب والاديان، وما الى ذلك .. فانه لايعوزه الدليل فحسب، بل الدليل على خلافه في كل خطوة خطوة.

بين الترابط والتباعد

ثم ان الانسان حيث خلق اجتماعياً بالطبع، لالحاجاته الجسدية فقط: بل

لحاجاته النفسية، حيث الانسان يستأنس بالانسان، ويستوحش لفقده، كان الانسان يؤثر في الانسان الاخر ـ سواكانا فردين، أومجتمعين، أوبالاختلاف ـ والتأثير قد ينتج الايجاب [بالترابط] وقدينتج السلب [بالتدابر] .

والترابط :

١ ـ قديكون لاجل هدف واحد، فيجتمعون للوصول اليه بدون انيكون للمجتمعين لون واحد، وهذا يسمى [بالترابط الهدفي] .

٢ ـ وقد يكون من أجل وحدة اللون التابعة لوحدة الثقافة، في الاخلاق والاداب والدين والمراسيم، وهذا يسمى [بالترابط الاجتماعي] .

كما ان التدابير، بانفصال أحدهما عن الاخر على ثلاثة أقسام لانه :

١ ـ قد يكون لاجل الوصول وحده الى الهدف بدون عمل ما يوجب تأخير الاخر، وان كان الاخر أيضاً يريد نفس الشيء ـ سواء في فردين أو جماعتين ـ وهذا يسمى [بالاستباق] حيث ان كلا منهما يستبق الاخر في نيل هدف خاص كالمسابقة بالخيل .

٢ ـ وقديكون كالاول، ولكن مع عمل مايوجب تأخير الاخر فهو ايجابي بالنسبة الى نفسه وسلبي بالنسبة الى الاخر، ويسمى [بالرقابة] كرقابة التجار وسائر الحرفيين .

٣ ـ وقد يكون الثاني باضافة كون الرقابة بالعداء والبغضاء و يسمى [بالمحاربة] كما في المقاتلات والحروب :

ثم ان كلا من الترابط والتدابر ـ غالباً ـ ينتهيان الى المسالمة ، وهي العيش الاجتماعي بين الفردين أو الطائفتين بسلام ، فالمسالمة في الترابط ، قد تكون مسالمة [الامرية والمأمورية] حيث يتسلط أحد الطرفين على الاخر

فيسلم الطرف الثاني بآمرية الطرف الاول ، وقد تكون مسالمة [التوافق الاجتماعي]بدون الامرية والمأمورية، والتوافق،قد يكون [بالعدل] بأنأعطى كل طرف حقه،وقد لايكون بالعدل ، مثلا : نهر بين قريتين ، نفوس احديهما ألف ، ونفوس الاخرى ألفان ، فان قسم النهر بينهما نصفين كان مساواتهمابدون عدل ، وان قسم للاولى ثلثه كان عدلا ، فان بين اللفظين عموماً من وجه .

وكل من الامرية والمأمورية ، والتوافق،قد يكون مع الرضا الباطني ، وقد يكون بدونه وأهم القسمين ما يكون بالرضى ـ اذ المقسر لايدوم ـ ولا يحصل الرضى الباطني ، أبداً الا اذا كان التطبيق يصادف الاصول المقبولة ، وبعبارة اخرى [كان النظام مطابقاًللايدلوجية] كأنه بدون ذلك يقع التدافع الخفي ، ثم الجلّي، بين النظام والاصول ، وينتهي أخيراً الى الانفصام، سواء في الحقل السياسي أو الاقتصادي أو غيرهما .

مثلا : اذا كانت السياسة المتخذة من الشريعة الاسلامية في قيادة الامة [بالنحو الاستشاري] كانت القيادة الديكتاتورية فرضاً على الامة ، فيقع التصادم بين معتقد الامة ، وبين نظامها السياسي ، وذلك ينتهي ـ ان عاجلا أوآجلا ـ الى التضارب والانفصام ، ولذاقالوا خير القيادات واطولها عمراً ما نبعت من باطن الامة .

وكذلك في الاقتصاد، فاذا كان الاقتصاد الاسلامي أمراً وسطاً بين افراط [الرأسمالية] وتفريط [الشيوعية] ، كان الاقتصاد السليم القابل للتطبيق ما كان وسطاً بينهما ، فاذا جعل النظام الاقتصادي مائلا الى أحدهما ، أوجب التصارع بين الاصول [الايدلوجية الاقتصادية] والتطبيق [النظام المجعول] وينتهي أخيراً الى التعارض والانفصام . . وكذلك الامر في الثقافة وغيرها .

أمـا [المسالمة] التي ينتهي التخالف اليها ، فالغالب أن تكـون بسبب المصلحين، بعد تهيؤ الطرفين نفسياً لها ، حيث ان الانسان مغرور غالباً ، فيزعم انه بامكانه أن يخرج خصمه عن الساحة، وبعد تجربة العداء ، يرى انه لم ينفعه ذلك ، وأخذ من طاقاته الشيء الكثير، بالاضافة الى ما حط من سمعته، بمـا لو صرفها في البناء لكان أجدى له ، وذلك هو المناخ المناسب للتعايش السلمي وحينذاك ينشط المصلح لجعل شروط تقارب وجهات النظر، والتوافق بيـن الجانبين قد يكون على نحو: [المهادنة] أو على نحو : [المعاهدة] أو على نحو : [المصالحة] أوعلى نحو: [المعايشة] وهذه مراتب متدرجة فالمهادنة عـدم الخصام ، والمعاهدة يضاف الى المهادنة ، أن يتعهد كل طرف بعـدم الاعتداء ، ثم يأتي دور المصالحة ، حيث يصطلح الطرفان ويكونان كاخوة، وأخيراً يمتزجان كجماعة واحدة وهي : [المعايشة] .

الاسلام يدعو الى السلم

وقد حرض الاسلام على السلام، حتى مع الاعداء ، قال سبحانه : « ادفع بالتي هي أحسن ، فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ، ولايلقاها الا الذين صبروا ، ولايلقاها الا ذوحظ عظيم »[(١)] .

وقال الامام السجاد عليه السلام : (اللهم سددني لان أعارض من غشني بالنصح، واجزى من هجرني بالبر ، و اثيب من حرمني بـالبذل ، وأكافي من قطعني بالصلة ، و اخالف مـن اغتابني الى حسن الذكر ، و أشكر الحسنة واغضي عن السنة)[(٢)].

---

(١) سورة فصلت آية ٣٤ .

(٢) الصحيفة السجادية دعاء مكارم الأخلاق .ص ١٠٩ .

وفي القرآن الحكيم: « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله»[١].

وقال سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان »[٢] .

أماقوله سبحانه : « أشداء على الكفار رحماء بينهم »[٣] فذلك حيث قصوى حالات الاضطرار ، كالعملية الجراحية الخطرة، حيث لا يقدم عليها الا في قصوى حالات الضرورة، ولذا كان الرسول صلى الله عليه وآله والائمة عليهم السلام ، يخففون أبداً أسباب العداء ويقلصونها ، فقال صلى الله عليه وآله : (اذهبوا فأنتم الطلقاء)[٤] وأعطى علي عليه السلام الماء لمن حاربوه ، وكذلك فعله ابنه الحسين عليه السلام في كربلاء، الى غير ذلك .

أقسام التجمعات

والجماعة قد تكون [جماعة ارادية] أي اجتمع أفرادها بالارادة والتخطيط المسبق ، وتسمى [بالجماعة الرسمية] أو [الهيئة الرسمية] مثل : أعضاء الحكومة فانها جماعة شكلت لاجل حفظ العدالة وتقديم البلاد الى الامام، مع ارادة وتخطيط،وقد تكون جماعة غير ارادية ، بأن لم يكن اجتماعهم عن تخطيط وارادة خاصة ، مثل الاجتماع في القرى والمدن ، حيث لم يجمع الافراد تخطيط وارادة خاصة فهي [جماعة غير ارادية] .

ثم الجماعة المجتمعة قد تكون [طويلة الامد] كالمثالين السابقين ، وقد تكون [قصيرة الامد] وهذه الثانية قد تكون عن تخطيط.، وقد لا تكون كذلك.

---

(١) سورة الأنفال آية ٦١ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٠٨ .

(٣) سورة الفتح آية ٢٩ .

(٤) الوسائل : ج ١١ ص ١١٩ الباب ٧٢ من أبواب جهاد العدوح ١ .

فالاولى: كالمظاهرات التي خطط لها ، ولابد أن يكون ورائها عقل مدبر.

والثانية : كالمظاهرات العشوائية ، كما اذا اجتمع جماعة في أيام الغلاء عند الخباز، ثم أخذوا يتظاهرون بسبب الجوع وتطلب الخبز .

والجماعة قد تكون [بدائية] : [طبيعية] كأفراد عائد واحدة ، أو [غير طبيعية] كالاطفال الذين يجتمعون للّعب ، وقد تكون [غير بدائية] وتسمى [بالجماعة الثانوية] وهي التي تجتمع لاجل هدف خاص ويصرف أفرادها ، قسماً من نشاطهم ، فى اطار الاجتماع ، كالجماعة الاقتصادية ، أو الثقافية، أو الصناعية .

واعضاء الجماعة قديكونون [أعضاء مواجهة] لان اجتماعهم يتطلب المواجهة مثل أعضاء العائلة ، وأعضاء اللعب، وقديكونون [أعضاء غير مواجهة] حيث ان اجتماعهم لايتطلب المواجهة ، مثل أعضاء الشركات والاسهم، حيث ان التلاقي لايكون بينهم ، وانما يرتبط كل عضو بالمكتب الذي فتح لاجل تلك الشركة أو تلك الاسهم .

والاعضاء ان ربوا في محيط واحد، أو محيط مشابه، سميت الجماعة بـ[الجماعة المنسقة] والا كانت [جماعة غير منسقة] حيث ان العرف والعادة والاعمال عند الفعل ، وردود الفعل في الاولى مشابهة بخلافها في الثانية ، مثلا : قد يكون من ربي في الغابة ، اذا رأى السبع حمل عليه ، بينما من ربي فى المدينة اذا رأى السبع فر منه ، فاذا رأى أحدهم من صديقه فراراً أو حملة ـ وهو بعيد عنه ـ علم الحادث في المنسقة، بينما لايعلم الحادث في غير المنسقة ، الى غير ذلك من الافعال وردودها .

ثم ان كل جماعة بالنسبة الى أفرادها تسمى [بالداخلة] وبالنسبة الى غير أفرادها

تسمى [بالخارجة] سواء كانت الخارجة أفراداً متناثرين ، أوجماعة اخرى .

والاعضاءقديكونون[أصليين]فيما كانوا انواة مركزية،وقديكونون[فرعيين] فيماكانوا ثانويين ، وهكذا قديكونون [أعضاء التشكيل] وقد يكونون [أعضاء الولاء] حيث لايتركب تشكيل الجماعة منهم وانما هم موالون يجمعون لهم المال، ويدافعون عنهم، ويروجون لهم، وقدتحتاج التشكيلة الىأفراد آخرين فتنخب من الموالين من تجعلهم ضمن التشكيلة .

والاعضاء قد يربطهمرابط اللحم والدم، وتسمى [بالعشيرة] أونحوها، وقد يربطهم رابط غيره، وتسمى [بالجماعة الاسترشادية] حيث يسترشد أعضائها بالاراء والافكار التي تتخذها الجماعة منهجاً لاجل بقاء الجماعة و تقدمها الى الامام في مقاصدها وأهدافها .

ثم الجماعات العاملة، لها حركة خاصة بها، في البعد الذي يهم الجماعة كالبعد السياسي بالنسبة الى الاحزاب ، والطبي بالنسبة الى جماعة الاطباء ، و هكذا، وهذه الحركة الخاصة غالباً تكون دورية، أي ان الجماعة توجد في أفرادها نوعاً من الحركة؛ من حيث الكيف والكم ، و الفرد من الاعضاء المتأثر بالحركة، يعطي رد الفعل الى الجماعة، بما يزيدها حماساً وحركة، و الجماعة ـ بدورها سترد الحركة على نحو أشد من حركتها الاولى، الى الاعضاء، وهكذا تكون حركة الجماعة والفرد بين فعل وردّ فعل .

وهذه الحالة كما توجد في الجماعة المنظمة ذات الاهداف البعيدة، كذلك توجد في الجماعات التلقائية الذين اجتمعوا، صدفة لاجل حادث طارىء، مثل مشاهدة تمثيلية، أوانتظار مأكل أوسفر، أو ما أشبه ذلك .

فاناخذت الجماعة في الهرجوالمرج والتخريب، سميت [بالغوغاء] .

ثم قديكون للجماعة معنى غير ماتقدم، وهو الافراد المشتركون في أمر حسن أو سيء، بدون انيكون بينهم ربط أورابطة مثل جماعة المهربين ، و جماعة اللصوص، وجماعة الكتاب، وجماعة الفقراء، وماأشبه، وفي الاصطلاح في اللغة العربية، تختلف الجماعة عن الجمعية، وان كان بينهما لغة تساو أو ترادف،مثلا: اذا كانت هناك جماعة مترابطة لاجل التأليف والنشر يقال لهم: جمعية بينما اذا لم يكن بينهم ترابط، بل كانوا متناثرين، اذا اريد التعبير عنهم يقال لهم جماعة المؤلفين، وهكذا .

وهكذا جرى الاصطلاح في تسمية الجماعات السياسية [بالاحزاب] ـ و ان كان معنا اللغوي أعم من ذلك ، فكل تجمع يسمى حزباً ، وان كان بدون ترابط قريب كترابط الجمعيات، قال سبحانه : «ولما رأى المؤمنون الاحزاب»(١) وقال : « الا ان حزب الله »(٢)، وقال: «كل حزب بما لديهم فرحون»(٣)ـ وكذلك جرى الاصطلاح على تسمية جماعة [بالهيئة] ولا يطلق عليهم ، حزب أوجمعية مثل:[هيئة الدولة]لاعضائها، أوالهيئة لحسينية كذا ،ونحوذلك ،وقد يطلق على الهيئة [الجماعة]أيضاً .

الجمهور والامة

أما [الجمهور]أو[الجماهير] فالغالب اطلاقها على [العامة]وانما يطلق عليهم هذا اللفظ اذا اريد التعبير عن ارادة لهم، مثل : لايرغب الجمهور في كذا ،أو الجمهور يريدون المرشح الفلاني ، فقد يلاحظ كل قطعة من العامة

---

(١) سورة الأحزاب آية ٢٢ .

(٢) سورة المجادلة آية ٢٢ .

(٣) سورة المؤمنون آية ٥٣ .

جمهوراً، فيقال للمجموع[جماهير] وقد يلاحظ المجموع من حيث المجموع فيقال [جمهور] وحيث ان [الجمهور] يطلق على القطعة من العامة ، صح اطلاقه على طائفة خاصة مثل : [جمهور الفقراء] أو [جمهور البطالين] أو [جمهور الزراعين] الى غير ذلك .

و [الامة] و [الشعب] يطلقان على طائفة كبيرة من الناس ،والفارق بينهما ان الامة تقال باعتبار المبدء ، والشعب يقال باعتبار الذات .

قال سبحانه : « وان هذه امتكم امة واحدة » .(١)

وقال :«وجعلناكم شعوباً وقبائل »(٢) ولذا لايصح ان يقال :[الامم الاسلامية] لان كلهم امة واحدة بينما يصح ان يقال : [الشعوب الاسلامية] لان الاسلام اشتمل على شعوب .

وحيث ان الجماعة المشتركة في هدف خاص طويل الامد، كالجماعة الاقتصادية ، أو الثقافية أو ماأشبههما لها نظم خاص ،وروابط بين أفرادها، وعمل خاص ،سميت [بالمنظمة] .

الاجتماع وشعبه

أما [الاجتماع] فهو المركب من اناس كثيرين، وغالباً يكون لهم منظمات وجماعات ، وجمعيات ، ومؤسسات ، سواء كانت رسمية [اي دولية] أو غير رسمية .

والاجتماع يشتمل على [الاخلاق الاجتماعية] و [الاداب الاجتماعية] و[المواثيق الاجتماعية] و[القوانين الاجتماعية] و [المواريث الاجتماعية]

---

(١) سورة المؤمنون آية ٥٢

(٢) سورة الحجرات آية ١٣ .

و [الشعائر الاجتماعية] و [المقررات الاجتماعية] .

(فالاول) : صفاتهم النفسية كالكرم والبخل ، والشجاعة والجبن ،وحب الضيف وكرهه .

(والثاني) : آدابهم في بناء الدور، والسلام ، والمجالسة ، والصلة للرحم، وكيفية الملابس ، وماشبه .

(والثالث) : مايحصل من العهود بواسطة جماعة من كبار المجتمع مع آخرين منهم ، أو مع مجتمع آخر .

(والرابع): القوانين المرعية في بيعهم ونكاحهم ومواريثهم ومرافعاتهم ، مماجعل العقاب لمن خرقها .

(والخامس) : ماورثوها من الاباء والاجداد من الرسوم والاداب وغيرها.

(والسادس) : مايظهرونها من الاعمال في فترات خاصة بحسب عقيدتهم .

(والسابع) : ماكان من القوانين المرعية مما يحسن اتباعها ولاتصل الى القانون الذي يعاقب مخالفه ، فاذا لم يسر فرد على هذه الامور سمي [شاذاً] فان استمر على خلافه مع الاجتماع سمي [منحرفاً] .

ثم الحالة التي تظهر في الاجتماع وتشمل قطعة كبيرة منه بما فيها من حركة واضطراب ان كانت سريعة الزوال سميت [هوساً اجتماعياً]وان كانت بطيئة الزوال سميت [جداً اجتماعياً]فان وافق تلك هرج ومرج وحالات غير عادية سميت [بالجنون الاجتماعي] فان كان مثل ذلك حصل من حادث مخوف كسيل أوحرب فجائية أو زلزلة شديدة ، سميت [بالوحشة الاجتماعية] .

والروابط التى تحكم أفراد الاجتماع ان كانت سماوية سميت [دينا] كما ان الروابط سواء كانت سماوية أم لا، تسمى [انظمة]و[مناهج] و [قوانين] و [مسائل] و[روابط] وغيرها .

علاقة الفرد بالمجتمع ونحوه في ضوء الاسلام

ثم لنختم هذه المسألة بكلمات عن علي أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة .

قال عليه السلام في وصية له للحسنين عليهما السلام : (أوصيكما .. بتقوى الله ، ونظم أمركم ،وصلاح ذات بينكم ،[1] فاني سمعت جدكما صلى الله عليه وآله يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام) .[2]

وقال عليه السلام : (وعليكم بالتواصل والتباذل ، واياكم والتدابر والتقاطع).[3]

وقال عليه السلام : (وانما أنتم اخوان على دين الله ، مافرق بينكم الا خبث السرائر وسوء الضمائر، فلا توأزرون ولاتناصحون ، ولاتباذلون ولاتوادون ، ومايمنع أحدكم ان يستقبل أخاه بما يخالف من عيبه ، الا مخافة ان يستقبله بمثله).[4]

وقال عليه السلام : (فان الله سبحانه قد امتن على جماعة هذه الامة فيما عقد بينهم من حبل هذه الالفة، التي ينتقلون في ظلها ، ويأوون الى كنفها ، بنعمة لا يعرف أحد من المخلوقين لها قيمة ، لانها أرجح من كل ثمن وأجل من كل خطر) .[5]

وقال عليه السلام : (وألزموا السواد الاعظم ، فان يد الله مع الجماعة ، واياكم والفرقة ، فان الشاذ من الناس للشيطان ، كما ان الشاذ من الغنم للذئب) .[6]

---

(١) نهج البلاغة /صالح/ ص ٤٢١ .
(٢) نهج البلاغة /صالح/ ص ٤٢١ .
(٣) نهج البلاغة /صالح/ ص ٤٢٢ .
(٤) نهج البلاغة /صالح/ ص ١٦٨ .
(٥) نهج البلاغة /صالح/ ص ٢٩٨ .
(٦) نهج البلاغة/ صالح/ ص ١٨٤ .

وقال عليه السلام : (الزموا ماعقد عليه حبل الجماعة ، وبنيت عليه أركان الطاعة)[١].

وقال عليه السلام : (فاياكم والتلون في دين الله ، فان جماعة فيما تكرهون من الحق ، خير من فرقة فيما تحبون من الباطل ، وان الله سبحانه لم يعط أحداً بفرقة خيراً ممن مضى ولاممن بقى)[٢].

وقال عليه السلام :(فانظروا كيف كانوا حيث كانت الاملاء (جمع ملأ)مجتمعة، والاهواء مؤتلفة ، والقلوب معتدلة ، والايدي مترادفة ، والسيوف متناصرة ، والبصائر نافذة، والعزائم واحدة ، ألم يكونوا أرباباً في أقطار الارضين ، وملوكاً على رقاب العالمين، فانظروا الى ماصاروا اليه في آخر امورهم، حين وقعت الفرقة ، وتشتت الالفة ، واختلفت الكلمة والافئدة ، وتشعبوا مختلفين وتفرقوا متحازبين)[٣].

المجتمع المتخلف بؤرة للرذائل الخلقية

ثم ان الاجتماع اذا انحرف صار مركزاً للرذائل الخلقية والعملية ، حيث ان الاجتماع هو الجهاز الضاغط على الافراد والجماعات في الاستقامة أو الانحراف ، والفرقة من مواليد الاجتماعات المنحرفة .

فان الاجتماع اذا كان مستقيماً ، اشتغلت جماعاته وأفراده بالبناء، فتوجد المؤسسات البانية ، والجمعيات الخيرة ، والمنظمات العاملة في سبيل التقدم، وهي تجذب أكثر قدر من الافراد ، فيعجّ الاجتماع بالفضيلة ويأخذ سبيل

---

(١) نهج البلاغة /صالح/ ص ٢١١ .

(٢) نهج البلاغة /صالح/ ص ٢٥٥ .

(٣) نهج البلاغة /صالح/ ص ٢٩٧ .

الرقي والتقدم ، والسير في مدارج الكمال .

بينما الاجتماع اذا كان منحرفاً ، اخذت الجمعيات فيه بالتحلل والتفسخ، وتفشت البطالة ، وكثر الجهل ، وشاعت الفردية ، وصار مركزاً للجمود والتأخر ، وشاع فيه الفساد والافساد .

أما اختلاف الاجتهادات ، ففي الاجتماع المتقدم يعالج بسيادة الكلمة ، والبحث الحر ، والانتقاد النزيه ، وحتى في الحقول السياسية ، نجد الاحزاب الحرة ، تحاول كل واحدة منها التقدم بكثرة العمل وحسن الخدمة ، ويقع التنافس في البناء ، والاستباق الى الفضيلة ، وقد أكّد القرآن الحكيم على ذلك ، قال سبحانه : « سارعوا الى مغفرة من ربكم » (١) وقال : « استبقوا الخيرات » (٢) وقال : «وفي ذلك فليتنافس المتنافسون » (٣).

بالعكس من الاجتماع المتخلف ، حيث تأخذ القوة مكان الكلمة ، والسيف والسجن والسوط مكان الانتقاد البنّاء والبحث الحر،ويسلط الاشرار حيث انهم أقدرعلى الفتك والارهاب ، هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى تكثر فيه العزلة والانزواء ، حيث لايجد الصالحون مجالا للتنفس ، وتفو البطالة والترهب والتزهد ، وكذلك صار المجتمع المسيحي أبان حكم البابوات ، بل والمجتمع الاسلامي في فترات منه ، وكان من تلك ما قبل خلافة الامام أمير المؤمنين ، فقد ورد ان علياً عليه السلام ، لما جاء الى الكوفة رأى في مسجده اناساً لاعمل لهم يعيشون على صدقات الناس ، ويتزهدون في الدنيا ، فاخرجهم الامام عليه السلام ، عن المسجد بنهر وأمرهم بالعمل .

---

(١) سورة آل عمران آية ١٣٣ .

(٢) سورة البقرة ١٤٨ .

(٣) سورة المطففين آية ٢٦ .

الثقافة الاجتماعية

(مسألة ـ ٧ ـ) لكـل انسان ثقافة دينية أو دنيويـة ، ورثها أو اكتسبها من مجتمعه ، أو اخترعهـا ، وثقافات الافراد تتجمع حتى تعطي لونـاً خاصاً للمجموع ، ثم تتجمع ثقافات الجماعات في وحدة أكبر ، وتتغير اللون الى المتوسط بين تلك الالوان ، وهكذا تتجمع الوحدات الكبرى في وحـدة جامعة ، تعد تلك ثقافة المجتمع ، مثلا : اذا اجتمعت عائلة كرمها مأة في مأة وعائلة كرمها عشرون في المأة، وعائلة كرمها ثلاثون في المأة، كان المجتمع من هذه العوائل كرمهم خمسون في المأة ، فاذا جمعت وحدة كبرى بين هذه المجموعة، ومجموعة اخرى كرمهم عشرة في المائة ،كان الاجتماع كرمه ثلاثون في المائة .

وكذلك الحال في الثقافة ،والصناعة ،والاخلاق،والشجاعة وغيرها، ولذا كان في الثقافة الاجتماعية جهات اجتماع وجهات اختلاف ،وكلما كبرت الوحدة الجامعة ،كان الرقي أكثر ،حيث ان الفضائل في الافراد والجماعات تجد متنفساً أكثر و ظهوراً أقوى ، ولذا حيث جمع الاسلام بين الشعوب المختلفة من عرب وفرس وقبط وهند وغيرهم ، وصلت الامة الاسلامية الى أكبر قدر من النضج في مختلف ثقافات الحياة .

لكن انما يكون ذلك اذا توفر مناخ الحرية الكاملة للافراد،والا لم تكن حصيلة الاجتماع الكبير الا التأخر ، فان الثقافة بحاجة الى تحرك وانتشار و

هما لايتوفران الا في مناخ الحرية ، و كذلك ما يتبع الثقافة ،من فروسية ، و صناعة ،وزراعة ، وتجارة وغيرها .

ثم الثقافة مادية ومعنوية ،فالمادية ما يرتبط بالجسد ،والمعنوية ما يرتبط بالنظام والعقيدة و نحوهما ، و كلتاهما في عرض واحد أما قول جماعة من الماديين بأن [الاقتصاد] هو البناء التحتي للدين والاخلاق والانظمة وغيرها ـ مما هي في نظرهم بناء فوقي ـ فهو قول خال عن الدليل ، بل قام الدليل على خلافه .

والفرد في الاجتماع ، و كذلك في الجماعة المترابطة ـ في وحدة منظمة واحدة ـ له : (١) مكانة : (٢) وعمل اجتماعي .

(فالاول) :عبارة عمّا له في الاجتماع من الشخصية الموجبة لاحترامه ،و لسهولة نفوذ أوامره ، وهذه المكانة الاجتماعية تابعة للمال والسلاح ،والعلم، والعشيرة ونحوها، والايمان، والاخلاق، والاعمال ، وأحياناً الجسد كالانسان الجميل أو الانسان القوي البنية .

بينما (الثاني) :عبارة عن مايزاوله الشخص من الاعمال، و كلما كان عمل الانسان أكثر وأحسن ـ كماً و كيفاً ـ زاد ذلك، في مكانته الاجتماعية .

الكفائة ميزان التقدم

ثم في المجتمع الصالح تكون الكفائة والحرية ميزان التقدم [فكل امرىء بما كسب رهين] [وان ليس للانسان الا ما سعى] [والناس مسلطون على أموالهم وأنفسهم] ولذا تكون السيادة والمال وغيرهما منقسمة بين المجتمع ، والاجتماع في مثل هذا المجتمع يأخذ في التحرك .

بينما في المجتمع الطبقي المنحرف، تستولي طبقة على الناس ،فهم طبقة والناس طبقة ، والكفاءات تسحق والحريات تسلب ،والطبقة الحاكمة هي كل شيء ، بيدها المال والسلاح و السيادة ، أو الطبقة الحاكمة تتحالف مع الاثرياء ليكون بيدهما كل شيء ، والمال دولة ، وسائر الناس طبقة مطحونة، كما نجد في الحال الحاضر، مثال الاول في الشرق، ومثال الثاني في الغرب.

التحرك الافقي والعمودي للمجتمع

قد تقدم ان الاجتماع يأخذ في التحرك،اذا كان المجتمع صالحاً،والتحرك على نحوين :

(الاول): التحرك الافقي ، بأن يغير الفرد مكانته الاجتماعية الى مكانة مماثلة كان يخرج من جمعية ليدخل في جمعية اخرى ، حيث مكانته فيهما متساوية.

(الثاني) : التحرك العمودي ، وذلك[صعوداً] حيث ان الحرية والكفائة توجبان صعود الفرد الى المكانة اللائقة به في اعلى درجات الاجتماع،او[نزولا] حيث ان توفر الكفائة في غير الصاعد ، يوجب ان يصعد ، فيخلى الصاعد مكانه للاكثر كفائة بينما هو ينزل الى المستوى اللائق به ، ولذا تكون المجتمعات الراقية في حال تحرك دائم وصعود ونزول ، بخلاف المجتمعات المتأخرة حيث انها في حال جمود وركود .

والاجتماع بالنسبة الى تحرك الافراد افقياً او عمودياً على ثلاثة اقسام :

(الاول): الاجتماع المنغلق الذي لايسمح للتحرك لوجود الاستبداد المطلق الكابت للناس عن الحركة ، والكبت يكون بالقتل والتعذيب والسجن والمصادرة وتلفيق التهم ، وفي مثل هذا المجتمع تموت المواهب ، وتقبر الحريات .

(والثاني): الاجتماع المنفتح، وهوبعكس الاول ، وعلامة هذا المجتمع حرية الصحافة والتجارة والثقافة والاعلام والتحرك في مختلف ابعاد الحياة والحاكم فيه كسائر الافراد ينتقد علناً، ويحاسب على كل ما عمله ، وفي مثل هذا المجتمع تتفتق المواهب، ويتقدم الاجتماع بكفاءاته الى الامام .

(الثالث) : الاجتماع المتوسط بين الاجتماعين ، فلا استبداد الانصفياً ، ولاحريات الافي الجمله ، وهذا الاجتماع ، أسبابه مأخوذة من الاجتماعين السابقين ، كل في الجملة ، كما ان علائمه وآثاره ، بين الامرين .

وحيث كانت مزايا الاجتماعات الثلاثة ،على ماذكر فـ(المنطلق) يتقدم على القسمين الاخرين دائماً ، بينما (المنبثق) منهما يتقدم على (المنغلق) أبداً.. وقد كان هذا من أسباب تقدم بلاد الاسلام على بلاد العالم أبان ظهور الاسلام ، حيث كانت بلاد العالم منغلقة ، وبلاد الاسلام منطلقة.. كما ان بنفس هذا السبب تقدمت البلاد الصناعية ، على بلاد الاسلام في هذه الحقبة من التاريخ ، اذ ان تلك البلاد منبثقة ، بينما بلاد الاسلام اصبحت منغلقة .

ثم ان التغيير الاجتماعي يحدث اول ما يحدث في مؤسسة من مؤسسات الاجتماع ، ثم ينتقل الى مؤسسة ثانية وثالثة ، وهكذا حتى يشمل كل الاجتماع ، سواء كان ذلك في طرف الصعود أو النزول ، مثلا : اذا نشطت المؤسسات الدينية ايماناً واخلاقاً وعلماً ،سرى النشاط الى المؤسسات الثقافية ،ومنها يسرى الى المؤسسات الصناعية،وهكذا حتى يعم المجتمع الايمان الصحيح والاخلاق الفاضلة والعلم الوفير ، واذا جمدت المؤسسة الحكومية ـ بأن صارت ديكتاتورية ـ جمدت المؤسسات التابعة ، ثم المستقلة ، ثم يسري الجمود الى الجماعات والافراد ، وينزل الاجتماع ، فان الانطلاق والجمود مثلهما مثل

الماء ، يتطلب تساوى السطوح .

ثم انه قد يقوم جماعة من الناس ضد الدولة فيسمون في المنطق الاسلامي [بالخوارج] وفي المصطلح حالا [بالمنشقين] فان أرادوا الانفصال سموا [بالانفصاليين]فان تمكنت الجماعة التي قامت ضد الدولة من اسقاط الدولة سموا [بالثوار] وقد يطلق الثوار على مطلق الخوارج والمنشقين ، وان لم تتمكن من اسقاط الدولة سموا في منطق تلك الدولة [بالمتمردين،والعصاة] واذا كان الذين قاموا ضد الدولة هم أغلبية الناس سموا [بالثائرين] وسمى عملهم ـ اذا اسقطوا الدولة [ثورة] ثم اذا استقر الحكم للثوريين ، وقام جمع ضد الثورة لاعادة الحكومة السابقة، أوتشكيل حكومة جديدة سمى عملهم ذلك [بالثورة المضادة] .

وقد لاتكون [الثورة] في البعدالحكومي ، بل في البعد الاجتماعي بأن أرادالناهضون تحسين الوضع الاجتماعي، أوالصناعي، أوالزراعي، اوالثقافي، أو السياسي ، فان مثل هذه النهضات تسمى باسامي اهدافها ، فيقال : [الثورة الاجتماعية] او [الصناعية] والى آخره .

نظرة على الانقلابات العسكرية

أما كيف نجد الانقلابات العسكرية في البلاد المتخلفة ، ولا نجدها في العالمين الشرقي والغربي؟ فذلك لان البلاد المتخلفة ـ ومنها بلاد الاسلام في الحال الحاضر ـ فيها تخلف في جميع ابعاد الحياة، من ناحية، ومن ناحية ثانية هي تحت نير الاستعمار المباشر ، او غير المباشر ، وكثيراً مايتغلب استعمار على استعمار في تبديل الحكام ، او يريد الاستعمار السابق تبديل وجوه عملائه ،

ليكونوا أرضى للشعب ، أويريد أرباحاً اكثر مما لايسمح العملاء السابقون له بذلك ، فيقوم المستعمر بواسطة جماعة من عملائه بالانقلاب في غياب من الوعي الجماهيري ، ورشد الامة .

ولذا كان اللازم على المفكرين تنوير الامة وتوعيتها حتى لايقع فيها انقلاب ، كما ان اللازم بيان : ان كل الانقلابات التي وقعت في العالم الثالث ـ بما فيها العالم الاسلامي ـ كانت من ولائد الاستعمار ، مهما اظهر عمال الانقلاب انفسهم بمظهر النظافة والطهارة والاخلاص .

والدليل على ذلك ، انك لاتجد في اي من تلك الانقلابات تحسيناً في حالة الشعب ، بل بالعكس كانت كلها سبباً لاجراء سيل من الدماء ، وملأ السجون وتعذيب الابرياء، وانتهاك أعراض النساء والاولاد، ومصادرة الاموال، وتشريد الامنين ، وتحطيم بقايا الحريات ، والى آخره .

وقد ذكرنا في المقدمة الطريق الى نجاة المسلمين من براثن المستعمرين وعملائهم .

اما انه كيف لاتقع الانقلابات العسكرية في البلاد الشرقية والغربية ؟

اما في البلاد الشرقية فلان الديكتاتورية الحاكمة تقمع كل احتمال معارضة بأبشع انواع القمع ، فمثلا : في عهد ستالين قتل من الفلاحين زهاء خمسة ملايين في تطبيق نظام المزارع الجماعية ، ووصل عدد السجناء والمبعدين الى معسكرات الاعتقال في سبيريا الى اكثر من عشرين مليون، والامر وان خفّ بعد ستالين ، الا ان الحال كذلك الى الان : حكومة بوليسية ، وكبت وخنق والبلد سجن كبير ، والناس يقتلون ويسجنون بالشك والوهم ، ويجبرون على الاعترافات على انفسهم في اثر تعذيبات شديدة واعمال شاقة ، وقد قتلوا من

المسلمين اكثر من خمسة ملايين عند استيلائهم على الجمهوريات الست الاسلامية . . وبعد ان مات [ماوتسي تونغ] ظهر ان قتلاه اكثر من عشرين مليون . . وفي كوبا نصف مليون سجين من تسعة ملايين هم مجموع افراد البلد، وهكذا، وفي مثل هذه الاجواء من غير المترقب الانقلاب اوالثورة .

واما في البلاد الغربية، فان الدعاية المكذوبة وشيئاً من الحرية المخدرة وبعض الرفاه النسبي ، والضبط البوليسي الشديد لعدم بروز اعمال العنف . اوجب عدم الانقلاب والثورة .

بين حكم السماء وحكم الارض

واذا قامت دولة اسلامية ـ حسب موازين الكتاب والسنة ، ومثل ماحكم رسول الله ﷺ ، وعلي عليه السلام ـ مما وفر للناس الحرية الكاملة بما أوجب رفاه الناس كاملا ، وانطلاقهم كما أراد الاسلام، لرأى الناس البون الشاسع بين نمط هذا الحكم ، وبين الانماط للحكومات الغربية التي تدعى الحرية والرفاه ، ولرؤا ان البوليس الاجرامي يقل ، والدعاية لاتكون الا صحيحة.

واسس مثل هذا الحكم :

(١) الايمان بالله واليوم الاخر .

(٢) الاخلاق الفاضلة .

(٣) الشورى من القمة الى القاعدة حتى ان القيادة العليا تتكون من المراجع الذين هم المقلدون للامة ،فان كان للامة عشرة مقلدون كانوا كلهم داخلين في المجلس الاستشارى الاعلى وهكذا .

(٤) اطلاق كافة الحريات الفكرية والعملية في جميع المجالات [الا

مجال المحرمات حيث ان المحرم ضار بالنفس أو الغير، ولا حرية للضار) .

(٥) تعددالاحزاب الحرةالسليمة والتي هيمدارسلتربية القادةالسياسيين

(٦) الاقتصاد السليم الذي لايولد الرأسمالية المنحرفـة ، ولا الاشتراكية الباطلة .

(٧) الاجتماع الصحيح الذي يتخد قوانين الاسلام منهجاً في العبادات و المعاملات والاحوال الشخصية ، والعقوبات والقضاء وغيرها .

وحيث قد ازيح حكم السماء عن الارض ابتلى الناس بالانـحراف ، و كما قال سبحانه فقد صار للناس : «معيشة ضنكاً» وقد وصف مثل ذلك الامام أمير المؤمنين عليه السلام ، بأن الشعار الخوفوالدثار السيف، وقد صار للاجتماع البشري ـ بمجموعه ـ الخواص التالية :

أ ـ تمركز رأسالمالبيد النخبة الحاكمة فيالبلاد الشرقية، والرأسماليين في البلاد الغربية، الى جانب فقر مدقع ومسكنة لانظير لهما فيالتاريخ، شملا الملايين والملايين من الناس .

ب ـ سباق التسلح والخوفالمطلق، والحروبوالمؤامرات والانقلابات المتتالية ، واستيلاء روح الانتقام والتوحش .

ج ـ ضعف الايمان و الاخلاق ، و التحاسد و التبـاغض و الفوضى و الاضطراب .

د ـ استيلاءالروحالمنفعية والمصلحية والانتهازية علىالسياسة والاقتصاد والاجتماع وغيرها .

ولا علاج لشيء من ذلك الا برجوع قوانين السماء الى الارض « ومن يؤمن بالله يهد قلبه » و «الا بذكر الله تطمـئن القلوب» .

مراحل علم الاجتماع

(مسألة ـ ٨ ـ) اذا لاحظنا علم النحو، رأينا انه يمر بثلاث مراحل :

مرحلة المطالعة لكلمات العرب، ومرحلة كشف القوانين للغة العربية ، ومرحلة تنظيم تلك القوانين في الكتب تنظيماً عمودياً، بتقديم ماحقه التقديم وتأخير ماحقه التأخير، وافقياً بترتيب المسائل التي لا ترتيب بينها .. واذا لاحظنا سائر العلوم رأينا فيهاالمراحل الثلاث، مثلا: علم الطب يمر بمرحلة ملاحظة الطبيب الابدان و أمراضها و علاجها و علائمها، ثم مرحلة كشف القوانين العامة أوالغالبية، ثم تدوين تلك القوانين عمودياً وافقياً .

وكذلك علم الاجتماع له هذه المراحل الثلاث فالعالم الاجتماعي :

(أولا): يلاحظ الاجتماع، ويدقق في سير الامور المرتبطة به تدقيق ملاحظة واحصاء وكشف، لاتدقيق تجربة وعمل، اذ الاجتماع لاينفعل وانما يفعل بخلاف من يجرب دواءاً فانه يجربه بالفعل، اي يزرعه، ويسقيه ماءاً زائداً او ناقصاً ، ويقطعه ويعطيه لحيوان ليرى اثره فيه، الى غير ذلك ، فعلم الاجتماع داخل في سلسلة العلوم [الانفعالية] اي : [ان العالم يلاحظ] لا العلوم [الفعلية] فـ[ان العالم الاجتماعي لايفعل ولايجرب] .

و(ثانياً) :يدرك القوانين المطلقة، مثل: قانون [الحسن يحسنه الاجتماع] و[القبيح يقبحه الاجتماع] وانه [كلما ارتفعت ثقافة الناس ارتفع اقتصادهم]و [كلما تحسنت اخلاق الاجتماع تقدمت سائر شؤنهم] أوالمقيدة ـ أي بزمان أو

مكان خاصين ـ مثل: [الولادة في الارياف أكثر من الولادة في المدن] و[الثقافة في المدن أكثر من الثقافة في الارياف] حيث انه لاتلازم بين الامرين ، وانما الحكم كذلك غالباً ، في جملة من المدن والارياف ، لاسباب خاصة سببت هذا الاختلاف .

(وثالثاً) : يضع عالم الاجتماع القوانين المكتشفة في مدونات خاصة ، مرتبة عمودياً وافقياً، ويخرج علم الاجتماع الى الظهور.. وقد كان علم الاجتماع قليلا أو كثيراً منذ القديم منتشراً في كتب ، ثم في القرون الاخيرة وضعت له كتب وقواعد وما أشبه، شأنه شأن سائر العلوم ، التى كانت منتشرة ثم جمعت في مدونات خاصة ، وتكاملت بكثرة البحث والمطالعة .

علم الاجتماع : الموضوع والمسائل والغرض

وحيث ان لكل علم موضوعاً ، هو جامع موضوعات مسائله ، ومحمولا هو جامع محمولات مسائله ، ومسائل موضوعاتها صغريات كلي الموضوع ، ومحمولاتها صغريات كلي المحمول، وبهذه الوحدة الاعتبارية يؤثر ذلك العلم في غرض خاص ، هو مورد توجه المدون لذلك العلم . . كان لعلم الاجتماع أيضاً تلك الامور الثلاثة :

أ ـ فموضوع علم الاجتماع هو [كيفية الحياة البشرية من حيث الاجتماع] . وكما اذا قلنا : ان موضوع علم النحو [الكلمة من حيث نطق آخرها] كانت [الكلمة] موضوعاً للعلم جامعاً لموضوعات مسائله و[من حيث نطق آخرها] محمولا للعلم ، جامعاً لمحمولات مسائله . . كذلك موضوع علم الاجتماع [كيفية الحياة البشرية] ومحموله [من حيث الاجتماع] .

ولايخفى ان علم الاجتماع بمعناه الاعم ، يشمل الاجتماع الحيوانى أيضاً مثل حياة النملة والنحلة والارضة ، وما أشبهها ، لكن المهم عندنا الان علم الاجتماع بمعناه الخاص ، أي الاجتماع الانساني .

ب ـ ومسائل علم الاجتماع، صغريات ذلك الموضوع والمحمول العامين مثل البحث عن الاجتماع المتقدم والمتأخر ، والصناعي والزراعي وغيرهما ، والمثقف والجاهل ، والغني والفقير ، والمستعمر والمستعمر ، الى غيرها من المسائل الكثيرة .

ج ـ والغرض من هذا العلم : كشف القوانين الاجتماعية العامة أو الخاصة، لاجل معرفة الخطأ والصواب في الاجتماع ، حتى يمكن انتشال الاجتماع المتأخر بترشيده الفكري ليعرف مواقع خطائه فيتجنبها ، ولحفظ الاجتماع المتقدم عن الانحطاط بممارسة المناهج الصحيحة دائماً ، ولحث الاجتماع المتقدم للمزيد من التقدم .

وبذلك ظهر [تعريف علم الاجتماع] بأنه معرفة القوانين الحاكمة على الحياة البشرية من حيث الاجتماع(١).

مهمة علماء الاجتماع

ثم ان العالم الاجتماعي ، لدى ملاحظته الاجتماع ووضعه حيث يكلف ببيان الروابط الاجتماعية يلزم عليه :

(أولا) : بيان :

---

(١) لايخفى انا لم نلاحظ فى هذا المبحث الدقة المتعارفة فى علم الاصول ، لان المهم كان الالماع فقط منه (دام ظله) .

١ ـ الروابط الاحيائية المبعثرة .

٢ ـ الروابط التي يجري عليها الاجتماع عادة وتقليداً في شئونه المتنوعة مــن ساعة ولادته الى بعد موته ، مما يشبه المؤسسات الدائمة ، مثــلا : كل اجتماع له مراسيم خاصة للولادة ، ومراسيم خاصة للزواج ، ومراسيم خاصة للموت ، ومراسيم خاصة للتهنئة والتعزية ، مما يجرى في الاجتماع نسلا بعد نسل ، وكأن تلك المراسيم مؤسسات تحقق خير الانسان من ساعة ولادته الى ساعة اهالة التراب مثلا على قبره .

٣ ـ الروابط الدائره في مؤسساته المختلفة من رسمية أو اقتصادية اوسياسية أوغيرها .

و(ثانياً) : بيان مواضع الخطأ والصواب ، والحسن والاحسن ، والسيء والاسوء ، في تلك الامور الثلاثة الانفة الذكر ، مثلا : في مراسيم ،الموت : من عادة بعض الوحوش أكل لحم ميتهم، ومن عادة بعض المبذرين دفنه بأشياء ثمينة، ومن عادة بعضهم حرق ميتهم ، ومن عادة بعضهم دفنه في تابوت ، كما ان من عادة المسلمين دفنه بعد تنظيفه [بالغسل] ولفه في ثوب نظيف (كالكفن) الى غير ذلك، فاللازم على علم الاجتماع ان يبين فلسفة الفساد في الفاسد ، والصلاح في الصالح ،وبذلك يقرب الاجتماع الى مايصلحه ويقدمه ، ويبعده عمايفسده ويؤخره .

ثم ان علم الاجتماع لما كان يأخذ سير الاجتماع وخصوصياته ومزاياه ، فهو مجموعة علوم ، الغيت فيها جانب مزايا تلك العلوم ، وادرجت في علم الاجتماع ، ولذا فاللازم ملاحظة أربعة امور :

١ ـ علم الاجتماع من حيث الغرض .

٢ - علم الاجتماع من حيث الموضوع .

٣ - علم الاجتماع من حيث السند .

٤ - علم الاجتماع من حيث الحدود .

علم الاجتماع النظري والعملي

أ ـ أما علم الاجتماع من حيث الغرض ، فانه ينقسم الى : (١) النظري . و(٢) العملي: فالاول: هو الذي يعتمد على الذهن أكثر مما يعتمد على الخارج بأن يأخذ من الخارج أشياء ليكشف بها القوانين العامة الحاكمة على الاجتماعات والمؤسسات الاجتماعية ، من دون نظر الى كيفية التطبيقات ، بينما الثاني يهتم بالجانب العملي ، أي كيف يمكن تطبيق تلك القوانين على الخارج ، مثل : انه كيف يمكن اصلاح الاجتماع؟ كيف يمكن التخطيط والهندسة للاجتماع؟ كيف يمكن القيام بالثورة الاجتماعية ؟ والى آخر، مثلهما في ذلك ، مثل من يتعلم قواعد علم الطب ، ومن يتعلم كيف يطبق تلك القواعد على الخارج ؟

علم الاجتماع سعة وضيقاً

ب ـ وأما علم الاجتماع من حيث الموضوع ، فان العالم الاجتماعي قد يتكلم، حول هذا العلم بمعناه العام من دون ملاحظة كل مسألة مسألة عليحدة ، وقـد يخصص علمه بمسألة خاصة من هذا العلم ، فانه قد توسعت فروع علم الاجتماع ، الى علم الاجتماع السياسي ، وعلم الاجتماع الاقتصادي ، وعلم الاجتماع الصناعي ، وعلم الاجتماع الزراعي، وعلم الاجتماع القضائي وعلم الاجتماعي الحقوقي ، وعلم الاجتماع الديني ، والى غير ذلك .

(فالاول) : وهو علم الاجتماع ـ بمعناه العام والمطلق ـ يأخذ من كل علم

من هذه العلوم قدراً أساسياً ، ويتكلم حوله باقتضاب ، بينما (الثاني) يجعل أي فرع من تلك الفروع موضع هدفه ، ويتكلم فيه بأسهاب ، ويلحق بهذا القسم الثاني [فرع الفرع] كما اذا أخذ عالم الاجتماع [جانب الانتاج الاجتماعي] أو [جانب التوزيع الاجتماعي] بالنسبة الى الاقتصاد أو [جانب الاحزاب الاجتماعية] أو [جانب القدرة الاجتماعية] بالنسبة الى السياسة .

علم الاجتماع من حيث السند

ج ـ وأما علم الاجتماع من حيث السند ، فان العالم الاجتماعي قد يسند في استخراجه القوانين الى الوثائق والمدارك التاريخية ، وذلك فيما اذا أراد التحقيق حول [الاجتماع التاريخي] وقد يسند في استخراجه القوانين الى الاجتماع الحاضر المشاهد ، وذلك فيما اذا أراد التحقيق حول [الاجتماع الحاضر] واذا أراد عالم الاجتماع التحقيق حول ماسيكون عليه الاجتماع في المستقبل كان لابد وان يسند الى كلا السندين ، لاجل التكهن بالمستقبل ، في حدود الامكان .

علم الاجتماع وسائر العلوم

د ـ وأما الامر الرابع ، وهو علم الاجتماع من حيث الحدود مع سائر العلوم، وبين علم الاجتماع المطلق، وعلم الاجتماع الخاص، فهو على ثلاثة امور :

(١) بين العلم العام والخاص، أي علم الاجتماع بصورة مطلقة، وعلم الاجتماع السياسي مثلا ، والنسبة بينهما نسبة [العموم المطلق] حيث الثاني أخص من الاول ، نعم ، هناك امور تذكر في الخاص من حيث الاستيعاب لا

يذكر في العام الا ّ بالاجمال والايجاز .

(٢) بين علم الاجتماع العام، وعلم الزراعة مثلا، والنسبة بينهما [عموم من وجـه] حيث ان علم الاجتماع يشمل الزراعة الاجتماعيـة والصناعة و السياسة وغيرها ، بينما علم الزراعة يشمل هذا العلم سواء من جهته الاجتماعية أوسائر جهاته .

(٣) بين علم الاجتماع الخاص، مثل علـم الاجتماع الاقتصادي ، وبين علم الاقتصاد، والنسبة بينهما عموماً من وجه، حيث ان [علم الاجتماع الاقتصادي] يلون علم الاقتصاد بلون الاجتماع، بينما ليس هذا موجوداً في علم الاقتصاد و من ناحيـة اخرى ، علم الاقتصاد يتعرض لما لايتعرض لـه علم الاجتماع الاقتصادي مثل تاريخ الاقتصاد، وكيفية تحصيل الدولة لما تحتاجها من المال وكيفية صرفه ، وامور البنك وغيرذلك .

مايجب ملاحظته فى التحقيق الاجتماعى

بقي شيء، وهوان من أهم مـايلزم على العالم الاجتماعي في تحقيقاتـه ملاحظة امور :

أ ـ الدقة في التحقيق [فانه بالاضافة الى ان العلم أمانـة ، والخيانة من أشد المحرمات الشرعية العقلية] .

قال سبحانه: «انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال * فأبين أن ؛ حملنها وأشفقن منها * وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولا» .[(١)]

---

(١) سورة الأحزاب آية ٧٢ .

ان عدم استقامة القوانين والنظريات الاجتماعية ينتهي الى ظلم الناس ، وذلك محرم عقلا وشرعاً أيضاً، مثلا: لولم يحقق العالم الاجتماعي في الفوائد الاجتماعيـة لتعدد الاحزاب ، مما حبّذ وحدة الحزب اجتماعيـاً انتهى الى الديكتاتوريـة الموجبة لهدر الاموال والاعراض والدماء ، فان العلم يأخذ طريقه الى العمل غالباً .

قال سبحانه: «وليحملن أثقالهم وأثقالا مع اثقالهم»[1] .

وقال سبحانه: « ومن أوزار الذين يضلونهم بغيرعلم»[2] .

وقال سبحانه: «ولا تقف ماليس لك بـه علم*ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا»[3] .

ب ـ عدم التعصب ، فان المحقق كثيراً مايقع تحت نير التعصب ، وذلك يحرف تحقيقه مماله آثار سيئة، ولافرق في ذلك بين التعصب لبلده ، أوقومه أو دينه ، أوجماعته ، أوغيرذلك .

ج ـ عدم تأثير القدرة عليه ، سواء في الحكومات الديكتاتورية بسبب المال والسلاح ، أوفي الحكومات الاستشارية بسبب المال والجاه، ولذا نرى سقوط كثير من المؤرخين لاجل تزلفهم للسلطات خوفاً أو طمعاً ، فلا عبرة بتواريخهم ، وهكذا حال غير المؤرخ مـن العلماء الذين يتأثرون بالقدرة ، ويصبحون فقهاء البلاط ، أووعاظ الملوك، أوشعراء وكتاب الامراء .

د ـ عدم تأثره بالدعاية والاجواء ، فان عـدم الاحتياط والحزم والدقة ، يسقط العالم في الاجواء المصطنعة ، بدعاية أوغيرها ، فان ذلك أيضاً يوجب

---

(١) سورة العنكبوت آية ١٣ .

(٢) سورة النحل آية ٢٥ .

(٣) سورة الإسراء آية ٣٦ .

الانحراف المسقط للعالم الاجتماعي ، وغيره عن درجة الاعتبار ديناً ودنياً .

وقد ورد في الحديث : (رحم‌الله امرءاً عمل عملا فأتقنه) .[١]

وورد أيضاً : (من ابدى صفحته للحق هلك) .[٢]

وقال سبحانه : «فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا * فويل لهم مما كتبت أيديهم * وويل لهم مما يكسبون»[٣] وفي الحديث : (فلا يغرنك طنطنة الرجال من نفسك) .[٤]

---

(١) الأمثال النبوية ج/٢ ص ١٠٣ .

(٢) نهج البلاغة /صالح / ص ٥٠٢ .

(٣) سورة البقرة آية ٧٩ .

(٤) نهج البلاغة /صالح / ص ١٩٠

مستلزمات اتقان التحقيق الاجتماعي

(مسألة ـ ٩ ـ) المحقق الاجتماعي يلزم عليه ، لاتقان المسألة امور :

(الاول) : انتخاب منطلق تحقيقه ، فان المنطلقات المختلفة تؤدي الى النتائج المختلفة وذلك يؤدي كثيراً ماالى الخطأ ، حيث ان المنطلق يكون منحرفاً ، مثلا : قديرى المحقق بلداً فيه حريات النقد والكتابة والاذاعة والتلفزيون والكسب والانتخابات ومأأشبه ، ومن هذا المنطلق المرئي ، يقول بوجود الحريات في البلد الفلاني ، بينما ان المنطلق ليس مايرى ، بل المنطلق هو البنية الاجتماعية للمجتمع ، فاذا لوحظت تلك البنية يجد ان تلك الحريات مزيفة ، وان الناس يعيشون تحت الكبت ، حالهم حال المخدر الذي يظن انه سالم ، لكن التخدير أورثه هذا الزعم ، وانما هو في أشد حالات المرض فمثلا الرأسمالية المنحرفة مسلطة على ذلك البلد ، فقبضت كلشيء ، فالنقد حر ، لكن لغير رأس المال ، والانتخاب حرّ لكن لايفيد حرية الانسان بعد ان اشترت رأس المال الضمائر ، والكلام حرّ ، لكن يخاف المجتمع من الكلام حيث ان من ورائه الاخطبوط الذي يسبب الازدراء بكل كلام ضد رأس المال ، وهكذا وقد ذكرنا شيئاً من تفصيل ذلك في [كتاب الاقتصاد] .

بينما المحقق الاجتماعي اذا اختار المنطلق من الحريات الواقعية ، والتي لم يسيطر عليها الاخطبوط ذهب الى عدم الحرية الواقعية في ذلك البلد ، وانما فيه سراب حرية خادع ، وشبح لاروح له ولا حول ولا طول .

تشخيص مفردات البحث

(الثاني): تشخيص مفردات البحث، والا لوقع في الخطأ ، على ماذكروا في علم المنطق، مثلا : اذا قيل هل البلدة الفلانية ديمقراطية أم لا ؟ أوالحكومة الفلانية ديكتاتورية ، أو الجمعية الفلانية وطنية ؟ لولم يحقق المحقق حول الكلمات الثلاث بكل دقة ، ويبين حدودها ، لوقع في نتائج مغلوطة ، ففي [الديمقراطية] لم لو يحقق انها عبارة عن الحرية الكاملة في الانتخاب ، بدون تأثير جو أو دعاية أو مال أو ماأشبه ، لزعم انها ديمقراطية ، بينما الواقع انها ليست كذلك .

وفي [الديكتاتورية] لوزعم انها ما يقابل البلد الذى فيه مجلس الامة وصحف حرة ، وما أشبه، لقال بأنها ليست ديكتاتورية ، بينما أحياناً الديكتاتورية تغلف بثوب مهلهل من الحريات يعرفها المدقق ويغفل عنها السطحي ، فاللازم على المحقق الاجتماعي ان يحقق أولا عن معنى كلمة [الديكتاتورية] ثم يصدر حكمه بأن البلدة ليست ديكتاتورية .

و [في الوطنية] ان زعم انها ما تكون افرادها متجنسين بجنسية الوطن رأى ان الجمعية وطنية، أما ان حدد الكلمة ، بأنها ما تخدم الوطن ، تغير رأيه حيث كانت تلك الجمعية لاتخدم الوطن .. ومن هنا زعم كثير من المسلمين ان قوله عليه السلام : (حب الوطن من الايمان) يراد به الوطن الجغرافي الذي حدد حدوده الاستعمار في القرن الاخير، ولذا يطلقون كلمة [الاجنبي] على غير من كان في تلك الحدود ، بينما [الوطن] في الحديث [الوطن الاسلامي] والاجنبي من لم يكن مسلماً ، وان كان آبائه منذ ألف سنة في هذا البلد .

اتخاذ النماذج المختلفة

(الثالث): اتخاذ النماذج المختلفة في ارادة اصدار الاحكام الكلية [الغالبية] اذ لما كان الاحصاء التام غير ميسور غالباً ، يكتفي المحقق الاجتماعي باتخاذ النماذج، فقد يتخذها من رديف واحد ، زماناً أو مكاناً أو خصوصية ، وحينذاك لايصح الحكم كلياً ، وقد يتخذها من مختلف الاردفة فيكون الحكم الكلي قريباً من الصواب .

ففي مثال الزمان ، اذا أراد المحقق ان يحكم على أهل قطر كذا بالذكاء أو الغباء ، لم ينفع أن يأخذ الاحصاء عن معاصريه فقط بل اللازم ان يسبر غور التاريخ ، فاذا رأى في جمله من الازمنة ذكائهم ، قال بأنهم اذكياء ، والا لم يحكم بذلك. . وفي مثال المكان ، اذا أراد ان يحكم ، بأن القطر الفلاني حسن المناخ أو سيىء لم ينفع ان يجد احدهما في عشرة من المائة من أماكنا بل ولا الخمسين في المائة ، والا كان حكمه اعتباطاً . . وفي مثال سائر المشخصات اذا أراد ان يحكم ان الشباب في البلد الفلاني مائلون الى العلم لاينفع ان يأخذ أمثالا من شباب الاغنياء أو شباب الفقراء أو شباب الاحزاب بل اللازم ان يأخد عينات من كل الفئات حتى يكون حكمه غالبياً [كلياً : اصطلاحاً] .

الانتخاب الدقيق للجمل

(الرابع): الانتخاب الدقيق للكلمات والجمل ، التي يريد البحث حولها حتى لاتسبب كتبه ومقالاته، ضلالا وتحريفاً ، فان الكلمات الرجراجة والجمل المهلهلة ذات الاحتمالات والمحامل تؤدي الى الانحراف في السامع والقارىء

مثلا: اذا قال : بأن المجتمعات التي وصلت الى تساوي الحقوق بين أفرادها تعيش حياة أكثر سلاماً ورفاه من غيرها ، لم ينفع ذلك عن الانزلاق، اذ هناك سؤال، هل المراد بالتساوي المماثلة ،أو العدالة ؟ ـ اذ كل واحد منهما قد يستعمل في المقام الاخر، فان بينهما عموماً من وجه ـ واذا قيل العدالة : فهل العدالة بالنسبة الى رؤساء العوائل؟ أو افراد العائلة؟ وهكذا ..ثم يتسائل ماهو المراد من [الحقوق] ؟ فهل المراد الحقوق السياسية؟ أو الحقوق الاقتصادية ؟ أو الحقوق الاجتماعية؟ أو المراد كافة الحقوق ، واذا كان المراد الحقوق السياسية، فهل السياسة عموماً ؟ أو حق الانتخابات ؟ أو حق الحكم والادارة ؟

كشف الاسباب والمسببات والملازمات

(الخامس): كشف الاسباب والمسببات والملازمات ـ وعلى قول الفلاسفة والاصوليين: العلل والمعلولات والملازمات: أو اللازم والملزوم والملازم ـ فان الدنيا عالم الاسباب ، وأبى الله ان يجرى الامور الا بأسبابها ، وفي القرآن الحكيم : « ثم اتبع سبباً » واصول ذلك يرجع الى خمسة امور :

أ ـ هل الشيء الفلاني علة ؟ فان المحقق الذي يريد كشف القانون يلزم ان يلاحظ ان الظاهرة الاجتماعية مسببة عما ذا؟ فاذا لاح في ذهنه فرضية ، يدقق ويتسائل: هل الشيء الفلاني علة ؟ مثلا: رأى هياج الاجتماع، فيتسائل هل الامر الاقتصادي علة لهذا الهيجان ؟ بأن كان السبب تدني الاجور وتضخم السلع؟

ب ـ فاذا تحقق لديه ان السبب الامر الاقتصادي يتسائل : هل هو وحده السبب ؟ لامكان أن يكون شيء آخر معه أيضاً ، مثل بعض العوامل السياسية مما يسبب الهيجان ؟

لايقال : لايمكن تأثير سببين في مسبب واحد ؟

لانه يقال : اذا صار اثنين ، كان كل واحد جزء السبب ، كما ان الرصاصة اذا كانت قاتلة ، فتعددت صارت كل واحدة جزء سبب القتل .

ج ـ فاذا تحققت العلة واحدة أو أكثر ، كان على المحقق أن يتسائل ، وهل للعلة علة ؟ وهكذا حتى ينتهي الى جذور الظاهرة ، مثلا : ظهر له ان الهيجان لاجل قلة المعاشات المسببة عن التضخم، فيتسائل : وماهي التضخم ؟ فيصل الى انه من جهة صرف الدولة أموالا طائلة لاجل الحرب ، فيتسائل : ولماذا الحرب ؟ وهكذا .

د ـ وبعد الوصول الى جذور المشكلة، يأتي دور آثارها ، وآثار آثارها ، فان المعلول قد يكون بدوره علة لشيء آخر، ففي المثال السابق حيث الهيجان يتسائل : فما هو آثار الهيجان ؟ فاذا اجيب : مظاهرات واضرابات ، تسائل مرة اخرى : والى ماذا تنتهي المظاهرات والاضراب ، هل تقابلها الحكومة بالشدة لتملأ السجون والمستشفيات والمقابر ؟ والى غير ذلك.

هـ ـ واخيراً يأتي دور التحقيق عن الملازمات ، سواء للظاهرة ، أو لاسبابها ، أو لمسبباتها ، ففي المثال السابق ، المظاهرة تلازم فصل المديرين جماعة من العمال عن أعمالهم ، مما يوجب تفشى البطالة ، والفرق بين المعلول والملازم واضح ، فان العلة والمعلول في سلسلة واحدة ، بينما الملازم في عرض المعلول ، مثلا : نور النهار وحرارته ليس أحدهما علة للاخر ، وانما كلاهما معلولان لعلة ثالثة هي اشراق الشمس ، مثلا .

ثم ان الانسان بالتعقل والتفكر والتجربة ، يصل الى هذه الامور ، فاللازم ان يكون المحقق متأنياً ، دقيقاً ، يلاحظ الاشباه ، ويقارن الاضداد حتى يستخلص الواقع .

قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام : (العقل حفظ التجارب وخير ماجربت

ما وعظك) .[١]

وقال عليه السلام :[في كتاب له الى أبي موسى الاشعري] : (فان الشقي من حرم نفع ماأوتي من العقل والتجربة)[٢] ، وقال عليه السلام : (الفكر مرآة صافية)[٣]

(١) نهج البلاغة /صالح/ ص ٤٠٢ .
(٢) نهج البلاغة /صالح/ ص ٤٦٦ .
(٣) نهج البلاغة /صالح/ ص ٥٣٨ .

العوامل المؤثرة فى الفرد

(مسألة ـ ١٠ ـ) اذا أردنا أن نعرف الاجتماع يلزم علينا ان نعرف كيف يتولدالاجتماع، وكيف يعيش ، وكيف يصعد ويهبط، وكيف يضعف ويقوى كماً أو كيفاً ؟ .

فنقول :الاجتماع مركب من أفراد ، وحالات الافراد تتجلى في الاجتماع ، ولذا يلزم ان نعرف أول مانعرف ، ما هي العوامل المؤثرة في الفرد ؟

ان العوامل المؤثرة في الفرد ـ على الأغلب ـ امور عشرة :

١ ـ الجسم

(الأول) : جسمه الظاهر ، فان التركيب الخاص ببدن الانسان ، مما يؤثر في سلوكه وأعماله واجتماعه فلو كان الانسان مثل الفيل ، أومثل الطير، أو مثل السمك ، أو مثل النمل ، لكان اجتماع الانسان بغير هذه الصورة الحالية ، وان كان في داخل ذلك الانسان المفروض نفس العقل والغرائز الموجودة الان في داخل هذا الانسان بهذا الشكل .. كما ان تلك الحيوانات التى مثل بها اذا كانت في غير تلك الاشكال ، لكان لها حياة بغير هذه الحياة التى تعيشها الان ، مثلا : لو كان النمل بقدر الحمام هل كان يعيش في ثقب البيوت ؟ أو هل كان يقتنع بجمع ذرات الطعام ؟ ولو كان الفيل ذا أجنحة ، هل كان يعيش كما يعيش الان ؟

ان نطفة كل حيوان أو نبات ـ بأية كيفية كانتا ـ لابد وان تشتمل على اربعة اجهزة [قوى] هي التي تسير الحيوان من بدء تكونه الى يوم وفاته ، وكذلك هذه الاربعة موجودة في داخل كل نطفة ثمرة ، وفي نطفة الانسان ايضاً:

١ ـ الجهاز الذي لايترك الجسم ليكبر عن قدره المقدر له ، أو يصغر عن ذلك، فمثلا العصفور لايبقى بقدرة جرادة ، ولايكبر الى ان يكون بقدر الحمام، وكذلك قل في التفاح انه لايبقى صغيراً بقدر لوزة ، ولايكبر بقدر دابوعة ، والانسان لايبقى صغيراً بقدر ارنبة ، ولايكبر بقدر الخرتيت ، أليس كل ذلك بسبب جهاز مخفي يترك الشيء الى ان يصل قدره ، ثم يمسكه ان يتجاوز عن ذلك القدر .

٢ ـ الجهاز الذي يحفظ الجسم عن خروجه عن التوازن المقدر بين أعضائه ، مثلا : يد الانسان لاتكبر بقدر ذراعين ، ولاتبقى بقدر نصف ذراع وعينه لاتأخذ مسافة بقدر الحاجب ، ولاتبقى صغيرة بقدر حمصة .

٣ـ وجهاز يلاحظ الكيفية ، فلا يسود الجسم في الانسان الابيض ، ولايبيض في الانسان الاسود ، وان أكل الاول طول عمره الاشياء السود ، مثل التوت الاسود ، والثاني الاشياء البيض كاللبن ـ لكن بشرط توفر المواد المحتاج اليها البدن في تلك الاطعمة ـ وكذلك بالنسبة الى الجميل لاينقلب قسحاً ، وبالعكس ، وحمرة الشفه ، وسواد العين ، وبياض أطراف الحدقة ، الى غير ذلك لاتتغير ، الا في حالات مرضية ـ ليس الكلام فيها الان ـ .

٤ ـ وجهاز يحفظ التوازن بين الذكر والانثى في حدود امكانه ، فلو لم تلد النساء خمسين سنة رجلا أو امرأة لانعدم النسل ، وكذلك في الحيوان، أليس ذلك وليد جهاز خاص في داخل ابدان الاباء ، أو المواليد يحفظ هذا

التوازن بما يمكن للانسان ضبطه نسبياً ؟

وقد قال سبحانه : «الذي أعطى كل شيء خلقه ، ثم هدى» [(١)].

٢ ـ الغرائز

(الثاني) : الغرائز ، فان كل انسان فطر على غرائز خاصة ، هي حقائق في داخله ، تبعث على صفات خاصة ، وقد سماها القرآن الحكيم فطرة فقال : «فطرة الله التي فطر الناس عليها» [(٢)] أليس الكرم والشجاعة والرأفة وما أشبه صفات نابعة من داخل الانسان ؟ فكما ان الجسم يتلّون بمختلف الالوان ـ والتي عدت الى خمسة وعشرين مليون لون ـ كذلك النفس لها ألوان ، وفي الاحاديث : (ان الله خلق العقل والجهل ، وأعطى كل واحد منهما جنوداً [(٣)]) أليس ذلك حقيقة ؟ والا فمن اين هذه الصفات ؟

كما انا نشاهد ان في الحيوان أيضاً غرائز مختلفة ، أما قابلية الانسان تغيير غرائزه دون الحيوان ، فلعل ذلك لان غرائز الانسان خلقت هكذا دون غرائز الحيوان ، أو لعل الحيوان قابل أيضاً لكنه بحاجة الى وسائل صعبة ، ومدد طويلة ، مما ليس الانسان كذلك ، أو غيرهما ؟

٣ ـ العقل

(الثالث) : العقل ، وهو مايحسه الانسان في باطنه حيث يجد التنازع في

---

(١) سورة طه آيه ٥٠ .

(٢) سورة الروم آية ٣٠ .

(٣) أصول الكافي ج/١ ص ٢١ .

كثيرمن الامر بين نزعة الخير ونزعة الشر، ومن الواضح ان الذات الواحدة لا اثنينه فيها حتى تكون آمرة رادعة ، وقد وردت في الاحاديث ان أول ماخلق الله العقل ، ثم قال له : (بك اثيب وبك اعاقب)[١] فالسارق مثلا في داخله شيء يأمره بالسرقة ، وآخر ينهاه عنها ، ومن يريد بناء مسجد يقع بين ذلك الامر والزاجر .

وقدأشار الامام أمير المؤمنين عليه السلام الى ما تقدم من الامور الثلاثة في جملة من كلماته .

فقال عليه السلام : (انشأ الخلق انشاءاً ، وابتدئه ابتداءاً ، بلا روية اجالها ولا تجربة استفادها ، ولاحركة احدثها ، ولاهمامة نفس اضطرب فيها ، احال الاشياء لاوقاتها ، ولام بين مختلفاتها ، وغرز غرائزها ، والزمها أشباحها ، عالماً بها قبل ابتدائها)[٢] .

وقال عليه السلام : (فجعل منها صورة ذات احناء ووصول واعضاء وفصول .. فمثلت انساناً ذا أذهان يجيلها، وفكر يتصرف بها، وجوارح يختدمها، وأدوات يقلبها ، ومعرفة يفرق بها بين الحق والباطل ، والاذواق والمشام ، والالوان والاجناس، معجوناً بطينة الالوان المختلفة، والاشباه المؤتلفة والاضداد المتعادية، والاخلاط المتباينة ، من الحر والبرد والسبلة والجمود)[٣] .

٤ - الوراثة

(الرابع) : الوراثة فان الانسان كسائر الحيوانات يرث من ابويه كثيراً من

---

(١) بحار الأنوارج/١ ص ٩٧ .
(٢) نهج البلاغة /صالح/ ص ٤٠ .
(٣) نهج البلاغة /صالح/ ص ٤٢ .

الصفات والمزايا والخصوصيات مما يؤثرفي حياته وطريقة أعماله ، وقد ورد في الحديث : (الولد سرّ ابيه) وفي حديث آخر : (العرق دساس)[1] .

وفي كلام الامام أمير المؤمنين عليه السلام لولده محمد. (ادركك عرق من امك)[2] الى غير ذلك .

وقد أكد ذلك جمع من العلماء ، بل ان بعضهم ذهب الى أبعد من ذلك من ان الانسان يرث معظم الصفات ، الا انها لاتظهر الى الفعلية ، بل تبقى كامنة لضغط العوامل الاخر على هذا العامل .

٥- القوم

(الخامس) : القومية الخاصة ، فانها اطار اعم من أطار الوراثة . مثلا : الولد يشبه أبويه ، وفي نفس الوقت يشبه قومه ، وهذا شيء حفل به التاريخ الغابر والمعاصر ، فبنو هاشم كانوا كرماء حلماء شجعان ، بينما بنو امية كانوا بخلاء لئماء أصحاب حيل ومكر وخداع ، وليس المراد بالقومية الرسوم والاداب والعادات غير المرتبطة بالعرق ، بل بالتربية ، فان ذلك من عامل خارجي ، وانما الكلام الان في العامل الداخلي ، حتى اذا ربى انسان اجنبي مع قوم ، كانت له تلك الاداب والرسوم ، ولكن لاتكون له تلك الصفات القومية .

ومن قبيل القومية ، ان الانسان من أي فصيل من فصائل البشر ، الفصيل الابيض، أو الاسود أو الاصفر ، فقد قسم جمع من علماء الاجتماع كل البشر

---

(١) مكارم الأخلاق ص ١٩٧ .

(٢) بحار الأنوار ج/٤٢ ص ٩٨ .

الى هذه الفصائل الثلاث ، وبعضهم قال بأنه أكثر ، والمهم في البحث ان هذا الاطار العام أيضاً يؤثر في كيفية الانسان الباطنية ،كما يؤثر في كيفيته الظاهرية .. بل ذهب بعضهم الى أبعد من ذلك ، وقال بأن الذكاء يختلف في هذه الاجناس ، لكن هذا مالم يقم عليه دليل قطعي .

أما جمال الظاهر فمن الطبيعي ان ترى كل جماعة نفسها أجمل من غيرها ، فالاسود يرى الجمال في السواد ، بينما يرى الابيض عدم الجمال في ذلك وهل هو حقيقي كالجمال أم اعتباري ـ في الجملة ـ أو واقعي ؟ وانما العادة سببت تحريف الذوق احتمالان .

أما قوله سبحانه : «وصوركم فأحسن صوركم »[١] و« تبارك الله أحسن الخالقين »[٢] فلا يستفيد منها الاطلاق ، وانما على نحو القضية الطبيعية ، أو بالقياس الى غير الانسان ، بل قد ذهب بعض الحكماء ، ان كل المخلوقات في غاية الجمال، وللمجموع من حيث المجموع جمال المجموع ، فحتى العقرب والرتيلاء جميلتان، وانما حيث ينظر الانسان اليهما نظر الاشمئزاز و التنفر يراهما قبيحتين «ماترى في خلق الرحمان من تفاوت»[٣] .

٦ ـ الدين

(السادس): الدين، فان له أهمية كبرى في التأثير فى الفرد، ثم التأثيرفى الاجتماع، ولذا نشاهد الفرق الشاسع بين المجتمع المتدين بدين والمتدين بدين آخر ، وبينهما وبين المجتمع اللاديني ، ومن جراء ذلك نشاهد أن الخطط التي توضع لمجتمعما، لاتصلح لمجمع آخر، اذاكان الثاني بلون

---

(١) سورة غافر آية ٦٤ .

(٢) سورة المؤمنون آية ١٤ .

(٣) سورة الملك آية ٣ .

غير لـون الاول ، مثلا : وضع الدكتور شاخت خطة للتنميـة الاقتصادية في آلمانيا فنجحت نجاحاً باهراً، بينما وضع نفس الدكتور خطة مشابهة للتنميـة في اندونيسيا، ففشلت فشلا ذريعاً ولم يكن السبب الا أن المجتمع الاندونيسي مجتمع اسلامي دينى ، بينما المجتمع الالماني مجتمع مسيحي علماني .

ولايخفى الفرق بين الدين المرتبط بالحياة كالاسلام، حيث له مناهج في كل الشؤون، وبين الدين غير المرتبط كالمسيحية، ففي مثل الاول يلزم أحد الامرين: أما انسلاخ المجتمع عن الدين حتى يتمكن منهاج موضوع ـ على خلاف الدين ـ من النفوذ، وأما أن يفشل المنهاج، قريباً أوبعيداً، حيث أن الاصول تصادم التطبيق. والاصول ـ لكونها عقدة في جذور الانسان وتحملها الملیارات من الكتب ـ ليست قابلة للسقوط وانما يسقط المنهاج الموضوع.

وهذا هو سر مانشاهده من تصادم الشعوب الاسلامية مع حكوماتها، مما بسبب أن تعيش الحكومة في عزلـة من الشعب الى أن تسقط، وعند سقوطها تكون للشعب فرحة كبرى بزوال الطاغوت .

قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام: (ان الله تعالى خصكم بالاسلام واستخلصكم لـه ، وذلك لانه اسم سلامة وجماع كرامة ، اصطفى الله تعالى منهجه، وبيّن حججه، من ظاهر علم وباطن حكم، لاتفني غرائبه، ولا تنقضي عجائبه، فيه مرابيـع النعم، ومصابيح الظلم، لاتفتح الخيرات الا بمفاتيحـه، ولاتكشف الظلمات الا بمصابيحـه، قد أحمى حماه ، وأرعى مرعاه ، فيـه شفاء المشتفي وكفاية المكتفي) .[1]

وقال عليه السلام : (فمن يبتغ غير الاسلام ديناً تتحقق شقوته وتنفصم عروته، و

---

(١) نهج البلاغة / صالح / ص ٢١٢ .

تعظم كبوته، ويكون مآبه الى الحزن الطويل، والعذاب الوبيل).. [١] وقال عليه السلام: (لايترك الناس شيئاً من أمر دينهم لاستصلاح دنياهم الا فتح الله عليهم ماهو أضر منه) [٢].

٧ ـ الثقافة

(السابع): الثقافة ، فانها حيث تبين للناس رسم الحيـاة، التي يمكن أن يتجنب فيها الاخطار بـل الحياة السعيدة ، الى أن يصل الى الحياة التقدمية، توجب توجيه الانسان، والمراد بالثقافة أعم عن التي تعلمها من بيته أومدرسته أومحيطه، أواكتسبها هوبفكره وتجربته.

ومايقال : من ان ولد العالم نصف العالم ، يراد بـه، انه رأى أباه كيف يعمل فتعلمه، والمراد أن العلم نظري وعملي، والعملي يستوعبـه الانسان من أبيـه العالم ، كما أن مايقال: لاأدرى نصف العلم، يراد بـه ان العلم نصفان، نصفه أن تعلم انك تعلم ونصفه أن تعلم انك لاتعلم [في قبال الجهل المركب] .

وقدورد في الحديث: (ان لقمان عليه السلام كان كثير التفكر) كماورد في أبي ذر «رضوان الله عليه» [كان أكثر عبادته التفكر] [٣] فالفكر يعطي الانسان معرفـة الاسباب والمسببات، وارتباط الاشياء بعضها ببعض، وطرق النجاح والفشل والفكر مثله مثل القائد الامر، بينما العمل الجوارحي مثله مثل التابع المأمور ولذا ورد: (فكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة) [٤] وورد: (انما الاعمال بالنيات) [٥]

---

(١) نهج البلاغة / صالح / ص ٢٣٠ .

(٢) نهج البلاغة / صالح / ص ٤٨٧ .

(٣) البحار ج/٦٨ ص ٣٢٦ .

(٤) البحار : ج ٦٨ ص ٣٢٦ ، انظر : اسرار الصلاة ص ٢٨٦ .

(٥) الوسائل : ج ١ ص ٣٤ الباب ٥ من أبواب مقدمة العبادات ح ٧ .

الى غير ذلك .

والسعداء لم يسعدوا الا بالفكر الصالح الذي تعقبه عمل صالح والاشقياء لم يشقوا الا بالفكر الفاسد الذي تعقبه عمل فاسد ، وقد تكرر في القرآن الحكيم: «الذين آمنوا وعملوا الصالحات»(١) فالايمان فكر ونية وعزم، والعمل الصالح مايتبع ذلك .

٨ ـ الاسوة

(الثامن): الاسوة، فان الانسان يأتسى في أعماله بمثال أوأمثلة ، ويجعل تلك منهجاً لعمله، ولذا نجد الصالحين يتبعهم رعيل من الصالحين وبالعكس من ذلك الفاسدين. وفي القرآن الحكيم: «قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه»(٢) .

وقال تعالى: «لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر وذكر الله كثيراً »(٣) .

وفي كلام للامام أمير المؤمنين عليه السلام: (فليتأس متأس بنبيه والا فلا يأمن الهلكة)(٤) .

ولعله لذا ورد: (من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها، ومن سن سنة سيئة كان له وزرها ووزر من عمل بها)(٥) .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥ .

(٢) سورة الممتحنة آية ٤ .

(٣) سورة الأحزاب آية ٢١ .

(٤) مكارم الأخلاق ص ٩ .

(٥) مشكاة الأنوار ص ٢٤٧ .

٩ ـ المحيط الطبيعي

(التاسع) : المحيط الطبيعي فانــه يؤثر في الانسان تأثيراً كبيـراً ، فكل انسان كثيراً مايكيف حياته على الطبيعة اماتكييفاً طبيعياً، واماصطناعياً فالاول مثل تأثير المناطق الاستوائيــة في لون بشرة الانسان، بينما ليس كذلك تأثير المناطق غير الاستوائية، واذا سكن انسان من الاستواء في المناطق غير الحارة لم تمر أجيال منه الا ويعتدل لونه، والعكس بالعكس .

وكذلك من التأثير الطبيعي كون الامزجة حارة في الاستوائية ، بلغميــة في القطبية، وبينهما في غير المناخين المذكورين وأمراض المناطق المختلفة تختــلف حسب المحيط الطبيعي، كما ان الحضارات ازدهرت في الاماكن الملائمة ، لا القطبية والاستوائية لان المناخ المناسب يعطي للانسان فرصــة تكوين الحضارة وتكميلها، بينما المناخ غير المناسب لايلائم ذلك .

وقد أرسل الانبياء بكثرة في الشرق الاوسط ، وقال سبحانــه : «باركنا حوله»[١] حيث قال بعض المفسرين البركة بالانبياء ،وورد في الحديث أن موسى عليه السلام كان معه سبعون نبياً .[٢]

ومن الواضح ، وجود النشاط في الربيع والخريف، بما ليس مثلــه في الشتاء والصيف، وقد ورد : (توقوا البرد في أوله وتلقوه في آخره، فان أوله يورق، وآخره يحرق، وانه يفعل بأبدانكمْ كما يفعل بأشجاركم) .[٣]

والذين يسكنون القطب يصنعون البيوت من الجليد، بينما سكان الغابات

---

(١) سورة الإسراء آية ١ .

(٢) بحار الأنوار ج/٤ ص ٤٧ .

(٣) نهج البلاغة /صالح/ ص ٤٩١ .

يصنعونها من الخشب ، وسكان البادية يصنعونـها خباءاً من الجلد تارة و من الوبـر و الصوف اخرى ، أما سكان الجبـال والغابات – من المتوحشين – فيسكنون الكهوف ورؤس الاشجار ،ومن على الضفاف يصنعون بيوت الطوب و لاجر والطين .

أما أكل سكان سيوف البحار فالسمك ، بينما سكان الواحات والمعاشب يأكلـون لحم الاغنام ، أما سكان الغابات فيأكلون مختلف أنواع الصيـد . . و كل يعمل أدواته مما عنده، فسكان الغابـة يعملونها من الاخشاب، بينما سكان الجبال ونحوها يصنعونها من الاحجار، وأهل الحضارات من المعادن .

وفي مراكبهم يستفيد كل مما لديه من أوعال وأحمرة، وجمال، وأفراس، ونحوها .. وملبس كل حسب مايجده عنده، من جلد حيوان، أوقطن أوصوف أوأوراق أشجار متينة ، وهكذا الاستفادة من الادويـة تختلف حسب اختلاف المناطق فلكل منطقة أدوية خاصة لايلائم أهل تلك المنطقة الا تلك الادوية.

١٠ ـ المحيط الاجتماعي

(العاشر): المحيط الاجتماعي، حيث يؤثـر الاجتماع في الانسان تأثيراً كبيراً، و كلما كان الاجتماع أكبر، كان تأثيره في الانسان أكثر ، ويكون من كبر الاجتماع اتصاله بالوسائل الحديثة باجتماعات اخر، بالحركة أوالاستماع أوالمشاهدة، بل وحتى بالتجارة والزراعة فانه اذا نقلت بضائع ومصنوعات و حبوب من بلد آخر الى بلد الانسان تعلم منها التقدم والتطور .

فان الانسان ، للغريزة المودعة فيه من حب البقاء وحب التطور ، يقتضي دائماً مايبقيـه ومايقدمه، فاذا رأى شيئاً يصادم أحدهما تجنبـه ، واذا رأى شيئاً

يمده في أحدهما اتخذه، والاجتماع حيث يمتلأ بالمصادمات وبأسباب التقدم يسبب انسحاب الانسان عن ميادين المصادمة ، وسيره الى ميادين التقدم، فهو بين انفعال وفعل ، حاله حال من في الغابــة يهرب من الأسد ، ويتقدم لقطف الثمر، وكما انه لولم يكن أسد ولا ثمر، لم يهرب ولم يتقدم ، كذلك اذا لم يكن اجتماع لــم يكن هرب عن مصادمات الاجتماع ، ولا تقدم الى مواضع الفائدة .

لا .. للانانية والعصبيات

بقي أمران :

أ ـ في الافراد غير الناضجين تؤثر الانانية والتعصب القومي، والتعصب الجغرافي،وكل ذلك يؤخر الانسان، فالانانية الفردية والقومية والجغرافية، ستر يحجب بين الانسان وبين مصالحه، فلنفرض ان الانسان طبيب وابتلى بمرض لايفهمه، فهل خير له أن يراجع طبيباً يفهم مرضه ولو من غير قومــه ومن غير محل سكناه ، أو يتعصب فيعمل بمداواة نفسه ، أوالى طبيب قومه ، أوطبيب محل سكناه ؟ والحال هكذا في كل الامور العلمية والصناعية وغيرها .

[أمــا مانشاهده من تقديم العقلاء بضائــع أنفسهم على بضائع غيرهم ، فليس ذلك الا لاجل موازنة أهم، فهم فى الحقيقة أيضاً يرجعون الى الاصلح لا الى الفاسد لاجل الانانية] .

والحال كذلك بالنسبة الى القضاء للقريب والقوم ومن محل السكن ، قبل تبيّـن الحق ، أوبعد تبيـّن أن الحق ليس لهم .

وكذلك بالنسبــة الى غلق أبواب البلاد ، أمام العلم ، أو أمام الغير ممن

يسمونه بالاجنبي فيغير المصطلح الاسلامي، مع ان ضرر كل ذلك يعودالى الانسان نفسه .

ومن هذا القبيل صنمية الاحزاب والمنظمات والجمعيات، حيث انها تطرد الغير وان كان صالحاً، وتمدح الذات وان كانت طالحة .

وقدذكر الاسلام نصوصاً كثيرة في مضادة هذه الامـور ، والتي لاتنتهي الا بضرر الفرد والجماعة، ففي القرآن الحكيم: «لاتبخسوا الناس أشياءهم»[١]

وقال سبحانه [عن لسان شعيب] : «ويـاقوم لايجرمنـّكم شقاقي أن يصيبكم مثل ماأصاب قوم نوح أوقوم هود أوقوم صالح وماقوم لوط منكم ببعيد»[٢] .

وقال تعالى: «ولا يجرمنـّكم شنآن قوم ان صدّوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا، وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان»[٣] .

وقال سبحانه : «ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنـّكم شنآن قوم على أن لاتعدلوا أعدلـوا هوأقرب للتقوى ، واتقوا الله ان الله خبير بماتعملون»[٤] .

وقال سبحانه: «ياأيها الذين آمنوا كونـوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربيـن ان يكن غنياً أوفقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا أوتعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيراً»[٥] .

وقال علي عليه السلام: (اما أخ لك في الدين أونظير لك فيالخلق)[٦] .

---

(١) سورة الأعراف آية ٨٥ .

(٢) سورة هود رية ٨٩ .

(٣) سورة المائدة آية ٢ .

(٤) سورة المائدة آية ٨ .

(٥) سورة النساء آية ١٣٥ .

(٦) نهج البلاغة /صالح/ ص ٤٢٧ .

وفي الحديث: (انصاف الناس من نفسك)[١] وفي حديث آخر: (من تعزى بعزاء الجاهليــة فاعضوه بهن أبيــه ولا تكنّوا) وفي شعر منسوب الى الامام عليه السلام (فان يكن لهم في أصل نسب) (يفاخرون به فالطين والماء)[٢] وفي الاية الكريمة: «انا خلقنـا كم من ذكر وانـثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم»[٣].

وفي الاية الكريمة: «لاتقف ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا»[٤] الى غيرها من الايات و الروايـات الواردة بصدد ماذكرناه .

الزهد في الدنيا

ب ـ حيث ذكرنا المؤثرات العشر في الانسان، وذكرنا في البند السابق مسألة الانانية، ينبغي ذكر ان اللازم على الانسان أن يتزهد في الدنيا، لا زهد التاركين الرهبان، بل زهد من يعرف عدم قيمة الدنيا في نفسها فكيف بقيمتها في قبال الاخرة، فلا يفسد آخرته لتعمير دنياه، بـل يجعل الدنيا كالقنطرة ، و يعمل بما قالـه الامام الحسن عليه السلام : (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، وأعمل لاخرتك كأنك تموت غداً)[٥].

---

(١) بحار الأنوار ج/٧٢ ص ٢٩ .

(٢) ديوان الإمام علي عليه السلام ص ٥ .

(٣) سورة الحجرات آية ١٣ .

(٤) سورة الإسراء آية ٣٦ .

(٥) وسائل الشيعة ج/١٢ ص ٤٩ .

وفي القرآن الحكيم آيات بهذا الصدد، قال سبحانه: «وابتغ في ما آتاك الله الدار الآخرة، ولاتنس نصيبك من الدنيا، وأحسن كما أحسن الله اليك»[(١)].

وقال تعالى: «ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، اولئك لهم نصيب مما كسبوا»[(٢)].

وفي كلمات الرسول والائمة عليهم السلام أحاديث كثيرة بهذا الصدد:

قال علي عليه السلام: (لبئس المتجر أن ترى الدنيا لنفسك ثمناً ومما لك عند الله عوضاً)[(٣)].

وقال عليه السلام: (اقبالها خديعة وادبارها فجيعة)[(٤)].

وقال عليه السلام: (فلتكن الدنيا في أعينكم أصغر من حثالة القرظ[(٥)] [هو شيء يدبغ به] وقراظة الجلم [هوالمقص الذي يجز به الصفوف]).

وقال عليه السلام: (ان دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز)[(٦)]، وفي كلام آخر له: (من عراق خنزير في يد مجذوم)[(٧)].

---

(١) سوره القصص آية ٧٧.

(٢) سورة البقرة آية ٢٠١.

(٣) نهج البلاغة / صالح / ص ٧٥.

(٤) غرر الحكم: ص ١٩٧ ح ٣٧٥٣.

(٥) نهج البلاغة / صالح / ص ٧٦.

(٦) نهج البلاغة / صالح / ص ٥٠.

(٧) نهج البلاغة / صالح / ص ٥١٠.

التأثير المتقابل بين المحيط الاجتماعي والمحيط الطبيعي

(مسألة ـ ١١ـ) بين المحيط الاجتماعي والمحيط الطبيعي تأثير متقابل، فكل واحد منهما يؤثر على الاخر، تأثيراً كثيراً أحياناً، وقليلا أحياناً، ويتراوح الامر بين الجانبين، فربما كان تأثير احدهم على الاخر أكثر من العكس، اذ كلما كان الاجتماع أكثر قدرة من حيث الفكر و الالة و الصنعة، كان تأثيره على الطبيعة أكثر، و كلما كان بالعكس كان تأثير الطبيعة على الاجتماع أكثر.

فمن ناحية قوة الاجتماع يقلع الانسان أشجار الغابة الزائدة ويجفف المستنقع ويغير مجرى الانهر، ويقلع الجبال، و يشق في ظاهرها الطرق، وينقب في باطنها لمرور السيارات والقطارات، وينقب تحت الارض ليصنع المدن و نحوها، أو ليستخرج المعادن ويغير الهواء [ـ على الاقل ـ في داخل الغرف] من الحر الى البرد وبالعكس، وينشأ المطر، ويقرب البعيد بالوسائل السمعية والبصرية، وبالمواصلات، و ينير ظلام الليل، وظلام القطب، ويستخدم قوى المياه والارياح لاجل ادارة المعامل ويشق في الاراضي النائية الوعرة الطرق، و يثقب الارض حتى يصل الى المواد المذابة في داخلها لاجل الاستفادة من حرها في النور والحركة، والحاصل: انه يهيء لنفسه وسائل الراحة والتقدم من الطبيعة.

ومن ناحيةالطبيعة، تؤثر الطبيعة في الانسان فيتغيير بشرته، وتجعيد شعره وانكماش جلده ، وتصغير ثقب أنفه ـ كما في الذين يعيشون في البرد القارص حيث انالانسان يصغر ثقب أنفه حتى يصعب وصول الهواء البارد بسرعةالى رئته ، بحيث يوجب له الامراض ـ وتشحيذ ذكائه في المناطق الحارة في الجملة ، أو تكثير بلادته في المناطق الباردة في الجملة ، وتحريف مزاجه أو استقامته ، وسرعة بلوغه ، لان النضج يكون أسرع ، أو تأخيره ـ في المجال الممكن بين الامرين ـ وسرعة أو بطوء شيبه ، فالاول في المناطق الحارة ، والثاني في المناطق الباردة ، كما ان الاغذية المختلفة والمياه كذلك تسبب صحة الانسان تارة ، ومرضه اخرى .

وقد تسهل الطبيعة فيتمكن الانسان فيهامن بناء الحضارة ، سواءبناهاأم لا وقدتصعبفيصعبللانسان بناء الحضارة فيها .. ولا تلازم بينالاقوامالمختلفة فيالاستفادة وعدمها كمالاتلازم بينوحدة الطبيعة ووحدة خصوصيات الاقوام فمثلا : في النرويج قومان ، أحدهما أرفع طولا من الاخر وأحدهما أنصع لوناً منالاخر، وفي مكة المكرمة كانت تعيش قريش وامية ، واخلاقالاولى العدل والكرم والصراحة والصفاء والخدمة ،بينما أخلاق الثانية بالعكستماماً من الاولى .

و في الجنوب الغربي من امريكا يعيش قومان من الهنود الحمر [هوبي] و[ناواهو] فمع اتحاد المناخ بالنسبة لهما ، و اتحاد المزاج فيهما ، فهوبي يمتهنون الزراعة ، ويبنون البنايات الكثيرة الطبقات ، بينما ناواهو يمتهنون الرعي، ويسكنون عمارات ذات طبقة واحدة .

نعم الغالب ان المناخ الواحد يشبه ساكنوه بعضهم لبعض في أكثر

الامور ، كماان الساكنين[في مناخ واحد يستفيدون من خيرات الطبيعةاستفادة واحدة] .

قد تختلف معيشة الابناء مع معيشة الاباء

ولا تلازم بين كيفية معيشة الاباء ومعيشة الابناء ، وان كان المناخ واحداً والكيفية العامة واحدة ، اذ كثيراً ما تنقلب أحوال الامم من حالة الى حالة ، حتى في جيل واحد وذلك حسب اختلاف الثقافة والاسوة ، فقد أرى التاريخ ان عرب الجاهلية ، كانوا في شظف من العيش [يشربون الطرق ، ويقتاتون القد والورق] وكانوا اذلة خاسين ، الجهل صبغتهم العامة ، ووأد البنات من المكرمات عندهم ، والقتال ونهب الأموال وهتك الاعراض ديدنهم والعبادة للخشب والحجارة مفخرتهم ، والمعاقرة والزنا والشذوذ الجنسي رائجة بينهم.

وفجئة تحولت تلك الامة ــ ببركة الاسلام ــ الى كل ما كان يخالف حالتهم السابقة حتى صاروا «خير امة اخرجت للناس » و«شهداء على الناس» «وامة وسطا» بلا افراط وتفريط وقدحملوا مشاعل العلم والهداية والفضيلة و التقوى الى مشارق الارض ومغاربها .

وقد أشار الامام أمير المؤمنين عليه السلام الى حالهم قبل الاسلام وبعده ، بقوله: (ان الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم نذيراً للعالمين ، وأميناً على التنزيل، وأنتم معشر العرب على شر دين ، وفي شر دار ، منيخون بين حجارة خشن ، وحياة صم ، تشربون الكدر ، وتأكلون الجشب وتسفكون دمائكم ، وتقطعون ارحامكم ، الاصنام فيكم منصوبة ، والاثام بكم معصوبة) .(١)

---

(١) نهج البلاغة / صالح / ص ٦٨ .

وقال عليه السلام: (ان الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، ليس أحد من العرب يقرأ كتاباً ، ولا يدعي نبوة ، فساق الناس حتى بوأهم محلتهم، وبلغهم منجاتهم فاستقامت قناتهم ، واطمأنت صفاتهم) .(١)

وقال عليه السلام: (واشهد انمحمداً عبدهورسوله ابتعثه والناس يضربون في غمرة، ويموجون فيحيرة ، قدقادتهم ازمة الحين [الهلاك] واستغلقتعلى افئدتهم أقفال الرين).(٢)

و قـال عليه السلام : (فالاحوال مضطربة : والايدي مختلفة ، والكثـرة متفرقة ، فيبلاء ازل [شدة] واطباق جهل ، من بنات مؤدوة ،وأصنام معبودة وأرحام مقطوعة ، وغارات مشنونة) .(٣)

وقال عليه السلام : (أضائت به البلاد بعد الضلالة المظلمة ، والجهالة ، الغالبة ، والجفوة الجافية ، والناس يستحلون الحريم ، ويستذلون الحكيم ، يحيون على فترة ، ويموتون على كفرة).(٤)

وقال عليه السلام : (فانظروا الى مواقع نعم الله عليهم ، حين بعث اليهم رسولا ، فعقد بملته طاعتهم ، وجمع على دعوته الفتهم ، كيف نشرت النعمة عليهم جناح كرامتها ، واسالت لهم جداول نعيمها ، والتفت الملة بهم فـي عوائد بركتها ، فأصبحوا في نعمتها غرقين ، وفي خضرة عيشها فكهين، قد تربعت الامور بهم في ظل سلطان قاهر ، وآوتهم الحال الى كنف عز غالب، وتعطفت الامور عليهم في ذوى ملك ثابت ، فهم حكام على العالمين وملـوك

(١) نهج البلاغة / صالح / ص ٧٧ .
(٢) نهج البلاغة / صالح / ص ٢٨٣ .
(٣) نهج البلاغة / صالح / ص ٢٩٨ .
(٤) نهج البلاغة / صالح / ص ٢١٠ .

في اطراف الارضين ، يملكون الامور على من كان يملكها عليهم ، ويمضون الاحكام فيمن كان يمضيها فيهم ، لاتغمز لهم قناة ولاتقرع لهم صفات[الحجر الصلد] [1].

قوة الاجتماع تبعد الانسان عن اضرار الطبيعة

ثم انه كلما قوى الاجتماع ، كان الانسان أبعد عن اضرار الطبيعة ، كالحر والبرد ، والشمس المحرقة والظلمة المتراكدة ، والعوائق الطبيعية ، و الحيوانات الضارة والمؤذية، بينما كلما ضعف الاجتماع كان الامر بالعكس بل الانسان يكون في ظل الحضارة الاجتماعية أكثر عمراً وأصح جسداً ، و أكثر أولاداً ، بل وأجمل جسماً وأهنأ نفساً ، وأبعد عن المنازعات والمقاتلات، والفوضى والاضطراب ، والعكس بالعكس .

وقد ورد في الاية الكريمة : « سلام هي حتى مطلع الفجر » [2] ان كل مقدرات الانسان التي ينزلها الله سبحانه في ليلة القدر لعامه ، سلام وانما تتحول عن السلام بسوء فعل الانسان ، وحتى مثل طغيان البحر ، والقحط الناشيء عن قلة المطر ، والمرض والموت الباكر ، وتشوه الاطفال والتلف بالزلازل والصواعق ، انما تكون من سوء فعل الانسان .

فلماذا لايتعاون الانسان لاجل جعل السد أمام ماء البحر؟ و لماذا لايحفر الانسان الابار الارتوازية لئلا يرتبط رزقه بالمطر ؟ولماذا لايحافظ على صحته

---

(١) نهج البلاغة / صالح / ص ٢٩٨ .

(٢) سورة القدر آية ٥ .

الشخصية ، وصحة البيئة عن التلوث حتى يبتلى بالمرض ؟ وكذلك الموت أكثر من سوء فعل الانسان ، ولذا ورد في الحديث : (أكثر اهل المقابر من التخمة) ولماذا لايحافظ على الجنين حتى يتشوه ؟ ولماذا لايجعل انفاقاً في الارض حتى تجر الزلزال الى خارج المدن ، أو يجعل للزلزال آلات تخبر عنها قبل تكونها ، ليتجنبها الناس ؟ و لماذا لا يدفع شر الصواعق بالالات المخمدة لها ؟

فالانسان يتمكن أن يقوي جسمه ونفسه حتى لاتؤثر فيهما العوامل الطبيعية كما يتمكن ان يزم الطبيعة بزمام العلم حتى لاتطغى عليه ، وقد جعل سبحانه الكون مسخراً للانسان ، لانه جعل الانسان مسخراً للكون.

قال تعالى : « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ، ولكن كذبوا »[1].. هذا بالاضافة الى الاسباب الغيبية التي هي وراء الماديات .

(١) سورة الأعراف آية ٩٦ .

اسس رقي المجتمعات

(مسألة ـ١٢ـ) ان الله سبحانه خلق الانسان أول ما خلقه انساناً ، وقد دل على ذلك مختلف الاديان ، أما التفصيل الذي ذكره الماديون من ان اصل الانسان كان حيواناً ، فقد دلت الادلة على عدم صحة ذلك ، و قد زود الله الانسان بامور خمسة : (١) الفكر (٢) النطق (٣) الكتابة (٤) امكانية تطوير ما حوله بسبب اليد والرجل والحركة (٥) كونه اجتماعياً ، فان الانسان بهذه الامور الخمسة ، تمكن من التدرج الى مدارج الرقي .

فبالثلاثة الاولى تمكن الانسان ان يستوعب علماً كثيراً ، وثقافة واسعة بالنسبة الىذاته وبالنسبة الى ما حوله .

(١) حيثان الله سبحانه خلقملايين المخلوقات ، وقد احصى في علم الحيوان مليون حيوان ، كما أحصى من الاشياء غير الحيه مليونان ، ومن الواضح انكل شيء من هذه الامور ذات أبعاد متعددة ،وكثيراً ما تكونذات أشياء وأجزاء ، مثلا : الوردة لها جسم ، وأوراق ، وألوان ، وعطر ، وبزر ، وغيرها وحتى الشيء الذي ليس له أجزاء ، ذو ابعاد من لون وملمس وجسم وغيرها ، هذا من ناحية .

(٢) ومن ناحية ثانية هذه المخلوقات فيحركة وتطورواجتماع وانفصال مما يضيف الى حالتها الذاتية حالة اخرى ، مثلا : الوردة من ابتداء تكونها الى حين رجوعها الى التراب والماء والضوء والهواء لهاحالات مختلفة ، وقد

قال الحاج السبزواري :

كون المراتب في الاشتداد انواعاً استنار للمراد

وانما قلنا :[الى حين رجوعها] لان الاربعة السابقة أهم مقومات التكون ثم الشيء يتحلل الى سابق حاله ، ولذا سمى الحكماء العالم بالكون والفساد فان بزر الزهرة ماكنة و فيها قوة تتمكن ان تجذب الى نفسها تلك العناصر الاربعة ، كلا بقدر خاص ، وتمزج بينها وتغير صورها الى ما يناسب الزهرة من اللون والحجم والعطر والكيفية وغيرها ، ثم بعد انتهاء قوة الماكنة تتحلل وترجع الاجزاء الى ما كانت عليه سابقاً من التراب والماء و غيرها .

وليس هذا بالنسبة الى الحيوان والنبات والانسان فحسب ، بل الجماد أيضاً في تحرك دائم ، كما ثبت في علم الذرة ، وأشار الى ذلك الامام الصادق عليه السلام ، حيث قال لبعض أصحابه : (ان الاجرة التي يراها الرأي جامدة ساكنة هي في حركة دائمة) .

وان شئت قلت : ان العالم قد خلق فيه مليارات الاجزاء ،وهي مبعثرة في كل العالم ، والماكنات الصغار المودعة في الذرات تجذب ما يناسبها من تلك المليارات فتكبر نفسها ، مثلا : بزر الزهرة –وهي ماكنة أو مآت الماكنات – تجذب شيئاً من العطر ، واللون والطعم ، والفائدة ، و.. المناسبة لها ، أي حسب تركيب الله تعالى لتلك الماكنة ، حتى تبلغ بلوغها النهائي ، ثم تقف الماكنة عن الحركة لتأخذ الزهرة في التحلل ، ويرجع ، كل شيء الى الفضاء لتمتص ماكنة ثانية ، في وقت مناسب آخر الاجزاء المذكورة . وتتكون زهرة جديدة ، وهكذا .

(٣) ثم من ناحية ثالثة ، جعل الله للكون مليارات من القوانين ، قانون حركة الارض واحد منها ، وقانون ان النفط يعطي الدفء والضوء اثنان منها وقانون ان في كل جزء من البدن قوة جاذبة للغذاء ، وقوة مبقية لها ، وقوة غاذية ، وقوة دافعة للزائد أربعة قوانين منها ، وقانون ان في الكبد ألفي ماكنة ألفا قانون منها ، وهكذا .

(٤) ومن ناحية رابعة هناك قوانين اعتبارية وانتزاعية ومالها تقرر في وعاء خاص وقوانين ذهنية، مثل اعتبار الورق ديناراً ، وان الاربعة زوج، و ان الكل أعظم من الجزء [ولوفرض انه لم يوجد كل وجزء، ولا ذهن ذاهن أبداً] والصور الذهنية [والتي هي احدى الوجودات للشيء ـ على مايقوله الحكماء ـ من لفظي وكتبي وذهني وخارجي] .

وكل هذه المجموعات الاربع ، هي امور بتصور الانسان لها وتصديقه لها يتكون العلم والثقافة .

وكثيراً لايصل الانسان الى قانون من القوانين المودعة الا بعد ملايين السنوات ، ولا يهم ذلك في كون القانون قانوناً ، كما ان الخسارة تكون للانسان حيث يرتطم بالواقع ، ولا يعرف السبيل الى المخرج، حتى يصل بسبب التصاعد الزمني والفكري والعملي الى ذلك القانون الذي أودعه الله في الكون .

مثلا : في باب القدرة قانون : [ان الترويض بالقدرة لا يدوم ، بينما الترويض بالادارة يدوم] قانون لم تصل اليه كافة الحكومات الديكتاتورية، ولذا أخذوا يتخبطون ويقعون في تناقض مع الشعوب ينتهي بضربهم للشعوب وأخيراً ضرب الشعوب لهم .

وفي باب التطبيق، قانون: [ان التطبيق اذا لم يكن موافقاً للايدلوجية، وقع التعارض بين الامرين، حتى ينتهي الامر الى طرد الايدلوجية للتطبيق] قانون عرف بعد تجارب كثيرة ، وفشل الوف القوانين التي وضعت خلافاً للايدلوجيات .

وفي باب الاقتصاد قانون: [عدم جدوى حلّ القضية الاقتصادية بالعقوبة] أوقانون : [ان الاقتصاد المتين بحاجة الى سياسة متمركزة] أوقانون: [ان برمجة الاقتصاد تعارض القانون مما ينتهي بانتصار أحدهما على الاخر] قوانين أودعت في الكون ، لم يصل اليها الناس الاّ بعد معاناة وتجارب و فشل وتعديلات .

فالتاجر اذا تكسّر، انما يكون حل قضيته بانسحابه عن ميدان الاقتصاد، بينما بعض الانظمة يحل قضيته بالعقوبات وذلك شيء غير لازم، لان الاخراج عن ميدان الاقتصاد هوالحل العادل فلماذا المزيد من الحل بالعقوبة ؟

والمال يحتاج الى الحماية في تحركه ونموه ، والحماية انما يوفرها السياسة المتمركزة، اذ بدونها يكون المال معرضاً للنهب، أوالصدّ أمامه عن التحرك، مما يسبب جموده على أقل تقدير [فان المال جبان] .

والبرمجة سلب للحرية التي منحها القانون العام، ولذا لابد وان يكون أحدهما يهزم الاخر عن الميدان .

انماذكرناه [من القوانين الخمس على سبيل المثال] وملايين القوانين الاخر ، باضافة ماتقدم من الحقائق وغيرها ، هي التي تشكل مجموع العلم [في محيط معرفتنا الاجمالية والاّ فلعل هناك فئات اخر من المعلومات لا نعرفها حتى اجمالا ، ولانتمكن أن نشير اليها ولواشارة مقتضبة] .

والمجتمع يكون له تلك الثقافة التي حصلها من اجداده ، وانتقلت اليه بالنطق والكتابة أوحصلها بنفسه، وتلك الثقافة الكلية هي التي لها أكبر الاثر في تسيير الجامعة، بالاضافة الى المحيط الطبيعي وغيره مما تقدم بيانه في المسئلة السابقة [في الامور العشرة] .

المجتمع كلى متمايز عن افراده

والمجتمع من جهة الكم، وان كان مركباً من أفراده، فهوحاصل الجمع فاذا ولد فرد ، زاد المجتمع كماً ، واذا مات فرد نقص من المجتمع فرد ، الا ان ما المجتمع من ناحية الكيف كلي مستقل متمايز عن أفراده فهو :

١ ـ قبل كل فرد فرد .

٢ ـ وبعد كل فرد فرد .

٣ ـ ولا يتغير بزيادة الأفراد ونقصها .

٤ ـ وهويضغط على الفرد، ويعدل سلوكه أويحرفه .

٥ ـ والفرد معه في تصارع دائم .

ولذا قال بعض الفلاسفة: بأن للمجتمع روحاً مستقلة، فقدحدد افلاطون الفرد والمجتمع في بنود سبعة :

(أ) الانسان موجود له روح وجسد ، ولابد له لاستمرار حياته من اعطائه لوازم الحياة من المأكل والمشرب والملبس والمسكن و ...

(ب)ـ الاجتماع كالانسان، له روح وجسد ، واذا اريد بقائه لابد وأن يعطي حوائجه الاساسية حتى يتمكن من استمرار الحياة .

(ج) ـ الموجودات الحية [الانسان والاجتماع] تطلب البقاء والدوام، ولكل منهما كيفية خاصة من البقاء .

(د) ـ الانسان بالصورة الاجتماعية قابل للبقاء و تقسيم العمل سبب دوام الانسان وتكامله .

(هـ) ـ الانسان ذاتاً اجتماعي ، وبالتعاون مع الثقافة المشتركة يرتبط ببقية الافراد ويتعاون معهم، والثقافة عبارة اخرى عن [الفكر الاجتماعي].

(و) ـ الانسان يعيش تحت ظل نظام اجتماعي ، فلابد وأن يكون في كل اجتماع نوع من النظم والانتظام .

(ز) ـ النظم الاجتماعي ، أي الروابط التي تحكم الاجتماع ، قابلة للدرك .

وكلامه وان كان تاماً في بعض بنوده الاان بعض بنوده الاخر محل نظر ، اذ للاجتماع روح خاصة ، واما متطلباته، انما في آثار ومتطلبات المجموع من حيث المجموع ، حيث ان الاجتماع يوجد علاقات جديدة ، مثلا:انسان واحدلايكذب ولايضرب ولايستغيب ولاينافق ولايتزاوج،ولايحزن لفقد صديق ومرضه ، وهكذا ، فاذا صار انسانان ، صار كل ذلك ، فهل معنى ذلك ان انسانين لهما ثلاثة أرواح ، روحان لكل واحد ، وروح للمجموع ؟

وأطولية عمر الجامعة ، وضغطها على الافراد ومأأشبه ، معناه ان الافراد الاخرون موجودون قبل هذا الفرد ، كما انهم موجودون بعده بأعيانهم أو بأبدالهم ، وان جماعة اذا تطلبوا شيئاً كان الفرد ـ بحكم انه يريد ان يعيش معهم ، وانه اذا لم ينسق معهم صعب عيشه معهم لازدرائهم به، وعدم قضائهم حوائجه ـ مجبوراً على اعطائهم ماطلبوه، من باب قاعدة الاهم والمهم، الكامنة في فطرة كل انسان حيث يقدم الاهم على المهم .

ولذا الذي ذكرناه من النظر في روح الاجتماع، لم يوافق الحكماء الذين

جاءوا بعد افلاطون معه ، الانادراً، وان ذهبوا الىبعض بنوده السبعة المتقدمة بل اضاف بعضهم ان الاجتماع له نداء ضد الظلم ولذا ينبرى جماعة للمقاومة مع الحاكم الظالم مهما كلفهم من مال أو روح أو جاه أوغيرها .

ثم انه اذا اريد معرفة الاجتماع يلزم ان يلاحظ الاجتماع بنفسه ، لتدرك قوانينه ، فان ملاحظة المزاج الفردى، والمحيط الطبيعي والمحيط المصطنع السياسي الجغرافي،وان كانت دخيلة فيفهم الاجتماع، لكن للاجتماع بالاضافة الى ذلك قوانين خاصة ، لاتتسنى معرفتها الابمعرفة تلك الثلاثة بالاضافة الى قوانينه الخاصة ، والمجموع من حيث المجموع يعطى معرفة قوانينه .

الثقافة

(مسألة ـ ١٣ ـ) في الاجتماع نوعان من الثقافة أحدهما في ضمن الاخر أما الثقافة العامة فهي التي تعطي الاجتماع لوناً خاصاً وتميزها عن سائر الاجتماعات سواء عمودياً أوافقياً، حتى وان كانا من دين واحد، فالاجتماع العربي المعاصر مثلا : يختلف عن الاجتماع الفارسي والهندي الحاضرين كما انه يختلف عن الاجتماع العربي قبل مائة سنة.

كما ان كل اجتماع عام في داخله جماعات أما طبيعية كالقبايل، أو اصطناعية كالاحزاب، والجمعيات لكل جماعة جماعة ثقافة خاصة، لكن ليس بينهما كالبون بين ثقافات الاجتماعات، ومن مجموع تلك الثقافات المضمونة تتولد الثقافة العامة للاجتماع، بعد ان يضاف على تلك الثقافات لون الاجتماع بما هو اجتماع، ولعله الى ذلك تشير الاية الكريمة : «صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة»[1] ولعل التعميد الذى نراه عند المسيحين ـ ان كان له أصل ـ كان اشارة الى تغيير اللون ظاهرياً اشارة الى تغيير اللون معنى.

والثقافة الاجتماعية عبارة عن الدين والعلم والاخلاق والرسوم والعادات ونحوها.

مثلا: الرسوم في الزواج والطلاق والولادة والموت والمعاملات والمواريث

---

(١) سورة البقرة آية ١٣٨ .

والعقوبات والحرب والسلم والمعاهدة ومأأشبه ، كلها تدخل في تكوين اللون العام للاجتماع ممايسمى بالثقافة الاجتماعية .

والدين الاسلامي ونحوه ، وان كان يعطي برامج لكل أتباعه ، الاان كثيراً من البرامج ليست بحد الواجبات والمحرمات ، بل في كثير منها سعة للاقوام ان يأخذوا بأي جزئي منها ، ولذا نرى تختلف عادات الفرس عن العرب عن الهنود عن الترك وهكذا ، وان كان الاطار الاسلامي العام محكماً على جميعها هذا بالاضافة الى الاسباب التابعة للمناخ ونحوه ممايدخل في تلوين الاجتماع مثلا: شدة الحر في قلب الاسد توجب التعطيل في مدينة كذا ، وهكذا التبليغ في قت كذا ، أوالزيارة في موسم كذا في الاعتاب المقدسة أوما أشبه ، بينماليس في مكان آخر هذا اللون .

وقدذكروا ان من فضائل الأسلام أمرين :ـ احدهما مرتبط بالمقام ـ هو ان الاسلام يصلح للانسجام مع مختلف الشعوب في مختلف الازمان والاماكن ، لانه دين يسر .

قال سبحانه : «يريد الله بكم اليسر ، ولايريد بكم العسر» .[١]

وقال تعالى : «ماجعل عليكم في الدين من حرج» .[٢]

وقال عزمن قائل : «يضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم» .[٣]

وقال ﷺ (رفع عن امتى تسع) ـ[٤] الحديث . الى غير ذلك ـ بالاضافة الى ملائمة قوانينه للعقل ـ ولذا يتمكن كل جماعة أن يتخذه ديناً وعقيدة ونظاماً

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٥ .

(٢) سورة الحج آية ٧٨ .

(٣) سورة الأعراف آية ١٥٧ .

(٤) تحف العقول ص ٤١ .

مع بقاء عاداته وتقاليده وما أشبه مما لاتتصادم مع الاسلام .

والامر الثاني: مرتبط بنبي الاسلام، وكان سبباً لسرعة تقدم الاسلام، مما يرتبط بالاخرة الى الاسلام نفسه، وهو ان كل انسان وان كان من ألد أعداء الاسلام، عرف انه يتمكن ان يعيش في كنف الاسلام في أمن وسلام، سواء أسلم أم لا، ولذا قال ﷺ لكفار مكة: (اذهبوا فأنتم الطلقاء)[1] مع انهم كانوا جناة مجرمين، ولم يسلموا ـ حتى يشملهم الاسلام يجب عما قبله ـ .

وكيف كان، فالثقافة الاجتماعية ، عبارة عن العقائد والاعمال الفردية . منضمّة الى الامور الاجتماعية من الروابط التي يأتي بها الفرد مع الاخر ، و الجماعات مع الجماعات .

تكامل الثقافة

وكلما تقدمت الثقافة ظهرت لها خاصيتان :

(١) التكامل ، وهي في داخل الاجتماع ، حالها حال مابالقوة في داخل مابالفعل، فان الله تعالى خلق أشياء الكون بعضها بالفعل وبعضها بالقوة ـ لا على نحو تزوآنتي تزوسنتز ـ فالدجاجه في بطن الفرخ ، والفرخ في بطن البيضة، والبيضة في بطن الدجاجة ، وكذلك الشجرة في بطن النبتة وهي في بطن الحبة، فكل مرتبة حالية تسمى بالفعل، وكل مرتبة مستقبلية تسمى بالقوة حيث انه قدأودع في داخل الشيء قوة تسير تلك القوة ذلك الشيء الى ذلك الكائن المستقبلي .

والثقافة في داخل الاجتماع هكذا تسير من القوة الى الفعل، مثلا: مسائل

---

(١) الوسائل : ج ١١ ص ١١٩ الباب ٧٢ من أبواب جهاد العدوح ١

الفقه في [جواهر الكلام] وهي تقارب ربع مليون مسألة كانت في بطن الشرائع، وهو بدوره كان في بطن الكتب الاربعة مثلا، وهكذا كلما تقدم الاجتماع أخذت الثقافة في التكامل ، فالعقل الذي هو حجة باطنة لله سبحانه موذع في الانسان يحذف الزائد، ويأخذ باللباب، وينمّي ذلك اللباب بقدر الحاجة الفردية والاجتماعية، وبذلك يتكامل الانسان في نفس الوقت .

تعقد الثقافة

٢ ـ التعقد ، فان حاجات الانسان الجسدية والنفسية كثيرة ، وكلما وجد الانسان امكانية تحصيلها أخذ في اكتسابها ، وبذلك تتشابك الروابط أكثر فأكثر، وتتعقد الحضارة، فمثلا: اذا كان للانسان مأة صديق ، وكان لكل رسم زواج وولادة، وسفر، ومرض، وموت ، كان عليه لهم خمسمائة مرسوم ، كما ان عليهم له كذلك، فاذا فرض تعقد كل واحد من هذه المراسيم، بأن انتقلت من البساطة البدائية الى التعقد الحضاري كان التكليف عليه أكثر ثقلا فمثلا: في رسم الموت يحضر احتضاره، وتشييعه، والصلاة عليه، ودفنه، وفاتحته، وحضور قبره في الاسبوع والاربعين والسنة . . وكل مرة يحتاج الامر الى الوقوف في صف السيارة للركوب والنزول مرتباً الى غيرذلك .

والفارق بين الانسان والحيوان يظهر في هاتين الجهتين ، بالاضافة الى جهة ثالثة :

١ ـ فالحيوان له غرائز، كل يسير في المسير المقرر له « أعطى كل شيءٍ خلقه ثم هدى » الى زمان استمراره في الحياة ، فلا تكامل له ـ حسب ماوصل اليه العلم، وان كان من المحتمل، انه يأتي يوم يتكامل فيه الحيوان

بأن يربي حتى يصل الى التطوير، كما قاله بعض علماء الحيوان، وقال ابن سيناء : [فذره في بقعة الامكان] ـ وقد ذكر بعض علماء الحيوان: ان الاثار والتنقيب دلّت على ان النمل منذ خمسين مليون سنة لم يطرء على حياته أي تطوير ـ .

(٢) وحيث لاتطوير في حياة الحيوان ، لاتعقد فيها، اذ التعقد من ولائد التطوير، وان كان من الممكن مثلا أن يقال : ان نملتين حياتهما أكثر بساطة من خمس نملات، حيث ان واجب كل واحدة يكثر، حيث للجميع الولادة والموت وماأشبه مما يوزع بعض أعمالها على جميعها .

٣ - ثم الحيوان لاينتقل ارث الثقافة من جيل منه الى جيل آخر ، مما يوجب تراكم الثقافة على الجيل الثاني ، ثم ثقافتهما على الجيل الثالث و هكذا ... (٤) و الانسان في حياته يتعثر في النزول ثم الصعود وهكذا ولذا كانت لثقافة الاجتماع تعاريج بينما ليس للحيوان كذلك .

تشابه المجتمعات

ثم ان الانسان حيث خلقه الله سبحانه بفطرة واحدة ، لابد وأن يتشابه بعضه مع بعض في الاوليات الاجتماعية والانفرادية ، وهذه الاوليات هي الجامع بين أفراد البشر وكل اجتماعاته ، سواء الاجتماعية البدائية أمثال قبائل اسكيمو أوالتي وصلت الى غاية الحضارة الحاضرة، مثل العقيدة بشيء كالاله الواحد، أوالمتعدد المرئي أوغير المرئي ، أوالطبيعة أوماأشبه ذلك، ومثل صنع الوسائل، والاخذ والعطاء والعبادة أي الخضوع أمام شيء ، ولو الأصنام البشرية أوالحجرية ، والتعاون ، والازدواج ، وتربية الاولاد ، وجعل

الارتباطات وحفظها ، سواء القلبية أوالحزبية أوماأشبه، والزراعة والتجارة، والطبخ، وصنع الملبس والمسكن، وطلب الراحة، واللعب، وتربيةالحيوان والحرب والسلم، وعقوبة المجرم، وتطلب الحق، وتحسين الحسن ، وتقبيح القبيح، ومراسيم خاصة للزواج ، والولادة والموت ، وحب الاستطلاع و غير ذلك .

وثقافة كل اجتماع ، مستقاة مما تقدم في بعض المسائل السابقة ،كما انها هي التي تنعكس على العقائد والنيات ، والاعمال والسير لكل اجتماع ، فمثلا: الثقافة الفلانية توجب حرق الاموات، وثقافة اخرى توجب جعل الميت للغربان ونحوها لتأكله ، وثقافة ثالثة توجب دفنه بمراسيم خاصة .

وليست للانسان طبيعة خاصة توجب عليه سلوكاً خاصاً ، كالحيوان ، كما ان المحيط الطبيعي ليس دخيلا في كل عمل يعمله الانسان، بل الثقافة هي التي تفرض عليه ماتقدم من العقيدة والسلوك وغيرهما ، والانسان دائماً ، ومن قديم الزمان يغير ثقافته الى الافضل ،كما انه دائماً يأخذ بالجانب الاجتماعي فيفكر ويعمل لكسب أكثر قدر من الاصدقاء ، وكذلك يسعي لترويض الطبيعة ، لا للامن من شرها فحسب ، بل للاستفادة منها أيضاً .

تاريخ الانسان

والانسان لايعلم تاريخه، وانه متى كان آدم عليه السلام، وكل مافي بعض التواريخ ليس مستنداً الى علم قطعي ، أوقول معصوم يعلم الغيب باذن الله تعالى ، أما قول الماديين بأن الانسان كان قرداً ، وانه أتم المراحل التي وجدناها في نصف مليون سنة مقسماً على عصر[الانسان القردي] ثم [انسان نئان درتال] ثم [انسان كرومان يون] ثم [الانسان الحالي] فلم يقم عليه حتى مستند استحساني ،كما

لايخفى على من راجع ادلتهم .

ومثل ذلك في عدم الدليل ، جعل [انسان اسكيمو] دليلاعلى حال الانسان الاول ، وقد قرر في علم المنطق [ان الجزئي لايكون كاسباً ولا مكتسباً] .

وقال سبحانه : « ولاتقف ماليس لك به علم » (١) و« ان الظن لايغني من الحق شيئاً » (٢) .

بل الانسان الاول كالانسان الحالي، له نفس الغرائز والمتطلبات والمخاوف وغيرها كما تقدم .

التنقيب عن الاثار التاريخية

ثم انه يلزم معرفة ثقافة اي مجتمع دثر في التاريخ ، كعاد وثمود وفرعون وقوم لوط وأصحاب الايكة ، وكذلك من قبلهم ، ومن بعدهم ، ومعرفة الثقافة تحصل من آثارهم ، ومن هنا يهتم العلماء بحفظ الاثار ، وبالتنقيب عن الاثار وفي الاحاديث: [عندنا مصحف فاطمة عليها السلام] (٣) وقد حفظوا عليهم السلام عصى رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكتاب علي عليه السلام ، وثوبه الذي ضرب فيه ، الى غير ذلك ، وقد وردت أحاديث بأن الامام الحجة عليه السلام اذا ظهر تكون معه مواريث الانبياء عليهم السلام والرسول وفاطمة وآبائه عليهم الصلاة والسلام .

وقداهتم علماء الاجتماع والاثار، لجعل وسائل لمعرفة الادوار بالوسائل العلمية التي وصلت اليها الانسانية في العصر الحاضر ، ويجعلون متاحف أثرية الى جنب المتاحف العلمية والامم الحاضرة تحاول أن ترفع نسبها الى قرون

---

(١) سورة الإسراء آية ٣٦ .

(٢) سورة يونس آية ٣٦ .

(٣) أصول الكافي ج/١ ص ٢٣٩ .

وقرون ، لافادة تراكم الثقافة والحضارة عندهم ، فقد تقدم ان كل جيل يرث ثقافة الاجيال المتقدمة .

والتنقيب عن الاثار لكشفها يفيد الانسان ـ بالاضافة الى العلم بالغابر ، والعلم مطلوب طبيعي للانسان ـ معلومات يستفيد منها الانسان لحياته الحاضرة ، مثلا : اذا فحصنا عـن حياة موسى بن جعفر عليه السلام ، وهارون العباسي ، فرأينا ان الاول كان مطارداً للظلم والظالمين والفساد والترف ، بينما كان الثاني غارقاً في كل ذلك ، عرفنا ان بقـاء الانسان خالداً فى التاريخ ، سببه الاول ، بينما اندثار الانسان وكونه لعنة للتاريخ سببه الثاني ، وبذلك يكون الظلم منفوراً لنا ، والعدل محبوباً وتلك عبرة نستلخصها من التاريخ ، وكذلك غير ذلك .

ولافرق في الاستفادة من الاثار بين كون الثقافة التي نجدها في غابر التاريخ [مادية] مما صنعت بأيديهم ، من زراعة وصناعة ووسائل حياة آخر ، أو [معنوية] كعلمهم وعقيدتهم وفنونهم ومراسيمهم في الولادة والزواج والموت والمعاملات والمرافعات ، وما أشبه ، وحتى الكلمة المكتوبة ، والانية الحجرية لهما دلالة على جانب من الحضارة الغابرة لتلك الامة ، مثلا : اذا وجدت [كلمة : ماء] محفورة على كوز في حفريات قبل عشرة الاف سنة في [اتل ابيب] دلت على ان العرب كانوا يسكنون هذه المنطقة ، وان اللغة العربية كانت في ذلك المكان ، وكذلك اذا وجدت قطعة رخام منقوش عليها صورة محاربين ملابس بعضهم كذا ، وملابس بعضهم كذا ، دلت على ان الحرب كانت بين السلطتين اللتين كانتا معلمتين بهذه الشارات وتلك الشارات .

قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام : (فسر في ديارهم وانظر الى آثارهم)[(١)] وقبل

(١) نهج البلاغة / صالح / ص ٣٩٢ .

ذلك قال الله تعالى: «فسيروا في الارض»[١] وقال : «وانها لسلسبيل مقيم»[٢] .

ولما مرعلي عليه السلام على ايوان كسرى ، انشد بعض من حضره :

جرت الرياح على محل ديارهم فكأنهم كانوا على ميعاد

فقال له الامام عليه السلام ، بل أقرء : (كم تركوا من جنات وعيون ، وزروع ومقام كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين)[٣] .

ثم انه من تراكم الثقافة الماضية ، والثقافة الحاضرة ، يمكن أن يستكشف الخطوط العريضة للثقافة المستقبلة ، بعد ملاحظة وحدة سير الانسان ، فيما حفظ من التاريخ ، مضافاً عليها كيفية سير الحضارة ، فاذا رأينا سيارة تسير في الساعة الاولى خمسة فراسخ، وفي الثانية ستة ، وفي الثالثة ثمانية ، حكمنا بأنها تصل الى البلد الفلاني في ساعة كذا ، بعد جمع ماضي السير ومستقبله، ملحوظاً فيه تصاعد سير السيارة في كل ساعة ، وكتاب[صدمة المستقبل] و [التحدي العالمي]الماع الى هذا الامر .

الهيكل العظمي للثقافة-

ثم ان ثقافة الاجتماع على كثرة وحداتها ، تنتظم في ثقافة موحدة ، هي بمنزلة الهيكل العظمي للثقافة العامة للاجتماع، وكما ان الهيكل العظمي موحد وان تركب من أجزاء ثم يأتي بعد ذلك دورمايحيط الهيكل من اللحم والانسجة والعروق والاوردة وماأشبه ، كذلك حال الثقافة ، فثقافة العقيدة ، وثقافة الاداب

---

(١) سورة آل عمران آية ١٣٧ .

(٢) سورة الحجر آية ٧٦ .

(٣) سورة الدخان آية ٢٥ .

والرسوم ، وثقافة المعاملات، وثقافة العبادات ، وثقافة الاحوال الشخصية و.. أجزاء يركب منها الهيكل الثقافي العام للاجتماع، ثم تلك الوحدات[الاعضاء] تملأها الخصوصيات والمزايا لكل ثقافة ثقافة . وكما ان الهيكل العظمي للانسان غير الهيكل العظمي للغزال والسمك والطائر ، كذلك لكل اجتماع هيكل عظمي خاص من الثقافة ، يتمايز عن الاجتماع الاخر بذلك ، وحتى الانبياء ـ حيث كانت تختلف أزمنتهم ـ كان لكل هيكل ثقافي خاص، وان كان الجميع يجتمعون في الامور الاعم من ذلك ـ حال اجتماع الانسان و الطير والسمك والغزال في أصل الهيكل العظمي مثلا ـ والى هاتين الرتبتين [رتبة الاجتماع والافتراق] اشارت الايات الكريمة :

فمن الاولى: قوله سبحانه: «قولوا آمنا بالله ومانزل الينا * وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط * وماأوتى موسى وعيسى* وما اوتى النبيون من ربهم * لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون »[١].

ومن الثانية : قوله تعالى : «ماننسخ من آيـة أوننسها نأت بخير منها أو مثلها»[٢].

وقال: «ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه»[٣].

وقال: «لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولوشاء الله لجعلكم امة واحدة و لكن ليبلوكم فيما آتاكم»[٤].

ثم ان الكوارث أمثال الزلازل ، والفيضانات وما أشبـه ، اذا لم تبدد

---

(١) سورة البقرة آية ١٣٦ .

(٢) سورة البقرة آية ١٠٦ .

(٣) سورة آل عمران آية ٨٥ .

(٤) سورة المائدة آية ٤٨ .

الاجتماع تبديداً كاملا، وكما في عذاب الله حيث يفني الامة، لاتحطم الهيكل العظمي للثقافة، وان كانت تحطم جملة من الاعضاء والاغشية ومااالى ذلك .

عوامل تشكل الجماعات

(مسألة ـ ١٤ ـ) قدتقدم بعض الكلام حول الاجتماع ، وبقي بعض آخر حول الجماعات بمختلف أشكالها و أساميها فنشرحه في هذا البحث ، ان الجماعة انما تتشكل لاحد امور ثلاثة :

(١) لاجل الاحتياج الذاتي ، أما حاجة دينية أوحاجة دنيوية، مادية، أو غير مادية فالحاجة الدينية مثل الصلاة الواجبة جماعة كالفطر والاضحى و الجمعة في أيام الحضور والحاجة الدنيوية المادية، مثل ما اذا اجتمعوا لاجل بناء أوصنع طعام، أوماأشبه مما لايتأتي الآ بالجماعة، والحاجة الدنيويةغير المادية، مثل الجماعة لاجل اللعب ، أوالنظر الى تمثيلية أونحوهما .

(٢) لاجل قضاء حاجة الاجتماع ، مثل الجماعات الخيرية الاجتماعية لاجل حاجة الاجتماع، كما تتشكل جماعة لاجل فتح المدارس والمستشفيات وبناء دور للفقراء، وماأشبه دلك . وفي هذا يدخل مايتشكل لاجل دفع حاجة الاجتماع الدينية، كتشكل الجمعية لاجل بناء المساجد في القرى الجدد التي لامساجد لها .

(٣) لاجل الضغط الاجتماعي . مما ليس سببه القريب الاحتياج الذاتي أوالغيري ـ وان كان ينتهي بالاخرة الى أحد الامرين السابقين ـ كالاجتماع لاجل تكليف مجلس الامة بعض أعضائه . لاجل النظر في قانون أوحاجة اجتماعية أوما أشبه ذلك . فان الضغط الاجتماعي المنصب على المجلس .

سبب تكليف الاعضاء من قبل المجلس بذلك .

التسالم والتنازع في الجماعات

ثم ان الجماعات المتشكلة حسب اختلاف ثقافتها من ناحية، واختلاف المحيطين الطبيعي والاجتماعي من ناحية ثانية، تنقسم الى :

١ - مايميل الى التسالم .

٢ - ومايميل الى التنازع .

فقد تكون الثقافة المبنى عليها الجماعة ثقافة سلام ، وقدتكون بالعكس، كما ان الاجتماع قديحبّذ السلام ، وقديحبّذ النزاع ، وطبقاً لذلك فالجماعة أيضاً تميل الى أي منهما .

أما المحيط الطبيعي فالمحيطات الحارة ذات المياه الثقيلة أقرب الى تربية الجماعة خشنة الاخلاق، بينما المحيطات الباردة بالعكس تربي الجماعة جانحة الى السلام، ولا يخفى انه بالامكان تبديل الثقافة الخشنة [في المجتمع] الى الثقافة المسالمة وكذلك المحيط الطبيعي بتغيير الماء والهواء ، بصنع الانهار الجارية، ولومن الابار الارتوازية ، فان الماء الجاري يكون خفيفاً من جهة كثرة مرور الهواء في داخله بالعكس من الماء الراكد الموجب لثقله، ثم يصفي الماء من المواد العالقة ، حتى يخف ولا يؤثر في أحداث الارياح الغليظة في البدن، مما يسبب سوء الهضم والمرض، وأخيراً سوء الاخلاق .

وأما الهواء فبكثرة التشجير، والاحواض والنافورات، والساحات العامة الملطفة بالماء و الشجر ، وقد استخدمت حكومة بعض البلاد خبراء لتخفيف حر الصيف حيث كان يصل الى خمس وخمسين درجة بالاضافة الى رطوبة الهواء والغبار، مما يزيد الامر اعضالا؟ فقالوا بأن التخفيف ممكن بقدر عشر

درجات، اذا غرست الدولة مأة وعشرة ملايين شجرة .. ثم للطعام أيضاً الاثر البالغ في السلام والنزاع، كما ان المنهج الحيوي المقرر له تأثيره أيضاً .

فالاطعمــة الباردة طبعاً، تسبب ميل الانسان الى البرودة المنتجة للسلام، وبالعكس من ذلك الاطعمــة الحارة ، واذا كانت الانظمة مرعية ، والمواعيد مضبوطة، والمشاكل محلولــة بمناهج سهلة و .. مالت الامزجة الى السلام، بينما العكس يكون مبعثاً لخلاف ذلك .

روي حبيب الخثعمي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (أفضلكم أحسنكم أخلاقاً ، المؤطئون اكنافاً ، الذين يألفون ويؤلفون وتوطأ رحالــهم)[١].

وعن القداح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (المؤمن الف مألوف، ولاخير فيمن لايألف ولايؤلف)[٢].

وقال علي عليه السلام ـ كما في نهج البلاغة ـ : (قلوب الرجال وحشيــة فمن تألفها اقبلت عليه)[٣].

وعن ابن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (الا اخبركم بمن تحرم عليه النار غداً، قالوا: بلى يابن رسول الله، قال: الهين القريب، اللين السهل)[٤].

وعن علي بن دعبل، عن الرضا عليه السلام، عن آبائــه ، عن علي عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (المؤمن هيّــن ليّــن سمح له خلق حسن، والكافر فظ غليظ له خلق سيء وفيه جبرية)[٥].

---

(١) الكافي ج/٢ ص ١٠٢ .

(٢) الكافي ج/٢ ص ١٠٢ .

(٣) نهج البلاغة /صالح/ ص ٤٧٧ .

(٤) الوسائل ج/٨ ص ٥١١ .

(٥) الوسائل ج/٨ ص ٥١١ .

وفي الرسالة الذهبية للامام الرضا عليه السلام :(ان قوى النفس تابعة لمزاجات الابدان ، ومزاجات الابدان لتصرف الهواء ، فاذا برد مرة وسخن اخرى تغيرت بسببه الابدان وتابعه الصور، فاذا استوى الهواء واعتدل صار الجسم معتدلا لان الله عزوجل بنى الاجسام على أربع طبائع : على الدم، والبلغم، والصفراء ، والسوداء فاثنان حاران ، واثنان باردان ، وخولف بينهما ، فجعل حار يابس ، وحار لين ، وبارد يابس ، وبارد لين ، ثم فرق ذلك على ، أربعة أجزاء من الجسد : على الرأس ، والصدر ، والشراسيف، وأسفل البطن) الى آخره .[١]

النضج الفكرى يقلل النزاعات

ثم ان الجماعة كلما قربت الى الفهم مالت الى المعايشة بسلام مع كل الجماعات، سواء جمعهم الاطار العام أم لا ، وانا نرى ان البلاد الاوربية تحاربت طويلا ، ثم سالمت بعضها البعض، لكنها لم تصل بعد الى المسالمة مع العالم الثالث ـ مثلا ـ حيث ان استعمار فرنسا وبريطانيا ، وغيرهما لازال موجوداً بينما انا نجد ان البلاد الاسلامية حيث ابتعدت من الكتاب والسنة تحارب بعضها بعضاً في سبيل الاوهام ، بمختلف أنواع المحاربة .

ولو أخذت الدنيا بالعقل والعدل ، اختفت الحروب حيث ان سبب الحروب و المنازعات أما الاوهام ، وارادة كل ان يتقدم مما ليس حقه ، وأما المال حيث يستغل بعضهم بعضاً ،فالاتحاد السوفياتي وامريكا مثلا يحاربان الشعوب، الاولى لحب السلطة والثانية لحب الثروة ،أما بريطانيا فانها تحارب لاجل ان لاترجع الى مكانها اللائق بها مما يقضيه حجمها الواقعي .

---

(١) الرسالة الذهبية : ص ٤٧ .

لايقال : فكيف الاسلام يحارب ؟

لانه يقال : انه يحارب :

١ ـ لاجل الدفاع عن نفسه أمام المهاجمين وهذا بسببهم لا بسببه .

٢ ـ لاجل اعلاء كلمة الله ، وانقاذ المستضعفين ، حيث يريد انقاذ الناس من الخرافة ، أو انقاذ المستضعفين من براثن المستغلين والمستكبرين ، فيحارب الذين انحرفوا لاجل ازاحتهم فقط ، وبقدر أقصى والضررة .

٣ ـ لاجل اخماد البغاة الذين بغوا ، وكل ذلك يرجع الى رد الاعتداء لا الاعتداء وذلك لاينافي ما ذكرناه من ان العقل و العدل يوجبان اختفاء الحروب .

ولذاكان الوعي من أوليات لوازم العيش بسلام ، للجماعة مع الجماعات الاخر ، فان فهم [ان عدم الانسجام ينتهي الى سقوط عدم المنسجم بنفسه] يوجب الانسجام والوئام ، ولذا ورد في الحديث ، انه سأل عليه السلام عن الحيلة ؟ فقال :(في ترك الحيلة) .

أنواع التسالم

ثم اللازم ان لا يكون التسالم والتعاون ناشئاً عن الاحتياج ، والا لم يكن له فضيلة أولا ، ولا دوام ثانياً ، بل اللازم ان يكون عن علاقة وحب لنوع الانسان ، وقد قال الامام الحسين عليه السلام لاهل الكوفة :(ان لم يكن لكم دين ، وكنتم لاتخافون المعاد ، فكونوا أحراراً في دنياكم)[١] .

---

(١) بحار الأنوار ج/٤٥ ص ٥١ .

وعليه ، فالتسالم على ثلاثة أنواع :

١ - أن يكون لعدم التصادم في المصالح .

٢ - أن يكون للاحتياج والترابط في المصالح .

٣ - أن يكون لاجل الانسانية والفضيلة وهذا الثالث ، بالاضافة الى انه معنى سام ، أدوم وأبقى وأكمل وأجمل ، وقد سمي بعض علماء الاجتماع القسم الثاني ، بالوحدة الميكانيكية ، والقسم الثالث بالوحدة الحيوية .

وحيث ان أفراد الجماعة المتشكلة لايمكن أن يكون تسالمهم من القسم الاول كان لابد وان يكون من أحد القسمين الاخيرين ، من غير فرق بين أن يكون الاحتياج في القسم الثاني مادياً ، كما اذا تشكلوا لاجل مطعمهم ومسكنهم ، أو معنوياً كما اذا تشكلوا لاجل العلم والثقافة والفن ونحوها .

ثم انه كلما كان الانسجام بين أفراد الجماعة أكثر ، بأن كانت الانفس مماثلة في التربية ، كان التحام الجماعة أكثر ، وكان التقدم أسرع ، وكانت النتائج أكبر ، وبالعكس من كل ذلك ما كان الابتعاد بين النفسيات أكثر ، لعدم وحدة التربية ، بله ما اذا كان بعض سيء التربية .

طرق تحقيق الانسجام

والانسجام الاكثر يتحقق بامور :

(الاول) : قلة أفراد الجماعة بالحد المحتاج اليه فقط ، اذ كون الافراد أقل من المحتاج اليه ، يوجب عدم امكان الوصول الهدف مثل سيارة تحتاج الى أربع عجلات ، بينما لها ثلاث عجلات ، كما انه كلما كان الافراد أكثر من الاحتياج كان الانسجام أبعد ، اذ تزداد الروابط ، الموجبة لبطوء تقدم الجماعة ، مثلا :

اذا احتاج الامر الى خمسة أعضاء فصعد العدد الى سبعة ، كانت الاكثرية المطلوبة لحسم الاختلاف [أربعة] بينما في [الخمسة] الحسم يكون بثلاثة ، ومن الواضح ان الحصول على الثلاثة أسهل من الحصول على أربعة .

ويمكن أن يقال ذلك ببيان آخر ، فانه اذا كان الاحتياج الى اثنين ، فصاروا ثلاثة كانت الروابط في [ثلاثة] ثلاثاً ، بينما الروابط في [اثنين] واحد فقط،والرابط الواحد أخف ثقلا من ثلاث روابط فان ارضاء انسان واحد أسهل من ارضاءِ انسانين ، وهكذا اذا صار في المثال الاعضاء أكثر من ثلاثة .

(الثاني) : أن يكون الاجتماع أكثر مدة ، وأبعد عمقاً ، فان الجماعة التي تتجمع كله ليلة ثلاث ساعات مثلا ، أكثر انسجاماً من التي لاتجتمع الا في الاسبوع مرة وهكذا ، ولذا قسم بعض علماء الاجتماع الجماعة الى الابتدائية والثانوية ، وجعل من الاولى مثل العائلة ، ومثل الاصدقاء ، وجعل من الثانية مثل الجمعيات المتداولة ، حيث ان أفراد الاولى أكثر انسجاماً ، لطول مدة الصحبة بينما الثانية ليست كذلك لقصر مدة الصحبة .

والبحث الحر النزيه غير المشتمل على الجدل، والمراءِ بين أفراد الجماعة يوجب متانة الرابطة وقوة العلاقة ، وذلك لان نقاط الاختلاف تقل ، بل قد تختفي نهائياً . .

وبالعكس من ذلك اذا تحكمت الديكتاتورية بين أفراد الجماعة، حيث انها تؤل الى الشتات والفرقة .

(الثالث) : ان تقل في الجماعة أسباب الفرقة ، فان الجماعة اذا كان فيهم سبب ، أو أسباب للفرقة ، يكون التجانس بينهم أقل ، وربما آل الى التشتت ، فالعائلة الواحدة ذات الاديان المختلفة ، والالوان السياسية المختلفة

والتصادم المصالحي ، مثل جماعة بقالين، كل يريد كسب المشتري من الاخر والانهزام النفسي في بعض الافراد ، لاكثرية علم أو مال أو مكانة الاخر، حيث تثير تلك الامور في المتأخر حسّ الغبن والضعة . لاتنسجم أفرادها كما تنسجم أفراد العائلة ، اذا لم تكن كذلك .

ولذا نشاهد ان الجماعات التي تهاجر عن وطنها بالطرد أوغيره، والجماعات التي تهاجم من قبل أعدائها ، أو تبتلي بالكوارث الطبيعية ، أو ما أشبه ذلك تتحطم بسرعة بينما ليست كذلك أحوال الجماعة المستقرة .

بين الجماعة والاعضاء والجماعات الاخرى

بقي شيء ، وهو ان اللازم في الجماعة ملاحظة ثلاثة امور :

١ ـ حالة الجماعة مع جماعة اخرى .

٢ ـ حالة أعضاء الجماعة مع نفس الجماعة .

٣ ـ حالة بعض أعضاء الجماعة مع بعض الاعضاء الاخر .

أما الاولى : فهي على ثلاثة أقسام :

أ ـ الحيادية بينهما ، وتلك توجب عدم التأثير والتأثر بينهما .

ب ـ النزاع : وذلك يوجب تماسك كل جماعة حول نفسها ، والتنافس بينهما لاجل السبق وكسب المغانم .

ج ـ الصداقة : وهي ان كانت في سبيل الهدف أوجبت التعاون والتقدم وان كانت خالية عن ذلك لم تضر ولم تنفع ، لكن الغالب كون الصداقة في سبيل الهدف المشترك .

وأما الثانية : فان الجماعة اذا خالف بعض أعضائها لها ، كانت بقدر تلك المخالفة راكدة ، وبالعكس اذا كان الانسجام التام ، ومعنى هذا القسم

أن تـكون الاكثرية الكاسحة الى جانب ، بينما الاقلية الى جانـب آخر ، و الغـالب ان يـكون الخـلاف الوفاق تابعين لحسن الادارة في الاجتمـاع و سوئها، واللازم اهتمام الجماعة لعدم حدوث مثل هذا الانشقاق .

وأما الثالثـة :

أـ قديكون الاعضاء مع الاعضاء في حالة رقابة، ومثل هذه الحالة توجب التقدم ،اذ التنافس الحر يوجب استثارة الاعضاء لئلا يتأخر بعضهم عن بعض والادارة الحازمة تجعل التنافس والرقابة بين الاعضاء ، لكن اللازم ان لايصل التنافس الى حالة العداء وما أشبه .

بـ العداوة : وفي هذه الحالة تهدد الجماعة بالانفصام . وتكوين كـل جماعة منها جماعة جديدة ، بالاضافة الى وقوف تقدم الجمـاعة ، بل تأخرها .

ج ـ الصداقة : وحالها كما تقدم في الحـالة الاولـى .. ثم الجماعتيـن المعاديتين أو المتصادقتين ، قد يكون بعض أعضائها على خلاف المجموع بأن تكون صداقة بين بعض أفرادهما [في المتعادية] وبالعكس [في المتصادقة].

بين الفرد والجماعة

(مسألة -١٥-) الجماعة - سواء كانت كبيرة كالاجتماع ، أو صغيرة كجمعية اقتصادية أو ثقافية ، كالنهر الجاري لها وحدة واحدة ، وان تبدلت اجزائها، فالاجزاء تتجدد :

١ - من حيث الكم ،حيث في الاجتماع الكبير : يموت الفرد ويولد الفرد وفي الاجتماع الصغير يدخل عضو جديد ، ويخرج عضو جديد .

٢ - ومن حيث الكيف حيث يصعد الاجتماع وينزل ، من حيث الاخلاق والدين والاقتصاد والسياسة وغيرها ، وكذلك في الاجتماع الصغير من حيث النشاط والخمول ، والاعمال الموجبة لصعوده أو نزوله ، اجتماعياً .

والجماعة دائماً توجه افرادها الى :

١ - جهتها العلمية ، فان لكل جماعة ثقافة خاصة ، تهتم الجماعة بالسير فيها ، والتبني لها .

٢ - وجهتها العملية ، حيث ان كل جماعة [غير الفكرية البحتة : وهي قليل] لها هدف تسير اليه ، وذلك مالا يكون الا بالعمل .

والتوجيه :

١ - في الاوليات بأن يقبل الفرد الانضمام الى الجماعة والسير في ركابها.

٢ - وفي الثانويات ، بأن يقبل الفرد التعمق في الثقافة الخاصة بالجماعة ..

والفرد السطحي يقبل الاول بينما الفرد العميق يقبل الثاني .

كما ان العضو :

١ - قد يكون عضواً حقيقياً سجل نفسه مع الجماعة ويشاركهم في كل شيء .

٢ - وقد يكون عضو شرف لايشاركهم الا في بعض الامور، سواء كان [عضو شرف] يشرفهم لرفعة مكانه ،أو يتشرف بهم لضعة مكانه .

والجماعة :

١ - قد تستفيد من الفرد أكثر مما تفيده .

٢ - وقديكون الامر بالعكس .

٣ - وثالثة بين الامرين تساو، وقديكون العضوضاراً محضاً ، لكن اللابدية توجب ابقائه .

والجماعة تؤثر في الفرد أثرين :

١ - الاثر العمدي بتربية الاجتماع للفرد .

٢ - الاثر التلقائي بتأثر الفرد بالجماعة لاتخاذه لهم اسوة، ويرى الأثران في العائلة بالنسبة الى الاولاد ، حيث ان الاب - مثلا - يربى ولده ، بينما الولد يتعلم من أبيه السلوك تلقائياً ... وكذلك الحال في الجمعيات الاصطناعية والاجتماع الانساني .

الانغلاق والانطلاق والانفلاق

والجماعة - وكذلك الاجتماع - تنقسم الى :

(١) المنغلق ، حيث تقدس نفسها وتريد كل خير لنفسها ، بينما لاترى

محاسن الغير، ولا معايب نفسها ، وهذه الجماعة أنانية جاهلة منكمشة، لايمر زمان ـ طال أوقصر ـ الا وينفضّ الناس من حولـها ، وأحيانـاً تخسر حتى جماعتها ، بالتبدد والاضمحلال، وتسمى هذه بالجماعة [المنغلقة] .

٢ - والمنفتح، حيث انها ترى معايـب نفسها كما ترى محاسنها، وترى محاسن غيرها، كما ترى معايبها ، وهذه الجماعـة تأخذ في الصعود ، ويلتف الناس حولها، وهي جماعة واقعية مثقفة متواضعة خيرة، وتسمى: [المنطلقة] .

٣ ـ والمنبهر ، حيث انها ترى معايب نفسها ، ومحاسن غيرها، ولا ترى محاسن نفسها ، ولا معايب غيرها ـ وهي عكس الاولى تماماً ـ وهي جماعة منهزمة مهزوزة جاهلة، لايمر زمان ـ طال أوقصر ـ حتى تتشقق، ويؤل أمرها الى الفناء والاضمحلال وتسمى [المنفلقة] .

وحيث يكثر القسم الاول [المنغلق] في الافراد والجماعات والجمعيات نبـه الاسلام الى اضراره وأمر باجتنابه .

قال علي عليه السلام ـ في وصيته لابنـه الحسن عليه السلام ـ : (يابني اجعل نفسـك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك فاحبب لغيرك ماتحب لنفسك، واكره له ماتكره لها، ولا تظلم كما لاتحب أن تظلـم ، وأحسن كما تحب أن يحسن اليك ، و استقبح من نفسك ماتستقبحه من غيرك، وأرض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك، ولا تقل مالا تعلم وان قلّ ماتعلم، ولا تقل مالاتحب أن يقال لك)[١] .

وقال عليه السلام: (وكفى أدباً لنفسك تجنبك ماكرهته لغيرك)[٢] .

وقال عليه السلام: (كفاك أدباً لنفسك اجتناب ماتكرهه من غيرك)[٣] .

---

(١) نهج البلاغة / صالح / ص ٣٩٧ .

(٢) نهج البلاغة / صالح / ص ٥٣٨ .

(٣) نهج البلاغة / صالح / ص ٥٤٨ .

وقال عليه السلام: (ومن نظر في عيوب الناس فأنكرها ثم رضيها لنفسه فذلك الاحمق بعينه)[1].

وقال عليه السلام: (أكبر العيب أن تعيب مافيك مثله)[2].

دور الثقافة في حركة المجتمع

ثم ان الثقافة الاجتماعية لها حالة التأثير، والانسان له حالة التأثر، و التأثيروالتأثر قديكون عميقاً، وقديكون سطحياً، والعميق قديكون سريعاً، وقد يكون بطيئاً:

١ - فالطفل يتأثر بثقافة الاجتماع سريعاً، لان ذهنه لم يغرس فيه ثقافة غيرها، حتى يصعب ازالة تلك الثقافة ثم غرس غيرها مكانها، ولذا ورد: (العلم في الصغر كالنقش في الحجر).

٢ - أما من يقلع عن مكانه لهجرة اختياراً، أوتهجير قهراً، فانه حيث يرد المجتمع الجديد ذا الثقافة المغايرة لثقافة سابقة، كان نفوذ الثقافة الجديدة فيه بطيئاً، وأحياناً يتحفظ في باطنه بثقافة نفسه، وانما يلوّن سطحه فقط بالثقافة الجديدة.

٣ - وهكذا حال من يدخل مؤسسة ونحوها، كمن يدخل في وظيفة الدولة أوفي حزب، أوجمعية أوماأشبه، حيث يرتطم بالثقافة الجديدة الخاصة بتلك المؤسسة، فانه يصعب نفوذ الثقافة الجديدة فيه، وربما لاتعدو أن يكون التلون بها سطحياً.

---

(١) نهج البلاغة / صالح / ص ٥٣٦.

(٢) نهج البلاغة / صالح / ص ٥٣٦.

٤ ـ وأما الثقافة الغازية، فانها تجرف المجتمع المغزى سطحياً فقط، الا في النادر من عباد الاجانب ، والا فيما كانت الثقافة الواردة أصلح للحياة، و أكثر ملائمة للفطرة، حيث ان الخرافة والاغلال السابقة، كانت على خلاف الفطرة .

وهذا هو سر مانجده من عدم نفوذ الثقافة الاستعمارية في البلاد الاسلامية وقد دامت في بعض البلاد أكثر من ثلاثة قرون : كالهند واندونيسيا، أو أكثر من قرن كما في الجزائر، حيث ان تلك الثقافة [الغازية] ليست الا خرافة و أغلالا ، نعم الصناعة حيث كانت أكثر ملائمة للطبع نفذت بسرعة، وتقبلتها البلاد بكل ترحاب .

والعكس من ذلك ثقافة الاسلام عند ظهوره، حيث دخلت البلاد بكل ترحاب من الاهالي، لما وجدوا فيها من الحقيقة والحرية .

قال تعالى: «انا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً»(١) وقال :«يحل لهم الطيبات و يحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم»(٢) .

وهذا هو سر قوله سبحانه: «ليظهره على الدين كله»(٣) فان صانع السيارة يوم كانت وسائل النقل الدواب ، وصانع الكهرباء يوم كانت وسائل الانارة الزيت، كان يحق له أن يقول : سوف تنسخ الدابة أمام السيارة، والزيت أمام الكهرباء، لان الامر لايعدو أن يفهم الانسان طبيعة الانسان .

ثم انه اذا كانت لانسان ثقافتان فلايخلو :

---

(١) سورة البقرة ١١٩ .

(٢) سورة الأعراف آية ١٥٧ .

(٣) سورة التوبة آية ٣٣ .

١ - من كونها ثقافة مجتمعين ظاهرتين .

٢ - أوثقافة جماعته ومجتمعه، فالاول: كما اذا كانذا وطنين مثلا ، حيث يلتقي بالثقافتيـن ، وهذا في الغالب يأخذ منهما ، وان كان لايتظاهر بالثقافـة العميقة عنده في المجتمع غير المثقف بتلك الثقافة العميقة، والثاني : تصبح الثقافةالخفـّية فيه، عميقة، والعلنية سطحية،كما في المذاهب الاقليةوالاحزاب السرية، وانما تكون العلنية سطحية، لاضطراره الىالمماشاة والمداراة .

أما الثقافة الخفية، فلانها :

١ - تكون لكثرة التلقين عميقة، حيث ان الجماعة المحيطة بهيضطرون الى التلقين المداوم، لئلا يذوب في وسط المجتمع الذي لايعتقدون به .

٢ - ولتكـّون العرف الخاص حوله، اذ الاكثريـة لايرتبطون به ارتباط الاقلية، فهو بحكم كونه فيهم لابد له من التعاطي أخذاً وعطاءاً وذلك يوجب تعميق الثقافة .

٣ - ولانه يريد أن لاتخيب الثقة التي وضعتها الجماعة الخاصة فيه فان الانسان فطر على جـذب الناس ، وتخييب ثقة الناس يـوجب انفضاضهم من حوله، وهذه الارادة توجب تعميق الثقافة فيه ، وقد ورد : (ان المرء على دين خليلـه)[١].

والجماعة المنسجمة لاجل هدفما، لها جانبان :

١ - الوجوه المشتركة بين أعضاء الجماعة .

٢ - والوجوه الخاصـة بكل فرد فرد ، أو بكل تجمع صغيـر في داخل الجماعة .. ومادامت الوجوه المشتركة أقوى منالوجوه المختلفة، فالجماعة

---

(١) الوسائل ج/٨ ص ٤٣٠ .

بخير، وكلما كثرت وازدادت الوجوه المشتركة كان الانسجام أكثر والتقدم أسرع، واذ انعكس الامر ، آلت الجماعة الى الشتات والبعثرة، ومن ينفصل عنها ، ان كان فيه داعي الهدف قوياً كون بنفســه جماعة جديدة ، أو التحق بجماعة يشبهها هدفاً، وان كان الداعي فيه ضعيفاً عاش فردياً بلاانضمام .

الانضمام الى الجماعات

ثم ان الانضمام الى جماعــة ما ، يحتاج الى أخلاقيات خاصة ، فليــست الجماعة ترفاً فكرياً ، أولهواً عملياً، بل الالتحاق الذي ينبع من نفس الانسان يحتاج الى تحمل المتاعب ، والاتهامات ، والمشاكل، والقدرة على الاخذ و العطاء، والى آخره، ولذا نرى بعض الافراد يلتحقون بجماعــةما، ثم سرعان ماينفصل عنهم بأعذار، والعذر الحقيقي الذي لايبديه ـ غالباً ـ هوعدم كفائته بالنسبة الى الاخلاقيات التي تتطلبها الجماعة .

ـ ثم الملتحق بجماعة جديدة ، اذا كانت لغة المضيف تخالف لغة الضيف ، سواء كان ذلك من جهة الهجرة، أومن جهة ان الجماعة ذات لغة خاصة لابد له وان يتعلم تلك اللغة، وليس تعلم اللغة مشكلة واحدة ، وانما هي مشاكل، اذ يلزم عليه أن يحتوى الاداب والرسوم والعلوم المرتبطة بتلك اللغة .

فليس الامر [كالماء، وآب] بل أعمق من ذلك: مثلا: (الصلاة) في دين الاسلام شعائر خاصة ، بينما ترجمتها في اللغة المسيحية تعطي ، شعائر آخر، واذا أضطر الانسان الىجماعة هكذا، يضطر [ثالثاً] الىالشطب علىمعلوماته الموازية لالفاظه، فالامر هو :

١ ـ تعلم لغة .

٢ ـ ومايوازيها من المعاني .

٣ ـ والشطب على مايوازي لغته السابقة من المعاني .

٤ ـ ويأتي دور أمر رابع [صعب عليه أيضاً] هو تغيير العادات والتقاليد السابقة الى العادات والتقاليد الجديدة، والا لم يتمكن من الانسجام، وكانفي السجن الانفرادي الى أن ينفصل .

٥ ـ و يأتي بعد ذلك دور المناخ في مثل المهجّر ، حيث اللازم أن يتثقف بالثقافة الملائمة للمناخ الجديد، اذ الاطلاع على كيفية العيش في المناخ نوع ثقافة أيضاً .

ولذا ورد: ان أصحاب الرسول ﷺ لما وردوا المدينة مرض أكثرهم، حتى اعتادوها ، وعلموا كيف يعيشون فيها .

موقف الجماعة تجاه المنضمين اليها

هذا كله من ناحية الضيف ، أما من ناحية المضيف ، فلابد أن يتقبل الضيف وذلك مايسمى: [بالتقبل الاجتماعي] بأن يستقبله، وينسجم معه ، و يعطيه العمل ولوازم بقائه المعنوية والمادية .

ومن المعروف ان كل بلد يرده الانسان، أوجماعة يصير عضواً فيها [له سم] والمراد ان عدم الانسجام الابتدائي ـ حيث ان الانسجام يحتاج الى مدة طويلة أوقصيرة ـ لابد وان يهج ضد الضيف الجديد، بما يلفحه مادياً أو معنوياً، وأحياناً يوجب ذلك السم اخراج الضيف عن البلد أوالجماعة .

ولهذا السبب كانت قدجرت العادة في البلاد الاسلامية على أن ينتقل

الزوج الى بيت عائلة الزوجة، أو بالعكس لان الزوجين من جهة عدم انسجامهما قبل ذلـك لابد وأن يتصادما، بما يورث الشقاق أو الطلاق، أما اذا احتفا مما يقرب ثقافتهما الى الاخر تدريجـاً يحصل الانسجام التام مما يكون أول لبـنة للحياة العائلية .

ومن أفضل الطرق لتعود حياة خارجين عن ثقافة جماعة ، ان يختلطوا بأولئك الجماعة مدة، لا ليعلموا ثقافتهم [فان ذلك يحصل من الكتاب] ولا ليتعلموا لغتهم [فان ذلك يحصل بالعلم] بل ليروا حياتهم، ويمتزجوا بهم ، امتزاجاً ، حتى يتلونوا بلونهم ، فاذا رجعوا الى بلادهم حملوا تلك الثقافة ، علماً، ولغة وعملا الى بلادهم .

وقد نبه الاسلام الى ذلك ، بقوله سبحانه : «وماكان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون»[(١)] .

وقد أراد الله في الحج، وفي زيارة الرسول ﷺ والائمة الطاهرين عليهم السلام ذلك ، حيث يختلط المسلمون بعضهم ببعض ، ولذا جعل تعالى حرمة « سواء العاكف فيه والباد » .

وكان من صنع المستعمرين ، ان جعلوا الحجيج لا يختلط بعضهم ببعض وانما لكل جماعة مكان خاص وكيفية خاصة ، لعدم توحد المسلمين حياةاً .

وكان من ماعملته الحوزات العلمية في مثل النجف وكربلاء وقم وخراسان ان لايجعل التميز في المدارس والدروس والاجتماعات ، فالفارسي الى جنب العربي ، والهندي ، والتركي ، وهكذا .

---

(١) سورة التوبة آية ١٢٢ .

وقد أخذ المستعمرون بالخطة الاسلامية ، حيث الاختلاط في الكنائس ونحوها والمعاهد ونحوها، وحيث يستضيفون كل عام جماعات من البلاد ، ليختلطوا معهم ويتلونوا بلونهم ، فاذا رجعوا الى بلادهم بعد انتهاء الضيافة ، لونوا بلادهم ، بلون المستعمر حركة واسلوباً وتفكراً ، بل ومنطقاً ، وحيث ان البلاد المضيفة فيها اغراءات كثيرة من كل لون بما يفقدها الضيوف في بلادهم، يحاول الضيوف بعد رجوعهم الى بلادهم تلوين بلادهم بلون بلاد المستعمر.

ولذا فمن الضروري على البلاد الاسلامية :

١ - المنع عن مثل هذه الاسفار .

٢ - تهيئة الجو الاسلامي المناسب للطلاب ونحوهم الذين يذهبون الى تلك البلاد ، في فنادق خاصة بالمسلمين ، لئلا يمتزجوا بحياة أولئك و يجب ان تعطي تلك الفنادق وسائل الراحة الفكرية نزلائها بما لايكون جو تلك البلاد أكثر اغراءاً .

٣ - اعادة استضافة المسلمين الى بلاد الاسلام المتقدمة مع تهيئة الأجواء المناسبة .

٤ - ترفيع مستوى بلاد الاسلام المتقدمة صناعياً ، و زراعياً وسياسياً ، واجتماعياً ، حتى يمكن ان تتخذ اسوة ، وتكون جذابة و لو بنسبة ضعيفة ، بالمقارنة الى بلاد المستعمرين .

فلقد كان من أسباب تقدم الاسلام السريع بدأ بزوغه ، ان بلاد الاسلام كانت خيراً من البلاد الاخرى حتى اذا جائها الاضياف رأوا فيها من العدل ، والامن والحرية ، والرفاه ، والعلم، والنظافة، وحسن الخلق، والصفات الرفيعة ما لم يكونوا يجدونه في بلادهم ، ولذا كانوا يسلمون ، ويكونون دعاة الى الاسلام

في بلادهم ، ويطورون بلادهم على صورة البلاد الاسلامية .

الاسلام والحرية الثقافية

كما انه كان من أسباب تقدم بلاد الاسلام ، اختلاط الثقافات المختلفه ، لمـا وفره الاسلام من الحرية والجذب لمختلف الناس ، فقد اختلطت ثقافة العرب بثقافة مصر وايران والهند والعراق وغيزها ، ومن الطبيعي ان يأخـذ الاجتماع بأحسن الثقافات، حاله حال الفرد الذي يتسّوق حيث يشتري البضاعة الاحسن من غيرها .

ونشاهد في العصر الحاضر ، ان من أسباب قوة الاستعمار في امريكا و بريطانيا وفرنسا ، نفس هذا السبب ، فأمريكا مكونـة من ثقافات مختلفـة ، و بريطانيا تموج فيها ثقافـات الكومنولث ذات [٤٥] دولـة ، وفرنسا تلونت بألوان ثقافات المستعمرات التي تتكلم بلغتها، وهي كما في بعض الاحصاأت [٤٥٠] ميلون من البشر : ما يقارب عشر العالم .. بينما البلاد الاسلامية ذات الالف مليون مسلم ، تقطعت قطعة قطعة بينها التدابر والتناكر والتحارب .

وكذلك تعلمت جملة من البلاد الحاضرة من الاسلام، عدم الضغط على الثقافات المختلفة، فان ذلك كان من ابداعات الاسلام، بما لم يكن لـه مثيل في العالم قبل الاسلام ـ حسب ماحفظ التاريخ ـ .

فقد قرر الاسلام ـ فيباب العقيدة ـ «لااكراه في الدين» وانما أنذرمن لم يقبل الصحيح عن تعقلوتدبر بالحياة الضنك في الدنيا، والخسارةالفادحة في الاخرة، حيث قالسبحانه: «ومن يبتغ غيرالاسلامديناً فلن يقبل منه *وهو

في الاخرة من الخاسريـن»[١]. وقال تعالى: «ومن أعرض عن ذكري فانه لـه معيشة ضنكا * ونحشره يوم القيامة أعمى»[٢].

كما ان الاسلام في باب العمل قال : «لكل قوم نكاح»[٣] وقال : «الزموهم بما التزموا به»[٤] وقال : «لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم* وبين أهل الانجيل بأنجيلهم* وبين أهل الزبور بزبورهم* وبين أهل القرآن بقرآنهم»[٥] الى غير ذلك . . وقال بالنسبـة الى كل من العقيدة والعمل: «لكم دينكم ولي دين»[٦] و قال: «ان هذه تذكرة فمن شاء ذكره»[٧] وقد ذكرنا في الفقه: [الجهاد،والقضاء والشهادات] بعض الكلام في هذه المسألة .

فان الانسان اذا رأى الحق ولم يكن ضغط لابد وان يستجيب له ان قريباً أوبعيداً، قال سبحانه : «وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه»[٨].

وقد استمر المسلمون بعد رسول الله ﷺ الا النادر جداً على ذلك حيث لم يحفظ التاريخ انهم أجبروا كافراً على ترك عقيدته، أوبالتخلي عن شريعته وان كان مشركاً بالله، ولذا لم يضغط الرسول على مشركي بدر بعد الاسر ، و على كفار مكة ، ويهود خيبر، وكفار الطائف في عقيدتهم أو عملهم .

---

(١) سورة آل عمران آية ٨٥ .
(٢) سورة طه آية ١٢٤ .
(٣) تهذيب الأحكام ج/٦ ص ٣٨٧ .
(٤) الوسائل ج/١٧ ص ٥٩٨ .
(٥) بحار الأنوار ج/٣٥ ص ٣٨٧ .
(٦) سورة الكافرون آية ٦ .
(٧) سورة المدثر آية ٥٥ .
(٨) سورة التوبة آية ٦ .

أما المستعمرون الذين أرادوا فرض ثقافتهم على غيرهم بالقوة، فكان الطريق مسدوداً أمامهم ولم يجنوا من ذلك الا الكره، والنفرة ، ورفض الشعوب لهم في أول فرصة، ولا أدل على ذلك من القرون الوسطى فى اوربا، حيث الظلم الفظيع ومحاكم التفتيش وماأشبه .

التعديل الاجتماعي

(مسألة ـ١٦ـ) الاجتماع تدريجياً يجعل لنفسه قوانين يراها ملائمةلحياته النفسية والجسمية، سواءكان الجعل اقتباسياً ، كالذين يتدينون بدين السماء، أو اختراعياً ، كالذين يخترعون القانون ، وحيث ان الاجتماع يرى ملائمة تلك القوانين، كان لابد له من مراعاتها، لكي لاتنهدم وينهدم بسببه الاجتماع الامن، اذ القانون الملائم اذا انهدم ، فأما ان ينهدم أصل الاجتماع بالتفرق و التشتّت ، وأما ان ينهدم أمن الاجتماع ، بأبتلائه بالفوضى و عدم الملائمات النفسية أوالجسمية، مثل القلق والقحط والمرض مثلا .

ولاجل سلامة القوانين يركز الاجتماع على قانونين :

أ ـ قانـون الجذب ، حيث يجذب الى قوانينه الافراد و الجماعات ، ليهضمهم في داخله، ولا يسمح ان يكون فرد أوجماعة حيادياً عنقوانينه ،لان من يتمتـع بخيرات الاجتماع ، لا حق لـه في عدم مشاركة الاجتماع ، فان الاجتماع يسدى الى الفرد الحماية والتعاون والامن وغير ذلك ، واللازم في مقابل ذلك ان يلتزم الفرد بقوانين الاجتماع .

فاذا لم يلتزم عاقبوه بالهجر والتقبيح، والكشح عنه ، وعدم الاحترام، و عدم التعاون معه، وأحياناً يصل العقاب الى الشدة والخشونة معه .

ب ـ قانون الدفع ، حيث اذا رأى الاجتماع من فرد أو جماعـة خرق قوانينه بما يراه ضاراً ضيّق على الخارق، بما يراه مناسباً لخرقه، ولا يتمكن

الخارق انيحتج بانه حر، اذ يرده الاجتماع بانه [لاحرته لاعداء الحرية]..و هذان البندان [أ ـ ب] هما اللذان يسميان بالتعديل الاجتماعي .

اشكال التعديل الاجتماعي.

وللتعديل الاجتماعي صورتان :

(١) الاقناع حيث الاجتماع يمدح المستقيم [على قوانينه]ويذم المنحرف سواء كان مدحاً وذماً عملياً أولفظياً ، فمثلا : [الكاسب الحسن الاخلاق] يلتف الاجتماع حوله بالبيع والشراء ، وأمام الجماعة الزاهد يكثر مأموموه، و الخطيب البارع يكتظ مجلسه ، والفقيه الورع يكثر مقلدوه ، فاذا انحرف هؤلاء عن تلك الصفات ذمهم الاجتماع [عملياً] بالانفضاض من حولهم .

وكذلك لاينتخب الاجتماع ، في الحكومات الاستشارية الشخص الذي لايراه مناسباً لعدم سيره وفق المقررات الاجتماعية .. واذا سبق ان انتخبه ثم ظهر انحرافه سحب البساط من تحته وأسقطه ، بله انه لاينتخبه في مرة ثانية، أما الحاكم الديكتاتور المحتمى بالسلاح حيث لايتمكن الاجتماع من تعديله ولامن سحب البساط عن تحته بالاقناع [بالسلام]فانه يعامله الاجتماع بالصورة الثانية، وهي :

ب ـ الاجبار بمثل الضرب والشتم والسجن وما أشبه، سواء تحقق ذلك بواسطة الدولة، أوبواسطة من له القدرة على ذلك .. والاجبار قد يصل الى الاعدام، وليس ذلك لفائدة المعدم،وانما: (١) لتطهير الاجتماع عن لوثه (٢) ولتنفير غيره ممن يمكن ان تسول نفسه القيام بمثل عمل الخارق .

ومما تقدم يظهر ان الضغط الاجتماعي لاجل التعديل :

أ ـ أمابدني، كالضرب والاجاعة ونحوهما [ويدخل في هذا الباب فرض الحصار الاقتصادي] ونحوه .

ب ـ وأما روحي ، بالشتم و الاهانـة و فرض الحصار الاجتماعي بعدم التكلم معه وعدم احترامه في المجالس، وعدم اعطائه الصلاحية لمقام سياسي أواداري، أوماأشبه ذلك .

وقد ورد في تفسير قوله سبحانه: «وعلى الثلاثة الذين خلـّفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت»(١) الاية ـ ان ثلاثة من الصحابة لم يأتمروا بأمر الرسول ﷺ في الاشتراك في الحرب، فضرب الرسول ﷺ عليهم حصاراً اجتماعياً بأن أمر المجتمع بعدم التعامل معهم، ثم لماتابوا ورجعوا الى الطاعة رفع ﷺ الحصار عنهم .

لكى يكون التعديل الاجتماعى ناجحاً

ثم ان الخارج عن قوانين الاجتماع، مما يسلط الاجتماع ضغطه عليه :

(١) ان أحب الاجتماع ، لا يقوم بعداء الاجتماع ، بل يعدل سلوكه، أو يلائم، وان رأى صحة سلوكه وخطأ الاجتماع، كما اذا أدّب الاباء الاولاد.

(٢) وان لم يحب الاجتماع قام بعدائه، وربما أخذ في الافراط في انحرافه انتقاماً من الاجتماع الذي ضغط عليه .

ولذا فاللازم على الاجتماع ان يلاحظ الاهم والمهم في كيفية الضغط ، حتى لايوجب الضغط الاسوء، فانه يكون حينئذ كالفرار من الرمضاء الى النار.. وقد عزل الامام أمير المؤمنين عليه السلام أبا الاسود الدؤلي [قاضيه] العادل النزيه ،

---

(١) سورة التوبة آية ١١٨ .

فقال له ياأمير المؤمنين : لـم عزلتني وماخنت ولاجنيت ؟ قال عليه السلام : (لانك يعلو صوتك صوت الخصمين)[(١)] .

وقال الرسول صلى الله عليه وآله لمن أتى باسارى اليهود: كيف تمر بالنساء على قتلاهن فكان الله نزع الرحمة عن قلبك ؟ ! ومنـع عن التمثيل بالكفار بعد الموت ، وقال صلى الله عليه وآله : (لاتمثلوا ولو بالكلب العقور)[(٢)] الى غير ذلك .

اذاً فاللازم :

(١) ان تكون العقوبة بقدر المخالفة بدون زيادة ، ولو باهانة ونحوها ،

(٢) الاهتمام بأن تكون رادعة ، لاتشفياً ونحوه .

(٣) ان يلاحظ الاهم والمهم ـ بكل دقـة ـ فلا تجري العقوبة ، اذا كان العفو أفضل ، ولـذا ورد : ان الرسول صلى الله عليه وآله عفى عن أهل مكة ، وقال لهم : (اذهبوا فانتم الطلقاء)[(٣)] . وعفى علي عليه السلام عن أهل البصرة وقال: (مننت على أهل البصرة ، كما منّ رسول الله صلى الله عليه وآله على أهل مكة)[(٤)] وكذلك عفى عمن بقى من الخوارج ، وعمّن ظفر به من أهل صفين . . .

وقال عليه السلام لشاب سارق : ماتحفظ من القرآن ؟ قال : سورة البقرة ، قال عليه السلام : (قد عفوت عنك لسورة البقرة) الى غير ذلك .

فالمهم في الاجتماع ان يعمل لاجل ايصال المفرط ، وارجاع المفرط ، لاان تطبق العقوبة حرفياً ، فكيف بمـا اذا زيد عليها ، وهذا هـو الذي يسمى

---

(١) مستدرك الوسائل : ج ٣ ص ١٩٧ .

(٢) نهج البلاغة /صالح/ ص ٤٢٢

(٣) الوسائل : ج ١١ ص ١١٩ الباب ٧٢ من أبواب جهاد العدوح ١ .

(٤) انظر الجواهر ج/٢١ ص ٣٣٤ وانظر الوسائل ج ١١ ص ٥٨ الباب ٢٥ من جهاد العدوح ٦ .

[بروح القانون] وجعل ذلك الى يدولي الامر، قال سبحانه : «هذا عطائنا فامنن أوامسك بغير حساب»(١) .

وقال تعالى: «سماعون للكذب أكالون للسحت* فان جائوك فاحكم بينهم أواعرض عنهم»(٢) الى غيرهما من الايات والروايات بهذا لصدد، حيث ان ولي الامر هوالذي يشخص روح القانون عن مادته الهامدة .

المتمردون بين المحيط الطبيعي والمحيط الاجتماعي

ثم ان حال الاجتماع مع الفرد المنحرف ، حال المحيط الطبيعي معه ، مع فارق ان الاول يعمل حسب موازين العقل، ولذا يتحمل الضغط عمن يضغط بينما الثاني يعمل حسب القانون الخاص به بدون مرونة وتحمل ضغط ، فالانسان اذا جاع مات ، وكذلك اذا عطش ، أو لفحته الحرارة ، أو عضته البرودة ، أوما أشبه ، اذا وصل الى حد عدم تمكنه من المقاومة ، أما الذي يدرب حتى يتمكن من المقاومة الاكثر ، فان عدم موته لاجل انه خرج عن قانون طبيعي ودخل فى قانون آخر ، لاان الطبيعة انسحبت أمامه .

أما الاجتماع الضاغط، فانه يرجع المفرط والمفرط الى الاعتدال المطلوب له، وكثيراً مايستحق أحدهماعقوبة، لكن الاجتماع يلاحظ الاهم والمهم فيترك أصل العقوبة أوقدر الاستحقاق ، فان الانسان ليس كالشجر اليابس ، بل كالغض الرطب ، ولذا يخطأ الذين يتصورون ان الانسان يستجيب للاوامر ـ في باب التربية والاطاعة ـ .

---

(١) سورة صّ آية ٣٩ .

(٢) سورة المائدة آية ٤٢ .

ان الفلاح يدخل البستان ، فيقطع ماشاء ويشذب ويهذب ، ويغرس وما أشبه ، كل ذلك والاشجار تستجيب ولاتبدي مخالفة ، أماالانسان فليس كذلك، وانما التربية والطاعة انماتكونان مع السيرفي قانون [ان الانسان يحتوى على العواطف والافكار والحاجات والصفات]وكذلك الحال في ردالمنحرف الى الصراط ، أوعقوبته ولو بالاعدام ، لاجل تطهير الاجتماع عن لـوثه واخافة الاخرين ان لايخرقوا مثل هذا القانون .

ثم انا ذكرنا في كتاب : [الحدود والقصاص] وغيرهما، ان الذين يحكم الشرع بقتلهـم ، قليلون جداً مثل المرتد الذيلم يرجع ، ولم يكن ارتداده بشبهة ، والزاني اكراهاً أوبمحارمه ، أوما أشبه ، أما غيرهم فالقتل له بدل ، كالمحارب‌لله ولرسوله ، والقاتل عمداً، وغيرهما ، وفي أولئك‌الاولين‌للحاكم الاسلامي‌حق العفو ، كما عفى علي عليه السلام عن اللاطي مع ان حكمه القتل ، فاذا رأى الحاكم الاسلامي العفو ، ولومن باب الاهم والمهم حق له ذلك ـ على تفصيل مذكور في تلك الكتب ـ .

مصدر التعديل الاجتماعي

ثم ان الـمسلمين لايختلفون في ان مصدر الـتعديل الاجتماعي ، هو مـا يستفاد من الادلة الشرعيه : [الكتاب ، والسنة ، والاجماع ، والعقل] أما غيـر المسلمين فحيث انهم يحكمون الاراء في القوانين ، كان لابد وان يرى كل جماعة منهمقانوناً غير ما تراه الاخرى، وحسب ذلك القانون المصوب‌عندهم يضغطون على المخالف ، فليس القانون الوضعي عندهم كالقانون الطبيعي ، حيث ان الثاني مستند الى الطبيعة لايتغير ولا يتبدل .

بخلاف المسلمين ، حيث ان القانون الوضعي عندهم كالقانون الطبيعي لان كليهما مستند الى الاله الدائم الابدي .. و قد صار عدم استناد القانون الوضعي الى شيء دائم ثابت ، مصدر مأساة لغير المسلمين ، اذ هم يفكرون ماذا هو الميزان ؟ فهم يرون تساقط القوانين الواحد تلو الاخر بتبدل رأى الاكثرية ، وباختلاف الاكثرية هناعن الاكثرية هناك .

فهل الزنا واللواط والعادة السرية ونكاح المحارم ، و... حلال أم حرام؟ وهل قتل الضعفاء والمبتلين بالامراض التي لايرجى شفائها والمعوقين و..جائز أوممنوع ؟ وهل المرأة تدخل في كل الامور السياسية والاجتماعية والاقتصادية و .. مطلقاً أو بقدر ، أو لاتدخل ؟ و هل الاقتصاد رأسمالي أو اشتراكي أو شيوعي أو توزيعي ؟ وهل الحكومة ديكتاتورية البروليتاريا أو ديمقراطية رأسمالية أو ديمقراطية اشتراكية ؟ وهل الاعدام صحيح أم لا ؟ وهل ؟ !

كل ذلك ، لاميزان ثابت لها عندهم ، ولذا ترى مجتمعاً يختلف رأيه زماناً عن زمان ،يحرم شيئاً زماناً ، ثم يعود فيحلله ،كما ترى مجتمعاً يختلف عن المجتمع الاخر ، فهذا يجوز مايمنعه الاخر ـ بل ربما شدد المنع ـ مثل استعمال المواد المخدرة ، فانه مباح في بعض بلاد امريكا ، بينما هو ممنوع أشد المنع في بعض بلادها الاخر ، مع ان الجميع في اطار عام للدولة المتحدة سياسياً ، الى غير ذلك من الامثلة .

ثم ان الاجتماع الذي جعل العقوبة على المخالف ، قد يكف عن العقاب فلا ينزل عليه العقاب المقرر ، بأن يغض النظر عنه ، أو ينزل عليه عقاباً خفيفاً ، وذلك بملاحظة [قانون الاهم والمهم] حيث يرى ان انزال كل العقاب أو بعضه يوجب فوات شيء أهم فيصرف النظر عن قانون المهم رعاية لقانون الاهم .. وربما يسمى ذلك [بالمداراة الاجتماعية] والغالب ان تكون المداراة

للامور التالية :

(١) المكـانة الشخصية لخارق القانـون ، حيث انه كلما كان ذا مكانـة أرفع كان الاغماض عنه أكثر :

أـ وهذا أحياناً يكون لصرف التملق ونحوه ، وذلك ليس بمستحسن، بل هو موجب لزوال الامة ، حيث ان الكبراء اذا أسائوا ان عفى عنهم سرى ذلك الى سائر الطبقات ، ويكون الحاصل هدم القانون الموجب لهدم الاجتماع ، ولذا أصر الرسول ﷺ على قطع يد المرأة الشريفة ـ في قومها ـ لئلا ينهدم القانون .

ب ـ وأحياناً يكون لقاعدة الاهم والمهم، مثلا : محسن كبير أساء اساءة، وعقابه يوجـب قطع احسانه ، فيرى العقـل ترك عقابه دواماً لاحسانه ، أو ان رئيس الجيش قد خان، فاذا أخذ بخيانته، لم يهتم بالجيش مما يسبب الانكسار أمام الاعداء ، فتركـه والاغضاء عنه انمـا هو لامر أهم ، ولذا عفى رسول الله ﷺ عن [حاطب] حيث رأى ان بقائه أهم من عقابة ، حيث خـان بالكتابة الى اهل مكة .

ولا يخفى انه كما ان بين [التهور والشجاعة] خيط رفيع ، وبين [الكرم والاسراف] كذلك ، كذلك بين (أ ـ و ـ ب) فاللازم ملاحظة ان المورد من ايهما حتى لايوضع [ب] مكان [أ] ولا العكس ، أما اذا انقسم العرف الى قسمين وانه هل المورد من هذا أو ذاك ؟فاللازم اجراء أصل تنفيذ القانون، الا اذا ثبت خلافه ..وهذا يشبه ما يقال في الاصول والفقه بأن المرجع لدي الشك الاصول العملية .

ثم ان المكانة الشخصية لخارق القانون ، قد توجب العكس ،أي انه اذا

كان عادياً أمكن الغض عنه ، لان القانون ليس بتلك الاهمية التي توجب تتبع جزئيات مخالفيه ، كما اذا سرق فقير اجرة سيارة الدولة ، فلم يدفعها لانهلايملكها ،ويحتاج الى السفر ، فانه أمر يغض عنه أحياناً ،بينما انالخارق اذا كان غير عادي أخذ بالخرق من جهة لزوم مراعاة المكانة بكل نظافةلنوع الخارق بكل دقة ، كما اذا كان الخارق عالماً أو واعظاً أو ما أشبه ، وقد قالوا ان [زلة العالِم زلة العالَم].

و قد قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام : (قصم ظهري اثنان : عالم متهتك وجاهل متنسك)[١].

وفي الحديث : (ان اللهيغفر سبعين ذنبا للجاهل قبل ان يغفر ذنباً للعالم)[٢].

٢ - ازمنة الاضطرابات ، فان الاضطراب يوجب تشديد المجتمع العقاب بالنسبة الى بعض اقسام الخرق ، بينما يوجب تخفيف العقاب أو تركه بالنسبة الى بعض آخر من أقسام الخرق، مثلا: في ايام القحط ،يصرف المجتمع نظره عن سارق الطعام لاجل سد جوعه . بينما ليس كذلك حال الرفاه ، ولذا ورد في الشريعة : (عدم قطع يد السارق أيام المخمصة) .

وبالعكس من ذلك أيام الحرب ، يعاقب من يتصل بالعدو عقوبة شديدة بينما ليس كذلك أيامالهدنة، الى غير ذلك من الامثلة .

٣ - كون العضو الخارق ، منتسباً الى جماعة ، يلزم عليها التشديد أو التخفيف بحكم مكانة الجماعة ، مثلا : الخداع السياسي من فرد من الحزب يوجب تشديد العقوبة ، بينما مثل ذلكالخداع من جماعة اقتصادية لايوجب

---

(١) بحار الأنوار ج/١ ص ٢٠٨ .

(٢) أصول الكافي ج/١ ص ٤٧ .

التشديد ، و لذا كان للارتداد والزنا بالمحارم والزنا الاكراهي و ما أشبه ، قوانين بالغة الاهمية في الاسلام ، بينما الظهار واللعان ليس كذلك .

وليعلم ان الاسلام، حيث انه دين الانسان والحريات، قد قلل من القانون الكابت للانسان ، ولذا لايتحقق موضوع النقض في كثير من التصرفات، بينما القوانين الوضعية، حيث كثرت لعدم جعلها الانسان المحور ـ وانما المحور المادة ـ قد كثرت من القوانين الكابتة ، و كذلك بالنسبة الى انحراف اخلاقي في مربي دين يوجب الصعوبة ، بينما ليس كذلك الامر اذا صدر ذلك من انسان عادي ، خصوصاً اذا كان بعيداً عن مراكز الدين ومواضع الفضيلة .

(٤) كون القانون الذي نقضه الناقض ذا أهمية أم لا ؟ فان كان ذا أهمية ، لايرى الاجتماع مداراة ناقضه بينما اذا لم يكن ذا أهمية راؤا فيه المداراة ، وقد أشرنا الى بعض تفصيل ذلك في كتب: [نريدها حكومة اسلامية] و [السياسة] و [الحكم في الاسلام] وغيرها .

وقد ورد في أحاديث كثيرة [المداراة] لانها ـ في غير مقام الضرورة ـ أوجب لحسن الاجتماع وتقدمه .

فقد روي عبدالله بن سنان ، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (أمرني ربي بمداراة الناس ، كما أمرني بالفرائض)(١) .

وعن الحسين بن الحسن قال : سمعت جعفراً عليه السلام ، يقول : (جاء جبرئيل الى النبي صلى الله عليه وآله فقال : يا محمد ربك يقرئك السلام ، ويقول لك : دارخلقي)(٢).

وروي السكوني ، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (ثلاث

(١) أصول الكافي ج/٢ ص ١١٧ .

(٢) أصول الكافي ج/٢ ص ١١٦ .

من لم يكن فيه لم يتم له عمل : ورع يحجزه عن معاصي الله ، وخلق يداري به الناس ، وحلم يرد به جهل الجاهل)(١) .

وروي مسعدة بن صدقة ، عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (مداراة الناس نصف الايمان ، والرفق بهم نصف العيش)(٢) .

وعن حذيفة بن منصور ، قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : (ان قوماً قلّت مداراتهم للناس فألقوا من قريش، وأيم الله ما كان باحسابهم بأس، وان قوماً من غير قريش حسنت مداراتهم فألحقوا بالبيت الرفيع)(٣) ، ثم قال عليه السلام: (من كف يده عن الناس،فانها يكف عنهم يداً واحدة، ويكفون عنه أيدي كثيرة)(٤).. الى غير ذلك من الروايات .

(١) كتاب الخصال/التعارف/ص ١٤٣ .
(٢) أصول الكافي ج/٢ ص ١١٧ .
(٣) أصول الكافي ج/٢ ص ١١٦ .
(٤) أصول الكافي ج/٢ ص ١١٧

الجمع والجماعة

(مسألة ـ ١٧ـ) حيث ان الانسان خلقه الله محتاجاً الى بني نوعه ، لا في الجهات الجسمية فحسب، بل في جهاته الروحية أيضاً، كالعلم والعاطفة، واظهار الصفات ، وما أشبه ، يجتمع مع الاخرين في اجتماعات صغيرة ، ثم كبيرة ، والاجتماع الذي يعيش الانسان تحت ظله لا يكفيه غالباً ، في ملاء رغباته ، فيعمل لاجل ان يجتمع في وحدات ، وهذه تسمى (بالجماعة) وهي غير [الجمع] فان الاول له الانسجام والدوام النسبي ، بخلاف الثاني، فان الجمع يطلق على ماله المواصفات التالية :

الفرق بين الجمع والجماعة

(١) الجمع يجتمع تلقائياً ، وبدون سابق تخطيط له كما اذا اجتمع جمع لاجل منظر أو حادثة سارة ، أو حريق ، نعم يمكن ان يكون الجمع ، مقدمة (الجماعة) كما اذا استغل بعض الجمع ، جماعة منهم لاجل تشكيلهم ، بسبب متابعة هدف خاص ، قصير الامد أو طويله ، كما اذا حدث زلزال ، فاجتمع الناس ، ثم استغل بعضهم ، فجمع جمعاً منهم ، لاجل تكوين جماعة لاجل تعمير مكان الزلزال ، أو لاجل تكوين جماعة اقتصادية دائمة للقيام بالشئون الاقتصادية لتلك المنطقة .

(٢) الجمع سريع الزوال ، فكما يجتمع فجئة ينفض فجئة ، وقد يسمى

بالغوغاء وهذا يفسد أيضاً ، قال عليه السلام: (اذا اجتمعوا ضروا ، واذا تفرقوا نفعوا)[١] ثم فسر نفعهم في التفرق ، بأن كل واحد يذهب الى عمله .

٣ ـ الجمع ليس بين أعضائه تجانس ، بخلاف الجماعة، فالجمع يجتمع تلقائياً ، بينما الجماعة انما تكون بين أصحاب أهداف مشتركة ، فالجماعة السياسية أو التربوية ، انما تجتمع لاجل تسيير دفة السياسة ، أو لاجل تربية المجتمع، بينما الذين يجتمعون لاجل منظر أو مأساة يدخل فيهم العالم والجاهل والعامل والبطال ، والى آخره .

٤ ـ الجمع يمكن بدون تجمع أفراده، كالذين يأتون لانتخاب النواب، حيث يأتي كل واحد ويذهب بدون تجمع بين أفراده، وكالذين يحضرون الولائم أفراداً أفراداً ،بينما الجماعة لابد لها من التجمع، لان الجماعة تستشير، وتصمم ، وتوزع الاعمال ، وكل ذلك يحتاج الى تجمع ولو تلفزيونى .

العقل أم العاطفة ؟

٥ ـ الجمع ـ غالباً ـ تحدوه العاطفة الشديدة للتجمع والعمل ، بدون تفكر في العواقب ولذا يذوب الفرد في الجمع، حيث لا يرى الا الجهة التي ينساق اليها، بسبب تلك العاطفة المشبوبة، والغالب ان الديكتاتوريين يستفيدون من هذه العاطفة فى سوق الناس الى أهدافهم، ولذا نرى ان مثل ذلك يلازم تقديساً مطلقاً لديكتاتور هو وراء الاثارة .

لكن يلزم ان يعلم ان مثل هذه الحالة سواء كانت في الجمع أو في الجماعة لها رد الفعل من جهات :

أ ـ من جهة ان العقل أخيراً يغلب على العاطفة ، فينقلب العمل المعمول

---

(١) نهج البلاغة / صالح / ص ٥٠٤ .

فترة الى ابشع صور الكره و الذم ، و يبقى الذم على القائمين بذلك ، طول المستقبل .

ب ـ سقوط الديكتاتور الذي وراء العمل سقوطاً هائلا ، حيث تتكشف عوراته وحيله ومكايده .

ج ـ تسلط الاعداء على مثل تلك الجماعة ، حيث ان الاعداء يعملون بتعقل، والجماعة عملت بعاطفة ، والعاطفة لا تتمكن من البناء فتسقط ، بينما العقل يتمكن من البناء فيغلب .

ومن الامثلة في العصر السابق ، بنو امية حيث استغلوا عواطف السذج ضد أهل البيت عليهم السلام، فتسلط عليهم أعدائهم ونسفوهم بما بقوا لعنةالتاريخ .

كما ان من الامثلة فيالعصر الحاضر، هتلر، وستالين، وموسيليني، وماو حيث سقط كلهم سقوطاً ذريعاً ، فانتحر الاول ، وقسمت المانيا ، واحرقوا الثاني بعد موته، وصار بلد الثالث مرتعاً للماسونية وأعمال العنف، الى الان وصار ماو فضيحة التاريخ ، وتغلب أعداء الصين عليه، ومن الامثلة في للبلاد الاسلامية، اتاتورك، والبهلوي وياسين وغيرهم .

(٦) الجمع غالباً، لاتر كيب ثابت له بينما الجماعة بالعكس ، فالجماعة لها أعضاء يغلب بقائهم،وتبدلهم قليل، أما الجمع ـ كالذين يجتمعون لمشاهدة زلزال أومظاهرة فجائية أوماأشبه ـ فأعضاء منه ينصرف، ويلحق الى الجمع أعضاء آخر، ففي كل مدة التجمع لايكون الاعضاء باقين .

الاسلام يدعو الى التعقل

وحيث ان اللازم على الانسان اتباع العقل ، وان كان فيه مرارة عاجلة و حرمانموقت ، وعدم الانسياق وراء العاطفة، وان كان فيه حلاوة وملأ غرور فقد حذر الاسلام أكبر قدر من التحذير عن ترك التعقل والاخذ بالعاطفة، بل

أمر بالتعقل وما تقتضيه الموازين الصحيحة .

قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام : (العقل حفظ التجارب وخير ماجربت ما وعظك)[١] .

وقال عليه السلام: (ان الشقيّ من حرم نفع ما أوتي من العقل والتجربة) .[٢]

وقال عليه السلام: (أغنى الغنى العقل، وأكبر الفقر الحمق)[٣] .

وقال عليه السلام: (لا غنى كالعقل، ولا فقر كالجهل)[٤] .

وقال عليه السلام: (لاترى الجاهل الا مفرطاً أومفرطاً)[٥] .

وقال عليه السلام: (اذا تم العقل نقص الكلام)[٦] .

وقال عليه السلام : (لا مال أعود من العقل، ولا وحشة أوحش من العجب ، ولا عقل كالتدبير)[٧] .

وقال عليه السلام: (التودد نصف العقل) .[٨]

وقال عليه السلام: (أول عوض الحليم من حلمه ان الناس أنصاره على الجاهل).[٩]

وقيل له عليه السلام: صف لنا العاقل؟ فقال عليه السلام: (هو الذي يضع الشيء مواضعه)[١٠] فقيل له عليه السلام: فصف لنا الجاهل؟ فقال عليه السلام: (قد فعلت)[١١] .

---

(١) نهج البلاغة /صالح/ ص ٤٠٢ .
(٢) نهج البلاغة /صالح/ ص ٤٦٦ .
(٣) نهج البلاغة /صالح/ ص ٤٧٥ .
(٤) نهج البلاغة /صالح/ ص ٤٧٨ .
(٥) نهج البلاغة /صالح/ ص ٤٧٩ .
(٦) نهج البلاغة /صالح/ ص ٤٨٠ .
(٧) نهج البلاغة /صالح/ ص ٤٨٨ .
(٨) نهج البلاغة /صالح/ ص ٤٩٥ .
(٩) نهج البلاغة /صالح/ ص ٥٠٥ .
(١٠) نهج البلاغة /صالح/ ص ٥١٠ .
(١١) نهج البلاغة /صالح/ ص ٥١٠ .

وقال عليه السلام: (لايغش العقل من استنصحه) .[١]

وقال عليه السلام: (ماستودع الله أمرءاً عقلا الا استنقذه بهيوماً ما) .[٢]

وقال عليه السلام: (كفاك من عقلك ماأوضح لك سبل غيك من رشدك) .[٣]

وقال عليه السلام: (الحلم غطاء ساتر ، والعقل حسام قاطع، فأستر خلل خلقك بحلمك، وقاتل هواك بعقلك) .[٤]

الانسجام بين افراد الجماعة

أما الجماعة ، فقد عرفت انها تتشكل من أفراد لهم هدف خاص ، ولها دوام، وفكرة واسلوب عمل ، والانسجام بين الجماعة يقوى بكثرة التبادل و المشورة، كما ان السير نحو الهدف يزيد من الارتباط والانسجام ، واذا كان امام الجماعة جماعة اخرى منافسة، اشتد التجانس، وكثر العمل، حيث ان التنافس من أقوى أسباب تقدم الانسان، حيث جعل الانسان على انه لايتمكن ان يرى غيره متفوقاً عليه، فاذا أحس بتفوق غيره ، أوصار ذلك محتملا، أخذ الانسان في العمل الاكثر، وضغط على نفسه في الابداع لئلا يسبقه غيره .

وهذه الحالة موجودة في الفرد ، فاذا انضم الافراد بعضهم الى بعض، صار التنافس أشد ، لان بعضهم يؤثر في البعض نشاطاً وتحفيزاً ، والمنفعل بدوره يؤثر في الفاعل والاخرين ، و هكذا . . ولذا فالجماعة بحاجة الى أمرين :

(١) الفلسفة التي تجمعهم وتكون منهجاً لحياتهم الاجتماعية .

---

(١) نهج البلاغة / صالح / ص ٥٢٥ .
(٢) نهج البلاغة / صالح / ص ٥٤٨ .
(٣) نهج البلاغة / صالح / ص ٥٥٠ .
(٤) نهج البلاغة / صالح / ص ٥٥١ .

(٢) العاطفة المشبوبة التي تسيّرهم وتحثّهم على التقدم، فهما معاً ضمان بقاء الجماعة ، فاذا فقدت الجماعة أحدهما تبددت واندثرت .

و كلما كانت فلسفة الجماعة الصق بقلوبهم ، كانوا مؤمنين بها ايماناً ، شديداً، وكلما كان الانبعاث العاطفي فيهم أكثر ، اشتدت أواصر الجماعة ، و كانت أكثر سرعة الى الامام ، والعكس بالعكس . . كما ان الجماعة لو كانت جماعة جذبية، أي بنيت على جذب الناس كالجماعة الاقتصادية السهامية، كان الامران السابقان يوجبان انجذاب الناس اليهم أكثر ، سواء الاعضاء أو المناصرون، أوالموالون .

تأثير الجماعة فى الفرد

ثم ان الجماعة تسبب تغييراً في أفرادها، والغالب ان يكون ذلك التغيير في الابعاد الخمسة الاتية وهي :

١ ـ تحطم الفردية ، حيث ان الجماعة تعطي سعة لاعضائها ، مما يكون الفرد في هذا الحال مثل القطرة من الماء ، اذا وقعت فياناء ماء حيث تتحطم فرديتها ، وتأخذ في السعة ، بقدرسعة مجموع الماء .

٢ ـ الانصهار في الجماعة ، وهذا وجه آخرللامر الاول ، فالاول يسبب عدم عمل الفرد بمصالحه الشخصية ، وهذا يسبب عمل الفرد بمصالح الجماعة .

٣ ـ احساس الفرد بالامن الذي لم يكن يحس بمثله ، حال عدم انضمامه فان الانسان يحس بالغربة ، حيث يخاف وقت بؤسه ومرضه وفقره وهجوم عدوه و . . وحيث ان الجماعة تكفل قضاء الحوائج ، يحس المنضم اليهم

بالامن ، وبقدر قدرة الجماعة يكون الحس بالامن أكثر وأعمق .

٤ ـ احساس المنضم الى الجماعة بالقيمة ، بمالايحس بمثله الفرد، اذ قيمة الفرد المنضم قيمة كل الجماعة ، وقيمة كل الجماعة ليست قيمة كل فرد فرد ، بل قيمة المجموع ، فاذا فرضت قيمة كل فرد ديناراً كان قيمة عشرة أفراد مأة دينار .

٥ ـ شعور الفرد المنضم الى الجماعة بالسعة في وجوده ، حاله حال القطرة المنضمة الى اناء ماء ، لكن السعة في القطرة مادية ، وهنا معنوية.

أما استفادة الفرد من الجماعة مالم يكن يستفيده لو كان فرداً، من التجارب العملية ، فذلك مالايحتاج الى الذكر ، فان الحضارة عملية ، قبل ان تكون علمية ، والاجتماع يعطي الحضارة العملية ، ولـذا لايفهم الاجتماع الا من كان في الاجتماع .

وقد قاله علماء الاخلاق : الانسان الذي يعيش بمفرده ، لايسمى عادلا ولا صادقاً ولاأميناً ولاوفياً ولاماأشبه تلك، حيث انها صفات عملية، لاذهنية فحسب فاذاكان في الاجتماع سمي صادقاً أوكاذباً ، أميناً أوخائناً .

عوامل قوة الجماعة

ثم ان قوة الجماعة ، وشدة أواصرها انما تكون تبعاً للامور التالية :

أ ـ قوة الفلسفة التي بنت الجماعة نفسها عليها، فان قوة الفلسفة المذكورة تعمق جذور الجماعة في نفوس أعضائها، وكلما حملت الجماعة القلوب أكثر فأكثر ، كانت الجماعة أقوى وأبقى . . وقد ذكر علماء السياسة ان الدولة الدينية الدنيوية أقوى وأبقى من الدولة المرتبطة بالدنيا فقط، لان الاولى تحملها

القلوب والابدان ، بينما الثانية تحملها الابدان فقط .

ب ـ الهدف الذي تتوخاه الجماعة ، فانه كلما كان أسمى كانت الجماعة أشد استمساكاً وابقى زماناً، وذلك لان الهدف الاسمى يجعل علاقة الناس بالجماعة أشد ، فكم فرق بين ان يكون هدف جماعة اسلامية انقاذ المسلمين ، وبين ان يكون هدفها تجميل مدينة ، والفرق بين الفلسفة والهدف ،كالفرق بين قوة [كتاب] في مطالبه ، وبين الهدف المتوخى من ذلك الكتاب .

ج ـ ثم يأتي دور القيمومة ، فكلما كانت القيمومة على الجماعة من كبارها أشد وأقوى كانت الجماعة أمتن وأدوم ، والعكس بالعكس ، وقوة القيمومة وضعفها وان كانا ـ في كثير من الاحيان ـ تابعين للافراد القائمين، الا ان الاهم هي تركيبة الجماعة فانها توجب القوة أو الضعف، فقد يكون نظام الجماعة بحيث يأتي الى القيادة بالاكفاء ، وقد لاتكون التركيبة هكذا ، حالها حال رجال الحكم، فقد ينظم القانون تنظيماً دقيقاً يأتي الى الحكم بالاقدر والافضل، وقد لايكون هكذا .

د ـ وأعضاء الجماعة كلما كانوا أكثر طاعة للقيادة ، سارت الجماعة سيراً حسناً ، ولذا كان من شرائط الاسلام [السمع والطاعة] ولايراد بذلك التقليد الاعمى ، بل كما قال علي عليه السلام : (وثقوا بالقائد فاتبعوه)[1] حيث انه ان ظهرت صحة الطريق يلزم كمال الاطاعة .

هـ ـ ثم كلما توسعت الجماعة في اعضائها ومناصريها والمدافعين عنها ، كانت أقوى ، اذ السعة تلازم كثرة الكفاءات، والاستمرارية ، ولـذا تحاول

---

(١) نهج البلاغة /صالح/ ص ٢٦٤ .

الجماعات ـ دائماً ـ توسعة عدد أفرادها وقلة أفراد الجماعة وان كان لها مزايا كما ذكرناها في بعض المسائل السابقة ، الاان مابصدده نحن الان انما يكون بالكثرة ، ولعل (يدالله مع الجماعة)[1] يدل على هذه الجهة أيضاً، حيث ان مناط الحديث يشمل كثرة الافراد .

و ـ وكلماكان نظم الجماعة أدق وأصح ، كانت الجماعة أقوى وأدوم ، اذ النظم يضع كل شيء موضعه، ويميز الواجبات والحقوق، ممايخفف الحمل و يوجب دوامها ، والعكس بالعكس ،وا ، وعدم السوابق اللامعة يوجب الضعف ، ولذاكان اللازم على قيادة الجماعة ان تهتم بالمردود ، وان تهتم بما يجعل للجماعة سوابق مشرقة ، حتى تكون دافعة للافراد الى الامام .

ط ـ ويلزم المراقبة الدقيقة لقلة الاخطاء، فان قلتها توجب حرارة القلوب حول الجماعة ، بينما كثرتها توجب البرودة والانفضاض ، وهذا يجعل الفرد يتشوق الى عمله أكثر فأكثر ، بالعكس من الفوضى تماماً ، أو في الجملة .

ز ـ واذا كانت الجماعة سرية ، كلماكان السر أكتم، بقيت الجماعة أسلم ، وقويت أكثر .

ح ـ ثم يأتي دور مردود الجماعة وسوابقها ، فان الناتج كلماكان أكثر ، والسوابق أشرق، كانت علاقة الافراد بالجماعة أكثر فأكثر، ممايوجب متانتها وهذا من اسرار لزوم كون النبي والامام معصوماً .

ي ـ ثم كلما قويت حالة الاستشارية في الجماعة ،كانت الجماعة أمتن بينما حالة الديكتاتورية توجب انفضاض القلوب وتحطم الجماعة .

---

(١) مجمع الزوائد : ج ٥ ص ٢١٨ و ٢٢١ .

منطلقات الجماعة

(مسألة ـ ١٨ ـ) بعد طول تجربة الدنيا لاقسام الحكم ، وصلت أخيراً الى ما ذكره الاسلام من [الاستشارية] حيث انها أدوم الاحكام واحسنها ، وتوجب ظهور الكفاءات واستقرار الناس وتعاونهم وقلة المشكلات للحاكم والامة على حد سواء .

ومن هذه الجهة كان اللازم على الحكومات ـ وعلى جماعات الاستكشاف ممن لهم هدف في الكشف ـ ان تتعرف على منطلقات الناس ، في أعمالهم، من العقائد والصفات وغيرها ،فانه اذا اكتشفت الحكومة ذلك، تمكنت من اعطاء الرغبات، وحل المشكلات، وتعديل القوانين، بدون تصادم بالعقائد والمآرب.

فاستكشاف ذلك من قبيل [الوقاية] قبل المشكلة و [العلاج] بعدها ، فان مشاكل الامم حالها حال مرض الفرد، فكما ان الطبيب الحاذق ، يحاول الكشف عن صحة الانسان حتى لايبتلى بالمرض ، واذا مرض قطع جذوره بالعلاج الملائم، كذلك اذا جسّت الحكومة نبض الاجتماع اطلعت على مكامن المشكلة ففعلت ما يوجب عدم استفحالها ، فاذا برزت المشكلة ، تمكنت من علاجها بما تنحل ، فلاتبقى بله ان تستفحل .

أقسام الجماعة

ومن هذا المنطلق فقد قسم علماء الاجتماع [الجماعة] الى أقسام :

١ - الجماعة الاستعراضية ، التي تعرض عضلاتها ، بالمظاهرة ، أوباعطاء الشعار أوما أشبه .

٢ - الجماعة التصادفية ، التي عملت الصدفة في تجمعها ، لاجل منظر مفرح أو مؤلم ، كمجيء كبير ، أوفيضان أونحوهما .

٣ - الجماعة المنتظمة ، كالجماعة التي تحضر مجلس الدرس ، أوالخطابة أوتمثيلية ، أوما أشبه .

٤ - الجماعة الانفعالية، كالتي يؤثر فيها شيء يهيج أعصابها، فتهتاج بالتصفيق والحركة وما أشبه .

٥ - الجماعة المخربة التي تريد هدفاً ـ بنفسها أوبتحريك محرك ـ فتأخذ في التخريب لاجل الوصول الى هدفها .

٦ - الجماعة المنضمة ـ اسم مفعول من باب الافعلال، لامن باب التفعيل ـ وهي التي انضمت أعضائها لاجل هدف خاص، أمثال الجماعة الاقتصادية، و السياسية ونحوهما .

٧ - الجماعة المبعثرة ، وهي التي لا انضمام لها ، وانما كلها ذات طريقة واحدة أمثال: هواة السباحة، والرياضيين، وقراء مجلة كذا، ونظار التلفزيون الفلاني، ومثل هذه الجماعة هي الاكثر احتياجاً الى معرفة نواياها وأهدافها و تطلباتها، اذ انها هي التي لايطلع على أحوالها، ضمن مجموعة خاصة ، ولذا يلزم استطلاع الحكومة عنها بصورة عامة ، وهذه النوايا تسمى بـ [المطلب العمومي] أو [العقيدة العمومية] .

وقديكون المطلب العمومي ظاهراً وانما الاستكشاف لاجل معرفة درجة الشدة والضعف في ذلك، مثلا: الحكومة تعلم ان نظار التلفزيون غير راضين

عن برامجه، لكن لاتعلم مقدار عدم الرضا، هل هوخمسون في المائة أوأكثر أوأقل؟ .

و انما تريد استطلاع ذلـك لاجل الموازنـة بين الاهم والمهم ، مثلا : الميزانية المخصصة للاعلام تصرف في الاذاعة والتلفزيون والصحف اثلاثاً، فاذا اريد تبديل برامج التلفزيون، كلف ذلك نصف ميزانية الاذاعة والتلفزيون فهل التبديل أهم حتى تنقص ميزانية تين ؟ أم البقاء على ميزانيتهما؟ ـ لان عدم رضى الناس بتنقيص ميزانيتهما أكثر من عدم رضاهم من برامج التلفزيون ـ .

ثم ان الشيء الذي يميل نحوه المجتمع، يصطلح عليه [بان له قيمة اجتماعية] و كلما كانت علاقة المجتمع به أكثر، كانت قيمته الاجتماعية أكثر، والعكس بالعكس ، و معرفة القيم الاجتماعية من أهم الامور لدى الساسة ، لان كيانهم مرتبط بها .

التوعية الجماهيرية

ثم ان المجتمع ليس معصوماً، يعرف قيمة ذوات القيم، أويعرف تفاهة ما لاقيمة له، خصوصاً اذا عملت معه سياسة التجهيل والتضليل، وعليه فاللازم على المفكرين ، أن يعدلوا انحراف المجتمع الفكري ، حتى يعرف مالـه قيمة من غيره ، ويعرف قدرقيمة كل ذي قيمة ، وهذا الامر محتاج اليه ، في حالتين :

١ - حالـة سيطرة القوة ، حيث ان الحكومات الديكتاتورية ، تمارس سياسة التجهيل والتضليل بواسطة أبواق دعايتها واجهزة ارهابها ، فان الطبقة المستنيرة تنسحب عند ذاك عن الميدان ، ولايبقى الا الهمج الذين يسبحون

بحمد الديكتاتور ، وعند ذلك لاتعرف العامة القيم من الزيف ، كما لاتعرف مرتبة كل قيمة ، ودرجة كل زيف .

وفي الحديث : (اذا ظهرت البدع في أمتي فعلى العالم أن يظهر علمه فمن لم يفعل فعليه لعنة الله)(١) .

وقال الامام أمير المؤمنين عليه السلام :(ولولا.. ماأخذالله على العلماء انلايقاروا على كظة ظالم ولاسغب مظلوم ، لالقيت حبلها على غاربها ، ولسقيت آخرها بكأس أولها) .(٢)

فاللازم توعية المفكرين للامة ، بما يوجب انقشاع الظلمات ، ورجوع الامة الى حريتها ، وعرفانها للقيم .

(٢) حالةسيطرة المال ، فان المالوانلميكنله القوة ،الاانه أيضاً له دور خطر في الدعاية والتعمية والاضلال ، وربما كان هذا اسؤهما ، لانه يخدر بمايوجباتباع الضحية للجلاد، وقدورد في الحديث: (لعن الراشي والمرتشي)(٣) وانه يسألعن الانسان يومالقيامة عن ماله مناين اكتسبه وفيم انفقه ؟ وقدذكرنا في كتاب [الفقه : الاقتصاد] ان رأسالمال كيف يسيطرعلىالمجتمع بمايخرب السياسة والقانون وغيرهما .

وهذا أيضاً يحتاج الىتوعية الجماهيرحتىلايقعواضحيةالتعمية والتجهيل.

كيفية استكشاف العقيدة الاجتماعية

ثم انعقيدة العامة ونظرياتهم، ليست بذلك الظهور حتىيتمكن تحصيلها

---

(١) وسائل الشيعة ج/١١ ص ٥١٠ .

(٢) نهج البلاغة /صالح/ ص ٥٠ .

(٣) بحار الأنوارج/١٠١ ص ٢٧٤ .

بسبب الاحصاءات الرسمية ، بل ظهورها يحتاج الى تعمق أكثر ، وتدقيق واسع ، لانه ليس كل أحد يستعد للكشف عن نظرياته في مختلف الامور بمجرد سؤال الصحفي أو نحوه، فان اقتنع بمجرد الاحصاء لم يستفد المحصي مايريده من الكشف حتى يرتب عليه أثره ، فاذا حصل على شيء مخالف للواقع ورتب ذلك الاثر المرتب على المكشوف بقى الواقع يؤثر أثره ، حاله حال ما اذا لم يقل المريض الواقع للطبيب ، حيث ان دواء الطبيب لايؤثر ، ويبقى المرض يؤثر أثره، ولذا اتجه علماء الاحصاء، وعلماء النفس، وعلماء الاجتماع الى البحث حول السبل المنجعة لكشف عقائد ونظريات العامة خارج نطاق الاحصاءات الرسمية ، مثل التوسل الى رؤساء الاحزاب والمنظمات والجمعيات ، ومراقبة اعداد قراء الجرائد ونظار المسارح ونحوها ، وملاحظة اعداد الكتب ذات الاتجاهات الخاصة التي تباع وتتداول ، الى غير ذلك .

داء التعصب الاجتماعي

ثم انه كما قد يبتلى الفرد بالمرض العضال مما يصعب علاجه ، وقد يبتلى الاجتماع بذلك ـ كما في أيام الطاعون ، ونحوه ـ كذلك قد يبتلي الفرد أو الاجتماع بالمرض النفسي ، ويسمى [بالتعصب] حيث انه انحراف في العاطفة بدون المنطق ، ولذا يصر على ما في جانبه، وان لم يكن له دليل ، ويرفض ما في جانب طرفه ، وان كان له دليل .

وكذلك قد يبتلى الحزب والجماعة بمثل ذلك .

واذا اشتد التعصب حتى صار الفرد أو الاجتماع حساساً شديد الحساسية تجاه مايذهب اليه، سمي ذلك [بالعقدة] كأن النفس انعقدت على ذلك الجانب

بدون ملاحظة التوسط والحق ، وقد أكد الاسلام في آيات وروايات ، على اجتناب مثل هذه الامور ، وتقدمت بعض النصوص في ذلك .

الجماعات الضاغطة

ثم انه لما كان للاتجاه العام، وللاتجاه الخاص ـ في الامور الخاصة، مثل اتجاه الامة ككل في الحرب أو السلم، واتجاه الاقتصاديين في ترفيع الاسعار أوعدمه ـ وزن وقيمة في سير دفة الامور، حدثت في العصر الحاضر ـ طائفتان من (جماعات الضغط) :

(الاولى): الذين يريدون انقاذ الامة من الانحراف الفكري، الذي سببه الجهل ، أو التجهيل من أصحاب المصالح المنحرفة ، وهؤلاء يضغطون على الاتجاه العام المنحرف حتى يستقيم ،كي لا يخدع بسبب الخادعين ، فيسير في ضد مصلحة نفسه ، ومثل هذه الجماعات الضاغطة ، تتشكل من المصلحين والمفكرين ، وأصحاب العقول الحرة والاقلام النزيهة .

(الثانية): الذين يديرون استغلال الناس، لاجل أهدافهم وأغراضهم،فانهم يحاولون أحد أمرين :

١ ـ أما تحريف الاتجاه العام ، أو الخاص الى جانبهم .

٢ ـ أو فرض آرائهم على الناس .

وسائل الضغط

وضغط كلتا الطائفتين [الاولى والثانية] يكون بأسباب ، هي :

أ ـ الوسائل الدعائية، حيث تحاول الجماعة الضاغطة السيطرة على وسائل

الاعلام من الكتب ، والاذاعة والتلفزيون والصحف والسينمات والمسارح ، وما أشبه ذلك .

ب ـ الوسائل الاقتصادية ، مثل الرشوة والهدية والضيافة ، وما أشبه ، حيث انها تؤثر في الفرد أو الجماعة التي يراد توجيهها ، فاذا كان الهدف من ذلك شريفاً ، اي تخليص الناس من الانحراف، كان حسناً ـ كما قرر الاسلام سهماً للمؤلفة قلوبهم ـ والا كان باطلا وسيئاً .

ج ـ الوسائل الحقوقية ، فانه تسعى الجماعة الضاغطة ، لاجل سن قوانين، بما يخدم اتجاهها ، ولذا يحاولون النفوذ في المجالس التشريعية ، والقضاة والمحامين ، وما الى ذلك .

د ـ الوسائل التخريبية، فان الجماعة الضاغطة تحاول تخريب وهدم المقاومة سواء بالتصفية الجسدية ، أو تلويث السمعة ، أو هدم مؤسسة ، أو جماعة ، أوجمعية، أو ماأشبه ذلك حتى يبقى الطريق منفتحاً أمام مأرب الجماعة الضاغطة وبذلك تتمكن من النفوذ والتغيير .

الاعلام الصحيح والاعلام المزيف

ثم ان الاعلام لوكان لاجل الهداية الى الحق والارشاد الى الصحيح، سمي [تبليغاً] وان كان لاجل التحريف والاضلال سمي [دعاية] وان كانت هذه اللفظة تطلق على الاول أيضاً .

وحيث صارَ العالم الحاضر منحرفاً عن طريق الله سبحانه ، وبذلك جعل المحور[الدنيا]لاالدنيا والاخرة ـ كما جعله الاسلام ـ راجت أسواق الدعاية بالباطل ، وخرج الانسان عن محورية الكون، الى كون المادة محوراً ، ولذا نجد مآسي الانسان في هذا العصر أكثر من مآسيه في كل عصر مضى .

وقداتخذ أصحاب الباطل الدعاية سبباً لرواج بضاعتهم، اخذاً من[الالحاد الشيوعي في الشرق] الـى [التثليث الرأسمالي في الغرب] الى ما يدور في فلكهما [كالصهيونية ، والقومية ، والبعثية ، والوطنية ، والطائفية الضالة] في العالم الاسلامي .

والدعاية السيئة تلبس الحق بالباطل، وتزيف الحقائق ، وتستفيد من جهل الناس ، فتحملهم الاباطيل في صورة حقائق ، سواء في العقيدة، أو في العمل، أو في البضاعة ، أو في غيرهـا ، وأخشى ما يخشى منه الدعائي هو النـور ، حيث يظهر الزيف عن الواقـع .

وهذا الاسلوب وان كان قديماً ، حتى ان فرعون كان يقول عن موسى عليه السلام « اني أخاف ان يبدل دينكم * أو ان يظهر في الارض الفساد »[1] و« يريـد ان يخرجكم من أرضكم بسحره»[2] الا ان كثرة الادلة وتقدم الوسائل والاسباب ، سببت تقوية ذلك في العصر الحاضر .

ولـذا كان اللازم على أصحاب الحق والفضيلة ، ان يفتحوا الطريق أمام البحوث الحرة، ويهتموا بمختلف الوسائل لفضح الباطل اللابس ثوب الحق، ويكشفوا عن مواضع الاعلام الباطل، ومكامن الدعاية الزائفة ، وبذلك يكون انقاذ الضحايا . وسيأتي بعض الكلام في ذلك .

طرق التزييف الاعلامي

وللدعاية المزيفة طرق كثيرة ، وقد كتبت في هذا الشأن كتب سخرت لها

---

(١) سورة غافر آية ٢٦ .

(٢) سورة الشعراء آية ٣٥ .

أقلام اجتماعية ونفسية وتربويـة ، وهنا نذكر جملة من الاساليب التي يتبعها أصحاب الدعايات الباطلة ، وهي :

١ ـ استغلال مواضع الضعف عند الانسان ، مثل حالة المرض، والفقر ، والفوضى ، وما أشبه، حيث ان الانسان في هذه الاحوال هش النفس، سريع القبول ، ولذا يشكلون من أمثال هؤلاء طابوراً خامساً لنيل أهدافهم، ومن هذا القبيل فتح الجماعات المنحرفـة مدارس للعميان ، وللصم البكم ، وما أشبه ، وتربيتهم تربية منحرفة ، ليكونوا آلة هدم في المستقبل .

٢ ـ استغلال ضعاف الشخصية لاجل قبول الدعاية، ثم النفوذ في المجتمع من طريقهم كبعض النساء والاطفال والمعوقين .

٣ ـ تسخير الالسنة المقبولة مثل ارشاء خطيب ، أو مدرس، أو مذيع أو ما أشبه ، لينشر في المجتمع ما يريدونه .

٤ ـ التأثير في الاجتماع بسبب أقلام الادباء وقريحة الشعراء ، اذ الادب والشعر أنفذ الى الاجتماع من غيرهما .

٥ ـ التوسل بمختلف الاغراءات، أمثال صور النساء شبه العارية وغيرها، وقد هيأ المحاربون الصليبيون صورة للمسيح عليه السلام في هنـدام شاب حسن الصورة ، وصورة لنبي الاسلام ﷺ في هندام بدوي خشن، وقد ضرب الثاني رأس الاول بالسيف حتى جرت دمائه ، فأخذوا يطوفون بهذا في البلاد المسيحية ، وجمعوا بذلك أكبر قدر من المال والرجال ، وفي المثل : صورة واحدة انفذ من ألف كتاب .

٦ ـ تحرى الجماعات لاجل نشر دعايتهم ، مثل جمعية خيرية ، أو جمعيه الرفق بالحيوان، خصوصاً اذا كانت الجمعية ذات عنوان براق وسوابق مشرقة.

٧ - اللّي في اللسان، كما قال سبحانه : «يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب»[(١)] .

مثلا : يخترع من نفسه كلاماً ، يشبه القرآن الحكيم في الاسلوب ، أو الاحاديث الشريفة ، ليظن الجاهل انه قرآن أو سنة ، فيقبل كلامه فيقول : كما ورد: (حشر مع الناس عيد) أو يقول: (لايوضع أحد في قبر آخر) يريد بذلك الانسياق وراء الجهال وعدم التعرض لعمل الآخرين السيء .

٨ - يكرر كلامه ، حتى يؤثر في السامع ، فان التلقين والايماء بالتكرار، لهما أثرهما الكثير قال الشاعر :

اما ترى الحبل بتكراره   في الصخرة الصماء قد أثرا

وقال أحد زعماء الالحاد : (اكذب ثم اكذب ثم اكذب حتى يصدقك الناس) .

٩ - تحرى الحق النصفي ، اي ذكر بعض الحق ، والسكوت عن بعضه الاخر ، مما يوجب بتر الكلام ، وتحريف الحق ، مثلا : يحفظ في الشريط (لا اله) ويسقط فيه (الا الله) فيظن السامع ان المتكلم كافر .

١٠ - تأويل الحق باطلا ، أو الباطل حقاً ، كما قال سبحانه : « يحرفون الكلم عن مواضعه »[(٢)] . مثلا : أول بعضهم (انا مدينة العلم وعلي بابها)[(٣)] الى ان المراد من (علي) عال: أي رفيع ، أو أول (لاشبع الله بطنه) أي حتى لايأكل الى حد الشبع .

---

(١) سورة آل عمران آية ٧٨ .

(٢) سورة النساء آية ٤٦ .

(٣) احقاق الحق ج ٥ ص ٤٩٥ وكنز العمال ح ٣٢٨٩٠ .

١١ - ارائة ما يريده في ثوب قشيب ، بينما ليس الامر بذلك الجمال، مثل تدليس القبيحة بالمساحيق ، لتظهر في مظهر الجميلة .

١٢ - الاستناد الى أقوال العظماء ، ليوهم ان ما يقوله مأخوذ عنهم.

١٣ - استعمال الاساليب المنفره عن الشيء الصحيح، مثل الاستهزاء بكلام صحيح، وبالعكس كالاستماع بكل جد الى كلام باطل ، ليوهم الاخر ان الاول باطل ، والثاني صحيح .

١٤ - خلط الباطل بالصحيح ، حتى ينخدع السامع والقارئ والناظر بالصحيح الموجود في البين ، فيظن ان كل ما يرى ويسمع صحيح .. الى غير ذلك من الاساليب .

كيفية مجابهة قوى الضغط المنحرفة

واللازم ان يعمل أمام الجماعات الضاغطة المنحرفة ، امور :

أ - كشف تلك الجماعات للملأ ، حتى يفضحوا أمام الناس فلا يجدوا مجالا للتستر والافساد باسم الاصلاح ، قال سبحانه : « واذا قيل لهم لاتفسدوا في الارض * قالوا انما نحن مصلحون * الا انهم هم المفسدون ولكن لايشعرون»(١) ويلزم ان تتم عملية الكشف كماً وكيفاً في اطار الاسلام والانسانية لاغير .

ب - تثقيف الناس بالثقافة الصحيحة حتى يعرفوا الزيف من الحق ، فان الجماعات الضاغطة انما يتسترون وراء الحق ليروجوا بضاعتهم الزائفة ، فاذا انكشف الحقائق للناس ، لم يبق مجال للظلام الذي يتلفع به الضاغطون.

ج - ايجاد حس الفحص والنقد في الناس ، لئلا يقبلوا الشيء بدون

---

(١) سورة البقرة آية ١١ .

التدقيق حوله ، وقد بنى الاسلام على العقل والبحث ، وعدم الانسياق وراء التقليد ، والعاطفة ، بل وحتى الظن .

قال سبحانه : « ان الظن لايغني من الحق شيئاً »(١) .

وقال : « ولا تقف ما ليس لك به علم * ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا »(٢) الى غير ذلك ...

وحتى ان المشهور لزوم الدليل في اصول الدين ، فلا يصح للمسلم ان يقبل ان الله واحد ، أو عادل ، أو ان محمداً ﷺ نبي الا بالدليل، ولذلك دون علم الكلام .

فاذا قيل ان فلاناً رئيس مدى العمر، أو انه أفضل من غيره، أو ان الاقتصاد الاسلامي كذا ، أو ان اللازم للدولة جعل الدستور ، أو . . . ! ! يلزم ان يسأل الانسان لماذا ؟

ولاينفع ان تقول : للمتنسم اريكة الحكم لماذا تفعل كذا ؟ والحال ان الشعب غير مثقف ، فان الشعب غير المثقف هم الذين يمكنون له ، بل اللازم ان يتثقف الشعب ، حتى لايتمكن المتنسم ان يعمل حسب هواه . . ولذا قال علي عليه السلام : (لاتكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً)(٣) .

فلم يخاطب القمة ، وانما خاطب القاعدة ، اذ القمة حصلت على امتيازات فلايهمها بعد ذلك أي شيء .

وبهذه المناسبة لابأس ان نقول : ان المشكلة في البلاد الاسلامية ذات

---

(١) سورة يونس آية ٣٦ .

(٢) سورة الإسراء آية ٣٦ .

(٣) نهج البلاغة / صالح / ص ٤٠١ .

الالف مليون مسلم ، ليس في حكامها ـ وان كانوا هم الديكتاتوريين العملاء ـ وانما المشكلة في الامة الاسلامية نفسها ، فهي انها ربيت على بعض الاسلام ، وهي الصلاة و الصيام ، والمسجد والحسينية ، والاحتفالات والمأتم ، وما الى ذلك، وتركت بعض الاسلام الاخر، وهو(١) الثقافة الحية(الاجتماعية) وغيرها .

قال عليه السلام : (العالم بزمانه لاتهجم عليه اللوابس)[(١)] .

وفي حديث آخر : (عالماً بأهل زمانه)[(٢)] .

وفى وصف علي عليه السلام : (كان والله بعيد المدى شديد القوى)[(٣)] .

٢ - والسياسة ، فلايعرفون منها ما ينجيهم ومايضع الحكام وأسياد الحكام عند حدهم ، فكل بلاد الاسلام بين حكم وراثي ، أوحكم عسكري ، ولاثالث أما الامة فهي بمعزل عن الحكام ، لاتملك من أمرهم شيئاً .

٣ ـ والاقتصاد ، الذي هوعصب الحياة ، ولذا كان اقتصاد كل بلد بلد ، أما رأسمالياً ، أو شيوعياً ، أومزيجاً منهما ، والغرب والشرق ينهب خيراتهم نهباً لامثيل له في سابق التاريخ ، واذا علمنا (ان الفقر سواد الوجه في الدارين) عرفنا لماذا المسلمون لاكيان لهم في العالم الحاضر ؟ ! .

٤ ـ وفهم خطط المستعمرين ، وكيفية تغلغلهم في البلاد ، وكيف يمكن التخلص منهم واقعاً، لاصورة . . ومادام هذا الجزء من الاسلام مشلولا ، عاش المسلمون في ضياع .

د ـ الجماعات المضادة للجماعات الضاغطة، حتى يتحرى هؤلاء مواضع

---

(١) تحف العقول ص ٢٦١ .

(٢) أمالي الطوسي ص ١٤٦ .

(٣) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة ج/٣ ص ١٩٩ .

حركة أولئك ويبطلوا كيدهم ، ويردوا مكرهم الى نحورهم ، وفي المثل : (لايفل الحديد الاالحديد) .

وتدخل[الجماعات المضادة للجماعات الضاغطة] في ميزان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، فانهما وان كاناواجبين على كل مسلم ومسلمة ـ كما يدخل البنود (أ ـ ب ـ ج) أيضاً في موازين اسلامية اخر ـ الا ان عدم تأتي الامر والنهي كاملا ، أمام الجماعات الضاغطة الابهذه الصورة يجعل الوجوب لها آكد .

وقدحرض الاسلام على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بابلغ تحريض .

قال الله تعالى : «ولتكن منكم امة يدعون الى الخير * ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر * وأولئك هم المفلحون» .(١)

وقال علي عليه السلام : (أيها المؤمنون انه من رأى عدواناً يعمل به ، ومنكراً يدعى اليه، فانكره بقلبه فقدسلم وبريء ، ومن انكره بلسانه فقد اجر ، وهو أفضل من صاحبه، ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الظالمين هي السفلى ، فذلك الذي أصاب سبيل الهدى ، وقام على الطريق ، ونور في قلبه) .(٢)

وفي كلام آخر لـه عليه السلام قال : (فمنهم المنكر للمنكر بيده ولسانه وقلبه ، فذلك المستكمل لخصال الخير ، ومنهم المنكر بلسانه وقلبه والتارك بيده فذلك متمسك بخصلتين من خصال الخير ، ومضيّـع خصلة ،ومنهم المنكر بقلبه ، التارك بيده ولسانه ، فذلك الذي ضيع أشرف الخصلتين من الثلاث وتمسك بواحدة، ومنهم تارك لانكار المنكر بلسانه وقلبه ويده ، فذلك ميت الاحياء ، وماأعمال

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٤ .

(٢) نهج البلاغة /صالح/ ص ٥٤١ .

البر كلها والجهاد في سبيل الله عند الامر بالمعروف والنهى عن المنكر الأكنفثة في بحرلجّي ، وان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، لايقربان من أجل ، ولاينقصان من رزق ، وأفضل من ذلك كله كلمة عدل عندأمام جائر)[١].

وقال عليه السلام : (أول ماتغلبون عليه من الجهاد ، الجهاد بأيديكم ، ثم بالسنتكم ثم بقلوبكم ، فمن لم يعرف بقلبه معروفاً ولم ينكر منكراً ، قلب فجعل أعلاه أسفله ، وأسفله أعلاه)[٢] الى غيرها من الايات والروايات الكثيرة جداً .

---

(١) نهج البلاغة / صالح / ص ٥٤٢ .

(٢) نهج البلاغة / صالح / ص ٥٤٢ .

الادوار الاجتماعية

(مسألة ـ ١٩ ـ) :

١ ـ الاجتماع يتجزء الى رتب اجتماعية ، كل فرد في درجة خاصة منها.

٢ ـ والانسان في درجته الاجتماعية ، له مكانة خاصة به ، وتسمى بالمكانة الاجتماعية ، والفرق بينهما بالعموم المطلق فكل مكانة اجتماعية لابد وان تكون تحت درجة اجتماعية خاصة وليس ، كل درجة تلازم المكانة .

٣ ـ ثم الفرد يقوم بدور اجتماعي ، حسب مكانته ـ غالباً ـ وذلك الدور ينقسم الى : أ ـ دور محوّل اليه . ب ـ ودور هو يقوم به خارج ما حول اليه .

٤ ـ ثم للانسان تحرك اجتماعي في رتبته ومكانته : أ ـ احياناً افقياً .ب ـ واحياناً عمودياً .

٥ ـ وأخيراً يأتي دور تأثير الامور السابقة في حياة الانسان الفردية ، والاجتماعية : أ ـ الاجتماع الخاص به ، كما اذا كان عضواً في جماعة . ب ـ والاجتماع العام ، أي المجتمع ، وقبل ذكر تفاصيل هذه الامور نذكر قطعه من كلام الامام أميرالمؤمنين عليه السلام ، حول الرتب الاجتماعية :

قال عليه السلام : (وأعلم ان الرعية طبقات ، لايصلح بعضها الا ببعض ، ولاغنى ببعضها عن بعض ، فمنها جنود الله ، ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمال الانصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة

ومسلمة الناس ، ومنها التجار وأهل الصناعات ، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة .

وكل قد سمى الله له سهمه ، ووضع على حده فريضة في كتابه أو سنة نبيه ﷺ عهداً منه عندنا محفوظاً)[1] .

أقول: لعل المراد بالسهم نصيبه وحقه، وبالفريضة واجبه الذي يجب عليه ان يأتي به ، فان الحق في قبال الواجب .

أما تفاصيل البنود والتي ذكرناها في البدء فهي كالتالي:

مقياس الرتب الاجتماعية

(الاول) الرتبة الاجتماعية ، عبارة عن مثل رتبة العلماء ،ورتبة المعلمين، ورتبة الخطباء،ورتبة التجار ، ورتبة الجنود، ورتبة العمال ، ورتبة الفلاحين ، وما أشبه ذلك فكل جماعة لهم تمايز عن جماعة اخرى ، تسمى رتبة ، وهناك أقوال اخر لعلماء الاجتماع في وجه تمايز رتبة من رتبة :

أ ـ فالشيوعيون ذهبوا الى ان تمايز معيار الرتب مالكية وسائل الانتاج والقدرة الناشئة من ذلك ، وعليه فالاجتماع رتبتان أساسيتان الملاك وغيرهم والاولون ينقسمون الى كبار الملاك وصغارهم .

وفيه : انهم ان أرادوا صرف الاصطلاح فلا مشاحة فيه ، فهو مثل ان نقسم الناس الى رتبة الرجال ، ورتبة النساء ، ورتبة الخناثى ، وان أرادوا الواقع فقد ثبت في العلم بطلان النظرية القائلة بأن الاقتصاد هو البناء التحتي للمجتمع.. ثم على فرض تسليم انه البناء التحتي ، فاي ربط بين ذلك وبين انقسام رتب

---

(١) نهج البلاغة / صالح / ص ٤٣١ .

الاجتماع بالنسبة الى ذلك .

ب ـ وذهب آخرون الى ان التمايز ينشأ من تصور كل جماعة لانفسهم ميزة خاصة ، مثل ان من تصور انه من الاشراف حشر معهم ، ومن تصور نفسه من العلماء حشر معهم، وهكذا، وان لم يكن في الواقع من أولئك .

وفيه: ان الامر واقعي لاتصوري، فحشر غير العالم نفسه مع العالم لايجعله من رتبة العلماء، كما ان حشر العالم نفسه مع الجنود ـ مثلا ـ لايجعله من رتبة الجنود .

ج ـ وذهب ثالث الى ان المعيار في الرتبة الشغل ، وفيه : انه في الجملة وان كان صحيحاً ، الا ان الشغل يعطي التصنيف لاالرتب ، فالتجار رتبة واحدة وان كان شغل جماعة منهم التجارة في الاراضي ، وآخرين التجارة في الاسهم والسندات، وثالث التجارة في مواد الانشاء ، وهكذا بالنسبة الى أصناف سائر الرتب .

د ـ ومن ذلك ظهر بطلان قول القائل ان منشأ الرتب، مقدار الدخل ومصدره أو محل السكونة ونحو ذلك ، فانه وان كان صحيحاً ان جماعة يسكنون محلا خاصاً ، ينضم بعضهم الى بعض في كثير من الشئون ، كما انه وان كان صحيحاً ان المتساوين في الدخل لهم أحكام جامعه ، مثل كون عيشهم شبه متساو، ونحو ذلك .

الا ان أمثال هذه الامور لاتوجب تسمية الافراد الذين هم تحت أمثال هذه الكليات رتبة ، الا اذا اريد الاصطلاح المجرد ، فان الرتبة الاجتماعية حقيقة اجتماعية ، وهي كما ذكرناه في أول البحث ، ولذا لايقال : الرتبة الساكنة في محلة كذا ، ولا الرتبة الذين يملك كل أحد منهم مأة ألف ، الى غير ذلك .

مظاهر اختلاف الرتب

ثم ان اختلاف الرتب الاجتماعية يتجلى في أمرين :

١ - الثقافة ، فانه وان كان لكل اجتماع لون خاص من الثقافة، يميز ذلك الاجتماع عن الاجتماعات الاخر ، مثلا : لون الثقافة الاسلامية غير لون الثقافة المسيحية، وكلاهما يمتازان عن الثقافة اليهودية، الا ان في المجتمع الاسلامي [ثقافة رتبة المعلم تختلف عن ثقافة رتبة العالم الديني] و [كلاهما يختلفان في الثقافة عن ثقافة التاجر] وهكذا .

ومصدرهذه الثقافة الخاصة، ان كل رتبة بحكم مصدرها وموردها، تمتص عن الاجتماع لوناً خاصاً من الثقافة يلائم مسيرها ومصيرها .

وان شئت قلت : انما تأخذ من فنون الثقافة المبعثرة في الاجتماع مايلائم دورها في الاداء ، فالجنود يأخذون من الثقافة ما يساعدهم في حفظ المدن ، والغلبة على الاعداء عند الحرب ، بينما التجار يأخذون من الثقافة ما يساعدهم على جلب البضائع وانتاجها وحفظها وتسويقها وتوزيعها ، الى غير ذلك من ثقافات الرتب المختلفة .

مناقشة في نظرية « المساواة »

١ - وتبعاً لهذه الثقافة ، والمسير والمصير الخاص ، فان كل فرد رتبة يأوي الى أفراد رتبته في لون الحياة، من لباس خاص ، كألبسة العلماء، والجنود وغيرهم ، وكيفية خاصة في المأكل والمشرب ، ولحن خاص في الكلام ، وكيفية خاصة في المسكن ، وغير ذلك ، ولا يراد بهذا الامتياز الكامل ، بل

الخصوصيات المتفرقة والمزايا المبعثرة .

وقد يزعم ذلك بعض الناس، ان اللازم [التسوية الاجتماعية] في كل شيء، وقد عمل [بهلوى واتاتورك ، وياسين ، وماو] وأضرابهم على توحيد الملابس، بل والمأكل وما أشبه ـ وجاء آخر فزعم ان المجتمع الاسلامي [مجتمع غير متفاوت] ونسبوه الى انه مقتضى [التوحيد] فمادام الرب واحداً، والناس سواسية كاسنان المشط ، كان اللازم ذلك .

و فيه (أولا) : الحياة خلقت ملونه بملايين الالوان ، فلماذا يشذ الانسان عن ذلك ؟

و(ثانياً) : الانسان خلق مختلف الاجسام والصفات ، فمن الافضل ان يعمل كل حسب ما يشتهي في [اطار الاسلام] عند المسلم ، وفي [اطار الانسان] عند غير المسلم .

فكما ان من يرى لزوم تساوي الذكي والغبي، أو تساوي كل مافي الكون بأن يكون كل الاشياء ماءاً، أو فاكهة رمان ، أوجميلا ، أو تساوي أفراد الانسان في الذكورة والانوثة ، أو . . . لايدعم زعمه دليل ، بل الدليل على خلافه [أولا] لماذا التساوي ؟ و [ثانياً] أليس المتفاوت أجمل ؟ وفي نفس الوقت اعطاء لكل مهية متطلبة طلبها .

كذلك من يرى تساوي الملابس، أو سائر شؤن الحياة ، وحتى التساوي في المال خلاف العدل ، وقد ذكرنا في [الفقه ـ الاقتصاد] ان المال بأزاء : (١) العمل الجسدي . (٢) والفكري . (٣) والمواد الاولية . (٤) وشرائط الزمان والمكان . (٥) والعلائق الاجتماعية .

ولايخفى انه ليس معنى ذلك الابتعاد في الرتب بعضهم عن بعض ، بل معناه :

أ ـ حرية كل انسان ان يعمل مايشاء ، في اطار الاسلام ـ و عند غير المسلم في اطار الانسان ـ.

ب ـ ان من الطبيعي ان كل رتبة بحكم عملها وثقافتها الخاصة بطبقتها لها، مزايا ، فلاداعي الى تحطيم تلك المزايا ، بل ربما أوجب التحطيم خللا .

مثلا : شرطة المرور لابدلهم من شارة خاصة ، والالم يقعوا في موضع انقياد الجماهير لهم مما يسبب عطباً في السير .. والرياضي لابد له وان يلبس ملابس خاصة تمكنه من أعمال الرياضية ، كما ان مأكل الزراع والعمال بحاجة الى خشونة أكثر من مأكل من لايحرك عضلاته، كالطبيب والمهندس، الى غير ذلك من الامثلة .

ج ـ أما ما عدا ذلك ، كان تسكن كل رتبة محلا خاصاً بها ، أولايزاوج بعضهم بعضاً ، أويكون امتياز في المدرسة، والفندق ، والمطعم؛ والسيارة، و ما أشبه، فذلك غير صحيح .

وعليه، فاللازم ان توطّر الحياة في [اطار الحرية والكفائة] وهذا هو الذي قرره الاسلام تبعاً لفطرة الانسان ـ فان التشريع صدر ، من الذي صنع الكون.

قال سبحانه : «يضع عنهم اصرهم * والاغلال التي كانت عليهم».(١)

وقال تعالى : «ان أكرمكم عندالله اتقاكم»(٢) ومن المعلوم ان التقوى عبارة اخرى عن [الكفائة] .

---

(١) سورة الأعراف آية ١٥٧ .

(٢) سورة الحجرات آية ١٣ .

مزايا الرتبة الاجتماعية

ثم ان الرتبة لها مزايا هي : أ ـ السعة . ب ـ الدوام . ج ـ التعارض.

أ ـ أما السعة فهي عبارة عن ان الرتبة لاتحد بالحدود القومية ، واللغوية والجغرافية ،والمذهبية ـ الا في اطر اخرى ، اي ان علماء أي مذهب يختلفون في اللون المذهبي عن علماء المذهب الاخر،وكذلك حال الجنود وغيرهم،وكذلك بالنسبة الى الجغرافيات والقوميات المختلفة،والى آخره ـ فالعلماء مثلا،أوالجنود، أوالزراع، متساوو المزايا ، وان اختلفت قومياتهم ولغاتهم ومناطقهم ومذاهبهم

ب ـ وأما الدوام ، فلان الرتبة انما تتولـد تحت موازين خاصة، نفسية واجتماعية ونحوهما، وحيث ان تلك الموازيـن ليست سـريعة النمو ، كما ليست سريعة الزوال ، فالرتبة تبقى مستمرة، نعم احياناً تتطور حسب تطور الالة مثلا : رتبة [المكارين] تطورت الـى رتبة السواق والطيارين ، بينما رتبة الملاحين بقيت على حالتها السابقة ، و ان تطورت السفن من الشراعية الى البخارية .

وكذلك رتبة العمال تطورت من العمل اليدوي الى العمل في المعامل، أما أصل الرتبة فقد بقيت ... وفي الاتحاد السوفياتي ـ مثلا ـ تطورت رتبة علماء الدين والدنيا ، الى رتبة علماء الدنيا، فان أفراد الحزب هـم المبشرون بمبادي ماركس الدنيوية ، بينما علماء المسلمين ـ مثلا في الجمهوريات الست المحتلة ـ كانوا علماء دين ودنيا، والى غير ذلك .

ج ـ وأما التعارض فلان الرتبة حيث تحتوى على أفراد تتزاحم مصالحهم لابد وان يقع بينهم التعارض، اذ النفسيات مختلفة ، والمصالح قليلة، لاتكفى الكل ، ولذا يريد كل دفع الاضرار عن نفسه ، واكتساب أكبر قدر من المزايا

وهذه الحالة النابعة من[ذات الانسان،وقلة المصالح] وان كانت تأخذفي كثيرمن الاحيان صورة حادة ، الاان الاسلام خففها .

أولا ـ بتنظيف الضمائر .

وثانياً ـ بجعل التنافر ايجابياً ، بدل ان يكون في السلب .

ولايخفى ان حالة التعارض ، وان كانت بين أفراد الرتبة أجلى لاحتكاك المصالح فيها أكثرمن الافراد المبعثرين الذين لامصالح مشتركة لهم ، الاان تلك الحالة توجد أيضاً بين الرتب المختلفة اذا احتكت مصالحهم .

ثم انه كلما كانت الرتبة أقرب الى الايمان [أوالى التعقل] كان التعارض فيها أقل ، الى ان يصل الى شيء لايكاد يذكر .

المكانة الاجتماعية

(الثاني) المكانة الاجتماعية ، فـان الانسان في رتبته الاجتماعية لـه مكانة خاصة ، اذلايتساوى أفراد الرتبة الواحدة ، مثلا: في رتبة رجال العلم ، قديكون الانسان، ذا مكانة اجتماعية لكونه خطيباً، أومدرساً، أومرجعاً، أومبتدءاً ، وهذه المكانةانما هي بالنسبة الى سائرأفراد الرتبة، وان كانت النسبة، مع سائر الرتب انه رجل دين، في قبال انه تاجر أوجندي .

وذلك لان أفراد الرتبة ذو درجات ، فان القيمة انما تظهر بالمقارنة ، وان كان الاطار العام شاملا للكل ، مثلا : كون هذا تاجراً من الدرجة الاولى أو الثانية، أو الثالثة، انمايعرف بالمقايسة الى التجارة أما بالمقايسة الى المعلمين أو الفلاحين ، فلادرجة ، وانما يلاحظ الاطار العام في قبال الاطار العام .

القيمة الاجتماعية

ومن المكانة الاجتماعية تظهر القيمة الاجتماعية ، وكما ان في المـواد

تكون القيمة حسب الامور الخمسة [العمل الفكري ، والجسدي و . . .]
كذلك القيمة الاجتماعية تكون حسب الفائدة ، سواء كانت الفائدة مادية كالانتاج المادي ، أو معنوية ، كما اذا كان الشخص ينتج انتاجاً معنوياً ، مثل مدرس الاخلاق ، ومعلم الفضيلة .

وحيث ان القيمة كانت بذلك جرت القيمة بين الرتب ، وبين أفراد رتبة ورتبة ، مثلا : القيمة الاجتماعية للفلاحين أكثر من القيمة الاجتماعية للفحامين وبهذه المناسبة القيمة الاجتماعية لفلاح أكثر من القيمة الاجتماعية لفحام .

ثم انه من الممكن ان يكون شخص داخلا في رتبتين اجتماعيتين ، أو أكثر ، كأن يكون مهندساً وطبيباً ، وحينئذ يمكن ان تكون مكانته الاجتماعية في احداهما أرفع من مكانته الاجتماعية في الاخرى ، مثلا : كان في الرعيل الاول من الاطباء ، بينما كانت مكانته الاجتماعية الهندسية في آخر سلم المهندسين.

ثم ان المكانة الاجتماعية تصاحب دائماً :

١ - الوجاهة الاجتماعية .

٢ - والنفوذ الاجتماعي .

فالوجاهة انما تحصل من الاحترام الذي يتلقاه الفرد من المجتمع، بسبب ما يحيط بمكانته من الملابسات التي توجب الاحترام ، أولا توجبه ، اذ ربما يكون لانسان مكانة رفيعة ، لكن حيث لايحفظ بنفسه شروط تلك المكانة ، لاتكون له تلك الوجاهة اللائقة بتلك المكانة ، وربما كان بالعكس بأن تكون الوجاهة أكثر من المكانة .

وهذان اللفظان يطلقان باعتبارين ، كالشجرة لها [جذور] ولها [غصون] فالمكانة بمنزلة الاولى ، والوجاهة بمنزلة الثانية . .

أما النفوذ الاجتماعي، فهو قدر امتداد قدرة الانسان في المجتمع،ويأتي دور النفوذ الاجتماعي ، بعد دور الوجاهة ، والتي هي تأتي بعد دور المكانة ، والنفوذ يحتاج الى شرائط، فقد تكون الوجاهة بحيث تقتضي النفوذ الكذائي لكن صاحبها حيث لايقوم بشروط النفوذ ، ليس له ذلك النفوذ المطلوب ، وقد يكون الامر بالعكس .

المكانة الطبيعية والمكانة المكتسبة

ثم ان المكانة الاجتماعية ، والتي تجعل الانسان ـ من قبل الاجتماع ـ في مكانة خاصة ، قد يقتنع بها الانسان ، فلا يبرحها ، وانما يلازم تلك المكانة بدون زيادة أونقيصة، وقد يتعداها الانسان الى مكانة اخرى بالاضافة الى الاولى، كما اذا كان خطيب ، يستعد لقضاء حوائج الناس ، أو طبيب يساعد الفقراء ويفحصهم مجاناً، فانهما قد يرفعان مكانة الخطيب والطبيب، الى مكانة اخرى.

وعلماء الاجتماع يسمون الاولى [بالمكانة الطبيعية] والثانية [بالمكانة المكتسبة] .

ثم ان المكانة الاجتماعية لفرد في رتبة ليست شيئاً ثابتاً في كل الامم، فقد تكون المكانة في امة دون امة ، مثلا: للسحرة مكانة في الجهال ليست لهم مثلها في المثقفين ، نعم أصل القيم شيء حقيقي، كالحسن والقبح العقليين، فليستا من الامور الاعتبارية ، تختلف باختلاف الاعتبار ، وهي تتكون باعتبار الفائدة الحقيقية ، لاباعتبار الوهم والزيف .

الدور الاجتماعي

(الثالث) والدور الاجتماعي ، هو ما يقوم به الفرد في مجتمعه الكبير،أو

في جماعته التي هو عضو فيها، والغالب ان يقوم الفرد بجملة أدوار، سواء كان عضواً في جماعة ، أو في جماعات ، أو ليس عضواً في جماعة ، وانما يكون فرداً من الاجتماع .

وذلك لان الانسان مربوط بعدة اشكال اجتماعية ، يقوم في كل شكل منها بدور، فالانسان مربوط ببلد ، وبمنطقة ، وبحزب ، وبعائلة ، وبصنف،وهكذا، وكل واحد من تلك يتطلب منه القيام بدور ، وربما صار وكيلا أو وصياً عن آخر فيقوم بدوره أيضاً، وهذه الادوار، ان جمعت جميعاً ، سميت [بالدور].

وحيث ان الانسان غالباً تقدمي ، ويريد مزيد المنفعة المادية ، أو المعنوية، لايقتنع بالقيام بالدور المحول اليه ، بل يقوم بما يزيد على واجبه ، ولذا كان للانسان : (١) دور محول اليه. (٢) ودور اكتسبه بنفسه .

ثم ان المجتمعات البدائيـة ، تكون الادوار فيها قليلة ، بينما كلمـا تقدم المجتمع تعقد وكانت الادوار فيه كثيرة، وكلما كثرت أدوار المجتمع،يكون للفرد أدوار متعددة ، فالمجتمع الذي لاجمعيات فيه ، أولا احزاب ، لايكون للفرد مثل هذين الدور ، وكلمـا كثرت الجمعيات ، أمكن كثرة أدوار الفرد ، مثلا : يكون عضواً في جمعية خيريـة ، وفي جمعية الاطباء ـ اذا كان طبيباً ـ وفي الجمعية الثقافية المرتبطة بالحزب الفلاني ، وفي جمعية تجارية، وهكذا.

وربما تعارض دورا الانسان،فيقدم أهمهما ، كما اذا كثرت اشغاله الحزبية قل دوره في ادارة عائلته ، وكذلك اذا كانت هوايته ادارة جمعية خيرية يقلل من دوره في الجمعية الثقافية التي هو عضو فيها .

انتخاب الدور الافضل

ثم ان الدور الافضل الذي يمكن ان يقوم به الانسان، وعرفانه اي الادوار الموكولة اليه، اجتماعياً أو امكانياً، أفضل من غيره، بحاجة الى حسن الانتخاب وحسن الانتخاب ليس بالشيء الهيّن، فانه بعد الاحتياج الى الكفاءات الذاتية والكفاءات المنمية، يحتاج الى دقة تامل، وكثرة تفكر، ليميز الارجح من غيره.

كما ان انماء الكفاءات بيد الانسان غالباً، اذا لم تكن الامكانات الطبيعية أو الاجتماعية عائقة دون الانماء، مثلا: الفرد الهندي له ربع امكانية الفرد الامريكي في تحصيل العلم والمعرفة، فمن كل أربعة أولاد يوجد ولد واحد له امكانية التحصيل في الهند، بينما كل الاربعة لهم امكانية التعليم في امريكا.

فاذا فرض وجود الكفائة الذاتية ـ كان لم يكن بليداً، ولا مريضاً ـ ووجود الكفاءة الاجتماعية، يأتي دور حسن الانتخاب، والغالب ان سوء الانتخاب هو الذي يؤخر المتأخر، فنفران كلاهما طلبا العلم الديني يصل أحدهما الى المرجعية، بينما الاخر يبقى في المراتب النازلة، وهكذا كاسبان يصل احدهما الى الدرجات الرفيعة من التجارة حتى يكون في الرعيل الاول من التجار، بينما يبقى الاخر بقالا في دكان صغير، وهكذا سائر من له دور اجتماعي.

ملاك الادوار الاجتماعية

ثم ان الادوار الاجتماعية، ليس ملاكها القابليات والكفاءات الفردية، بل اللازم مدخلية الموازين الاجتماعية في قبول اعطاء الدور للذي يريد أن يقوم به، مثلا: في غالب المجتمعات لايعطي صلاحية الانتخابات لمن لم يكن بالغاً

ـ والبلوغ يختلف ميزانه عنـد الأديان والامم ـ وتبعاً لمثل ذلك يختلف دور الشيبة عن دورالكهول ، ودورهم عندور الشباب ، ودورهم عن دورالاطفال، كما يختلف دور الرجل عن دور المرأة ، ودور العالم عن دور الجاهل،ودور رؤساءِ القبائل ، أو الاحزاب عن دور سائر الافراد ، وهكذا .

وفي الحديث : (اعتمدا في دينكما على كـل مسن في حبنا ،كثير القدم في أمرنا) (١) .

وعدم اعطاءِ الاجتماع الدور الى قسم خاص من الناس، قد يكون لموازين عقلية، وقد يكون لموازين عرفية، مثلا: اعطاءِ دور الاصلاح الى الشيبة وذوي الخبرة والتجربة أمر عقلي، أما اعطاء الدور لمن له مال أكثر ـ لمجرد ذلك ـ كما في بعض المجتمعات انما يتبع العادة ، والا فالمال لاربط له بمثل ذلك الدور .

الجماعات والادوار

والجماعة ، حالها حال الفرد ، في انها قد تؤهل نفسها للقيام بدور كثير الاهمية ، وقد تبقى عادية ، بحيث لايراها الاجتماع مؤهلة للقيام بذلك الدور الذي ، ازمعت القيام به ، مثلا : الحزب الذي يريد الحكم فقديوجد فى نفسه مؤهلات الحكم ، ومثل هذا الحزب يصل الى الحكم ، أما اذا لم يوجد في نفسه تلك المؤهلات ، وصل الاخرون وبقي هو في ذيل القافلة .

فقديجد الانسان في بلد كذا حزباً كبيراً له سوابق مشرقة ، وأعضاء بارزين وثقافة عالية، ومع ذلك لايصل الى الحكم ، بل ولاأمل له بذلك ، بينما حزب آخر تمكن من الوصول ـ ولاأقصد وصول القفز بانقلاب عسكري ، فان ذلك

---

(١) رجال الكشي ص ٤ ح (٧) طبعة مشهد . والمذكور فيه فاصمدا في دينكما .

الوصول أيضاً لمؤهلات الاجانب الذين كانوا وراء الانقلاب ، بالاضافة الى ان مثل ذلك الوصول لم يكن شرعياً ، وكلامنا نحن في الشرعية ـ

واذ يحقق في شأن عدم وصول ذلك الحزب اللامع يرى ان عدم وصوله نابع من ذاته ، حيث ان مداراته الناس قليلة فلا يستعد الناس لانتخابه سيداً عليهم ، فالاجتماع لايعطيه الدور الذي يطلبه ، لانه ليس بمؤهل في نفسه لذلك الدور.. فان للاجتماع بالنسبة الى اعطاء الادوار الرفيعة شروطاً صعبة ، لايحظى بتلك الادوار الااولئك الذين يستعدون للعمل بتلك الشروط .

واذا فرض ان قفز انسان الى ذلك الدور بدون مؤهلاته، أنزله الاجتماع عنه بمختلف الوسائل والسبل ، ان قريباً أو بعيداً .

تحرك الانسان في رتبته

(الرابع) تحرك الانسان في رتبته ، أوفي مجتمعه، عمودياً أوأفقياً ، فالاول هو ان ينتقل من درجة أعلى الى درجة أسفل أو بالعكس كأن يكون مرئوساً فيصبح رئيساً ،أوينتقل من الرئاسة الى المرئوسية ، والثاني أن ينتقل من عمل في الحزب الى عمل آخر فيه مساو للاول ـ مثلاـ أو ان ينتقل من جمعية الى جمعية اخرى وهكذا ، وقد حرص الاسلام على تحرك الانسان الى أعلى دائماً ، فقال عليه السلام : (من تساوى يوماه فهو مغبون)[1] .

ضرورة الرتب

ثم ان المجتمع مهما كان، لابد له من الرتب، وذلك لان الرتبة من مقتضيات

(١) وسائل الشيعة ج/١١ ص ٣٧٦ .

١ ـ الطبيعة ، حيث ان بعض الافراد أشجع من بعض ، وأكرم من بعض، وأزكى من بعض ، وهكذا مما يوجب تقدمهم على الرتبة التي ليست لها هذه المزايا النفسية والجسمية .

٢ ـ والزمان حيث ان كبر السن ، الذي يسببه مرور الزمان يعطي للكبار رتبة في قبال الصغار ، والسبب لذلك ان الكبار أكثر تجربة ، وانهم هم الذين ربوا الصغار ولذا كان لهم احترام أكثر ، وهيبة وعزة في النفوس

٣ ـ بالاضافة الى انقسام المجتمع تلقائياً الى الرجال والنساء ، حيث ان النساء يصلحن لشيء لايصلح له الرجال ـ لمكان كثرة العاطفة والنعومة فيهن ـ والرجال يصلحون لشيء لاتصلح النساء له ، لمكان كثرة التعقل والخشونة فيهم .

٤ ـ ثم بحكم احتياج الاجتماع الى الادارة يجعل بعض أفراده رئيساً لمكان ادارته، واولئك الافراد يشكلون رتبة خاصة هي رتبة الحكام في قبال رتبة المحكومين .

وهذه الرتب موجودة في كل اجتماع سواء كان ابتدائياً ، أو متقدماً صناعة، نعم الفارق ان الاجتماع الابتدائي ليس فيه بعض الرتب من باب السالبة بانتفاء الموضوع ، مثل المخترعين أو الاحزاب ، أو ما أشبه ذلك ، أما الزعم بأنه لاتفاوت في الرتب في الاجتماعات الابتدائية ، لان التفاوت يأتي من الملكية الفردية، ولاملكية فردية في تلك المجتمعات ، فالدليل على خلافه ، لافي الرتب فحسب ، بل في الملكية الفردية أيضاً ، وقد دلت التجارب التي اجريت على امم معاصرة تعيش عيشة البداوة ، فظهرت النتائج انهم توجد فيهم الملكية الفردية ، والرتب .

والمجتمع الماركسي الذى بنى دولته وامته على آراء ماركس ، ظهر له عدم استقامة تلك الاراء ، ولذا رجعت اليه كل الحقائق الانسانية ، كالرتب والملكية الفردية ، وعدم اشاعة النساء ، وغير ذلك ، وانما كل ما فعله ذلك المجتمع ان سلب الانسان دينه واخلاقه وحريته بالقوة ـ بقدر ما تمكن من سلبها ـ والا فنفس تلك المجتمعات أيضاً فيها كثرة كبيرة من المتدينين ، ولكن تعيش تلك الكثرة تحت الكبت والارهاب .

عوامل تكون الرتب

ثم ان الغالب في سببية تكوين الرتب هو :

(١) الثقافة : فالمثقفون يشكلون رتبة في قبال غيرهم ، والارفع ثقافة كالطبيب والمهندس والمرجع والخطيب البارع ونحوهم يشكلون رتبة في قبال الاقل ثقافة .

(٢) والملكية : تكون رتبة الملاك في قبال غيرهم ، والاكثر ملكاً يكون رتبة في قبال الاقل ملكاً ، ولايخفى ان الملك الحاصل من الاسباب الخمسة السابقة [العمل الجسدي، والفكري، والمواد ، والشرائط ، والعلائق] مشروع وماعداه ليس بمشروع .

(٣) والحكام يشكلون رتبة في قبل سائر الناس ، ولا يخفى ان الحاكمية المشروعة في الاسلام هي التي يتوفر فيها شرطان :

أ ـ مواصفات الاسلام .

ب ـ انتخاب الناس [وهذا وان كان راجعاً الى بعض المواصفات أيضاً الا انه افرد بالذكر لاهميته] .

وهذه الثلاثة هي اصول أسباب تكون الرتب ، وان كانت هناك فروع اخر من نفس هذه الاصول أوغيرها .

التفاوت الصحيح والتفاوت الباطل

ثم ان الرتب اذا رجعت الى أسباب عقلائيه صحيحة كانت صحيحة، كالثقافة والملك عن استحقاق والحكم عن استحقاق ، أما اذا رجعت الى أسباب غير صحيحة كانت باطلة ، ويلزم ازالتها ، مثل الحكومة الديكتاتورية الموجودة في الشيوعية، حيث ان الحكام يصلون الى الحكم بالارهاب والكبت، ومثل المالكية الرأسمالية الغربية ، حيث ان المالكية لاتكون الابأكل أتعاب النـاس ، واذا كانت الاختلافات فاسدة ،افسدت أيضاً ،كما افسدت الحكومة الشيوعية مسألة المال فأخذته من أيدي المستحقين الى يدالحكومة ، وكما افسدت الرأسمالية الغربية مسألة الحكم ، حيث تحكم رأس المال في الانتخابات ـ على ماذكرنا تفصيله في [فقه الاقتصاد] .

ولايخفى ، ان الانحراف ينتهي الى سقوط المنحرف ، ولذا يتنبأ الخبراء بسقوط الشرق الديكتاتور والغرب الرأسمالي ،كما سقطت قبل ذلك الرومان حيث قسمت الناس الى الاشراف والعوام والعبيد ، وسقطت حكومات القرون الوسطى ، حيث قسمت الناس الـى ملاك الارض ، والعبيد ، وسائر الناس ، وكذلك سقطت الدولة الفارسية لمثل ذلك .

ثم ان منشأ العبيد في الاسلام ، غير منشأه في تلك الدولة ، وقد ذكرنا في [الفقه الاقتصاد] تفصيل ذلك . . أماوجه سقوط المنحرفة ، فهو ان الانسان حيث خلق نقي الفطرة ، لابد وان يميز الانحراف عن الاستقامة ، مهما تزود الانحراف بالمال والقوة والدعاية،واذا ميز الناس ذلك اخذوا في هدم الانحراف

الى اسقاطه . . وانما يطول أو يقصر زمان الانحراف تبعاً لعاملين :

(١) عامل قوة كيد المنحرف .

(٢) عامل ذكاء الذين يريدون اسقاطه ، وعلى اي فالباطل ساقط .

قال سبحانه : «لايغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل»[١] .

وقال ﷺ : (تضايقي تنفرجي) وورد : (للحق دولة وللباطل جولة)[٢] الى غيرذلك من الايات، والروايات ، واقوال الحكماء ، بالاضافة الى التجارب ، ولذا فمن الاجدر بالانسان انيمشي في الطريق المستقيم ، وقدسأل الامام عليه السلام ما الحيلة ؟ فقال عليه السلام : في ترك الحيلة .

ثم ان أول مايوجب اسقاط المنحرف ، هـو وعي الناس ، ولذا يمارس المنحرفون سياسة التجهيل ؛ ويجعلون العقوبات الصارمة للوعاة والمرشدين ، فمثلا : حكومة البلاد الشيوعية تحضر العلم التوعوى ، كما تحضر الحريات التي تنتهي الى العلم ، فيزعم كثيرمن أهل تلك البلاد انه لاشيء وراء الشيوعية.

كما ان الرأسماليين في البلاد الغربية يوهمون الناس انهم في نعيم ، وانه ليس وراء ماهم فيه تقدم ورفاه وحرية ، فالطبقية المنحرفة اخذة بالاكظام في كلا النظامين وان كانت الكيفية فيهما مختلفة ولذا نرى ان أكثر الاولاد في كلا النظامين لايتمكنون من التخلي عن حرفة آبائهم ، حيث ليس المجتمع منفتحاً يتمكن كل انسان فيه من تقرير مصيره بنفسه، كما نرى في كلا البلدين ان الزواج بين الرتب السفلى والعليا شبه معدوم ، وذلك لانحراف الثقافة ، حيث جعلت الحواجز

---

(١) سورة آل عمران آية ١٩٦ .

(٢) الكافي ج/٢ ص ٤٤٧ .

النفسية ، ولامخلص للشعوب من هذين النظامين الابالوعي والحرية .

تأثير الرتبة في الانسان

(الخامس) دور تأثير الامور السابقة في حياة الانسان ، فان الرتبة على قسمين :

أ ـ الرتبةعن استحقاق النابعةعن المؤهلات الحقيقية كالعلم والمال المستحق والحاكمية الانتخابيةوماأشبه، وهذه الرتبة لاتوجب فساداً وتخريباً، بل بالعكس عدمها يوجب حرمان ذي الحق عن حقه .

ب ـ الرتبة لاعن استحقاق ، كالموجودة في النظام الرأسمالي ، أوالشيوعي ، وهذه الرتبة توجب اسراف رتبة وحرمان رتبة .

وقد روي عن علي عليه السلام انه قال : (ما رأيت نعمة موفورة الا والى جانبها حق مضيع) .

وهذا التفاوت المنحرف يوجب حرمان الرتبة النازلة عن كثيرمن الامور الحيوية ، بينما لو كان الاختلاف مستقيماً ، كان أفراد البشر سواء امام كل مؤهلات الحياة .

الطبقية المنحرفة تؤثر في الحياة

(مسألة ـ ٢٠) الامور الحيوية التي يحتاج اليها كل انسان ، يلزم على الدول والافراد ـ على حد سواء ـ توفيرها حتى لاتبقى حاجة ومحتاج ، وقد ذم الاسلام الفقر، وأوصى يترفيع مستوى الفقراء حتى يصبحوا أغنياء ونظم برامجه ، حيث لايبقى فقر ولا فقير ـ كما فصلناه في كتاب[الفقه الاقتصاد]ـ .

قال علي عليه السلام : (الفقر يخرس الفطن عن حجته ، والمقل غريب في بلدته).(١)

وقال عليه السلام : (الغنى في الغربة وطن ، والفقر في الوطن غربة).(٢)

وقال عليه السلام : (الفقر الموت الاكبر) .(٣)

وقال عليه السلام : (ينام الرجل على الثكل ، ولا ينام على الحرب [سلب المال]) .(٤)

وقال عليه السلام : (ان الله فرض في أموال الاغنياء أقوات الفقراء ، فما جاع فقير الا بما متع به غني، والله تعالى سائلهم عن ذلك)(٥) الى غيرها من الروايات.

أما في بلاد الطبقات المنحرفة [كروسيا وامريكا] فالدولة ورأس المال

---

(١) نهج البلاغة / صالح / ص ٤٦٩ .

(٢) نهج البلاغة / صالح / ص ٤٧٨ .

(٣) تحف العقول ص ١٥٣ .

(٤) نهج البلاغة / صالح / ص ٥٢٩ .

(٥) نهج البلاغة / صالح / ص ٥٣٢ .

يتعاونان لجعل الامتيازات لطبقة الى حد الاتخام وحرمان طبقة الى حد الاحتياج الى أوليات الحياة .

الفقر . . والحياة

وبصورة عامة فالطبقية المنحرفة ، تعطي امكانيات كثيرة لطبقة ، مما تحرم طبقة اخرى عن مثلها ، وهي :

أ ـ امكان ان يحيى ، فان الفقير لايتمكن كثيراً ما من الزواج ، أما لاجل تكاليفه ، أو لاجل ادامة المعيشة العائلية ، مما يوجب حرمان الاولاد الممكن حياتهم لو تزوج، عن رؤية نور الحياة . . واذا تزوج منع عن الولد أما بالاجهاض ، أوبالحيلولة دون تولده خوفاً من الفقر ، مثل ماكان في الجاهلية.

قال سبحانه : « ولا تقتلوا أولادكم من املاق »[(١)] . وفي آية اخرى : « خشية املاق »[(٢)] .

وقال تعالى : « واذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت »[(٣)] .

بينما ليس كذلك غير مثل هذه الطبقة ، حيث ان المتمكن والمرفه ـ اي الطبقة الوسطى والعليا ـ لايشكون من مثل ذلك ..

أما قوله سبحانه : «نحن نرزقكم واياهم »[(٤)] . وقوله : « ان يكونوا فقراء يغنهم الله»[(٥)] فذلك بصدد الرزق في المنهاج المستقيم ،فانه لو كان المنهج مستقيماً

---

(١) سورة الأنعام آية ١٥١ .
(٢) سورة الإسراء آية ٣١ .
(٣) سورة التكوير آية ٩ .
(٤) سورة الأنعام آية ١٥١ .
(٥) سورة النور آية ٣٢ .

لايبقى فقير .

أما اذا نهبت الدولة والرأسماليون الثروة ، فالفقير لايعاني من عدم ارزاق الله تعالى ، بل من نهب الظالمين حقه ، ولذا تقدم في كلام علي عليه السلام : (فما جاع فقير الا بما متع به غني) .[1]

ب ـ امكان ادامة الحياة ، فان الطبقة الفقيرة :

١ ـ يموت أولادهم أكثر من غيرهم ، لعدم تمكنهم من الغذاء والدواء للاولاد ، وقد دلت التجارب ان في بعض البلاد يبقى من أولاد الفقراء ما يقارب النصف فقط ، بينما بقاء أولاد غيرهم اكثر من تسعين في المائة .

٢ ـ يموت الفقير لعدم توفر وسائل الغذاء والدواء والراحة، بنسبة كبيرة بينما ليس كذلك موت غيره ، والاحصاءات في آسيا وافريقيا ، بالنسبة اليها في البلاد الاوربية واليابان وامريكا ، دلت على ذلك .

٣ ـ الفقراء تلتهمهم الحروب أكثر من الاغنياء بنسبة كبيرة ،لان الفقراء غالباً لايثقفون ، ولا نفوذ لهم حتى يمنع نفوذهم عن الذهاب الى الحرب ، ولا مال لهم لاعطاء البدل ـ مستقيماً فيما كان للجندية بدل أو ملتوياً بالتخلص بالرشوة ونحوها ـ .

٤ ـ الموت الناشيء من جهة الاجرام، فان المجرم الفقير ينطبق عليه القانون فيقتل ، أو يسجن مما يوجب مرضه وموته ، أو يعذب مما يوجب موته ، أما غير الفقير فيخلص نفسه من الموت المذكور ، بسبب ماله ونفوذه .

---

(١) نهج البلاغة / صالح / ص ٥٣٢ .

الفقر . . والاخلاق الفاضلة

ج ـ امكان الاخلاق الفاضلة ، فان سوء الاخلاق ناشيء من المرض والفقر ـ في كثير من الاحيان ـ والمرض ناشيء من الفقر أيضاً ، والغنى وان كان يبتلى بالكبر ونحوه ، الا ان توتر الاعصاب وضيق الصدر ونحوهما يعطي الاخلاق السيئة غالباً ، ولذا نرى النزاعات وسوء الاخلاق في العوائل الفقيرة وانتهاء الامر الى الطلاق أكثر من غيرهم ، والامر بحاجة الى احصاءات دقيقة حتى تظهر النسبة الواقعية بين الفقراء وغيرهم من الطبقتين المرفهة والمتوسطة.

الفقر . . والصحة

د ـ امكان حفظ الصحة ، فان الفقير [حيث لا يقدر على الدواء من ناحية ولا من حفظ صحته من جهة عدم الوسائل من ناحية اخرى ، وبالجملة لا على الوقاية ولا على العلاج] أكثر مرضاً وأدوم مرضاً من الغني ، وقد دلّت الاحصاءات على ذلك . . ثم من ناحية ثانية ، الفقير يبتلى بالامراض العصبية والنفسية أكثر من غيره ، حيث ان الفقر والبطالة والمنازعات وما أشبه تنتهي الى أمثال هذه الامراض ، مما الغني يامن منها، وقد دلت احصاءات مستشفيات الاعصاب ودور المجانين على هذه الحقيقة .

والاغنياء وان كانت لهم أمراض خاصة بهم ، أمثال ضغط الدم ، وتصلب الشرائين ، والتخمة ، والسكر ونحوها ، الا ان أمراض الفقراء أكثر وأدوم وأخطر .

الفقر . . والسلام

هـ ـ امكان السلام ، حيث انالاغنياء يحفظون أنفسهم عن الحرب، ببذل المـال ، أما الفقراء فحيث لامال لهم، لابد لهم ان يلتجئوا الى الحـرب لحل مشكلاتهم ، فان الحل للمشكلة ، أما يكون من الطرق الدبلوماسية ، وأما من طرق الحـرب ، وحيث يفقد الاول ، لابد من الالتجاء الى الثـاني . . هذا بالاضافة الى انالمستكبرين دائماً يحاربون المستضعفين لاجل السيطرةعليهم لاتخاذهمخولا ، وما بقي من ثرواتهم ـ بالقوة ـ دولا ، وحرب المستكبرين للمستضعفين انما هو بواسطة مستضعفين آخرين، مما ينتج ان امكانات السلام فيالفقراءأقل من امكانات السلام في غيرهم .

الفقر . . والعلم

و ـ امكان تحصيـل العلم ، وذلك لان تحصيل العلـم بحاجة الى المال من جهة :

١ ـ وسائل العلم من الكتب واجرة المدرسة ونحوها .

٢ ـ امكان النفقة علىالنفس ليتفرغ الانسان ، اذ لولم تكن له نفقة، اضطر الى الكسب ، وكلا الامرين موفران للغني دون الفقير .

ومنه يعلم ، ان الدول مهما وفرت المجانية للمـدارس لم ينفـع ذلك في تساوي مجال الفقير والغني لطلب العلم ، فانه بعد التوفير يبقى :

١ ـ أمر النفقة .

٢ ـ بالاضافة الى امكان الغني من التحقيق الاكثر بسبب مـا يملك ، بينما يحرم منه الفقير ، ولذا نجد في كل المجتمعات ان الطبقة المثقفة أغلبهـم من

الاغنياء، بينما أقلهم من الفقراء، و كلما كانت الثقافة أرفع ، كانت نسبة الاغنياء فيها أكثر .

الفقر . . والعمران

ز ـ امكان العمران ، فان العمران يستند الى الاغنياء دو الفقـراء ، فان الفقير مهما تعب لا يتمكن الا بناء دار لنفسه ، أما الاغنياء فهم وحدهم القادرون على تكثير العمران ، سواء بالبناء للدور ، وايجاد البساتين، أو غير ذلك .

الفقر . . والحياة النظيفة

ح ـ امكان العيش النظيف ، فان الفقر والحرمان ، والضغط الاجتمـاعي الوارد على الفقير، يوجب انحـرافه وسقوطه في الرذيلة ولذا يكون أكثـرية السجناء ونزلاء دور البغاء والمعطين للشذوذ الجنسي ، وما أشبه من الفقراء .

ولذا نجد التلازم في الاذهان العرفية بين اللص والغبي والولـد الساقط ومن أشبههم ، وبين انهم فقراء لا يملكون المال لانتشال أنفسهم من حضيض الرذيـلة . . وقد تقدم ان الفاسد من الاغنياء ينفلت عـن العقاب ، فلا يبتلى بالسجن ونحوه .

الفقر . . والقدرة

ط ـ وامكان تحصيل القدرة والوصول الى المناصب الرفيعة في المجتمع يتوفر للاغنياء ومن اليهم من الطبقة المتوسطة أكثر مما يتوفر للفقراء ، وذلك لان المال يعطي للانسان امكانات لا يجدها غير ذي المال ، وتبعاً لهذا الامكان

يصل الاغنياء الى مناصب شامخة ، أكثر من وصول غيرهم .

لايقال : انا نجد ان جملة كبيرة من فقهاءِ الشيعة وصلوا الى المراتب السامية ، بينما كانوا فقراء ؟ لانه يقال : ان مبدء [اعطاءِ الحقوق] جعلهم أغنياء وان عاشوا مدة من الزمن فقراء في أوائل تحصيلهم للعلم فبقائهم ايضاً تابع للمال الذي يتوفر لهم فيتسنى لهم الاستمرار في تحصيل المراتب العالية والسير الى الدرجات الرفيعة .

أما امكانية انقاذ ذي المال الفقراءِ والمرضى والملوثين ومن أشبه بماله دون غير المال ، فلم نجعله في عداد ما تقدم لاجل انه يرتبط بشأن غيرهم ، والكلام في المقام في شأن الطبقة الغنية بالنسبة الى الطبقة الفقيرة .

الاختلاف الفكرى بين الفقراء والاغنياء

وأخيراً فان نظرة كل من الفقير والغني تختلف الى امور في الحياة ، وكذا سبك تعاملهما مع الحياة ، مثلا :

١ - نظرة الفقراء الى المصلحين نظرة انقاذ وهداية ، ولذا يلتفون حولهم بينما نظرة الاثرياءِ والمترفين الطاغين نظرة هدم وتخريب ، حيث انهم يرون المصلحين يسببون لهم المشاكل وانزالهم عن مقامهم وامتيازاتهم .

٢ - وحيث ان المال قليل عند الفقير كان من الطبيعي أن يكون دقيقاً في الصرف بخلاف الغني .

٣ - ويربي الغني أولاده وما يتعلق به بالنظافة والادب ، بينما الفقير ليس له وقت ولا مال يفيان بمثل ذلك .

٤ - والفقير يرى لزوم تقوية طبقة العامل والفلاح ومن اليهما ، بينمايرى

الغني المنحرف عكس ذلك ، وذلك لتضارب مصلحة الطرفين في طرفي الامر.

٥ ـ والحرية التجارية ينظر اليها الغني كأنها حقه الطبيعي ، بينما لاشأن للفقير بذلك ـ من باب السالبة بانتفاء الموضوع ـ .

٦ ـ والغني المنحرف ينظر الى كل شيء نظرة اكتساب وتجارة ، فالمعنويات تضعف لديه ،لان عقليته طبعت على المال والتجارة ، بينما ليس الفقير كذلك ، الى غير ذلك من انظارهم المختلفة الى جملة من شئون الحياة حيث ان كل واحد منهما ينظر اليها من زاويته الخاصة .

موقف الاسلام تجاه الفقراء

ولا يخفى ان الاسلام قرر منهجين لاجل الفقراء ومن اليهم :

أ ـ منهج اغنائهم ، لان الاسلام كما يحرم الشيوعية يحرم الرأسمالية ، فكلا النظامين يستغل أموال الناس ، في النظام الرأسمالي يستغله الرأسماليون ، وفي النظام الشيوعي تستغله الدولة ـ التي تجمع بين المال والقوة ـ بل اللازم في المال أن يكون لكل أحد حقه النابع من الامور الخمسة السابقة الذكر .

ب ـ منهج ان من لايتمكن من الغنى ليتم أو مرض أو ما أشبه ، يلزم على الدولة القيام بكل حوائجه ، حقاً له عليها لااستعطاءاً وصدقة وتبرعاً .

قال علي عليه السلام في كتابه الى مالك الاشتر « ره » : (ثم الله الله في الطبقة السفلى، من الذين لاحيلة لهم من المساكين والمحتاجين وأهل البؤسى والزمني، فان في هذه الطبقة قانعاً ومعتراً [من يسأل ومن يرى نفسه من غير سؤال] .

واحفظ الله مااستحفظك من حقه فيهم ، واجعل لهم قسماً من بيت المال، وقسماً من غلات صوافي الاسلام في كل بلد، فان للاقصى منهم مثل الذي للادنى،

وكل قد استرعيت حقه ، فلا يشغلنك عنهم بطر ، فانك لاتعذر بتضييعك التافه لاحكامك الكثير المهم .

وتفقد امور من لايصل اليك منهم ممن تقتحمه العيون ، وتحقره الرجال ففرغ لاولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع فليرفع اليك امورهم، ثم اعمل فيهم بالاعذار الى الله يوم تلقاه، فان هؤلاء من بين الرعية احوج الى الانصاف من غيرهم، وكل فاعذر الى الله في تأدية حقه اليه .

وتعهد أهل اليتيم، وذوي الرقة في السن ممن لاحيلة له ، ولاينصب للمسألة نفسه ، وذلك على الولاة ثقيل ، وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبروا أنفسهم ووثقوا بصدق موعود الله لهم)[(١)] .

ثم حيث ان المال يتراكم من التجارة [الاعم من الزراعة و الصناعة والاكتساب] وان هذه هي التي ان عدلت اعتدلت الامور ، والا حدثت الطبقية المنحرفة ، فاللازم ان يجمع فيها بين [الحرية] الصحيحة و[التقيد] المعقول، وقد جمعهما الامام أمير المؤمنين عليه السلام في عهده الى الاشتر ، فقال عليه السلام : (ثم استوصي بالتجار وذوي الصناعات واوصي بهم خيراً ، المقيم منهم والمضطرب بماله والمترفق ببدنه، فانهم مواد المنافع وأسباب المرافق، وجلا بها من المباعد والمطارح، في برك وبحرك وسهلك وجبلك ، وحيث لايلتم الناس لمواضعها، ولا يجترأون عليها ، فانهم سلم لاتخاف بائقته ، وصلح لاتخشى غائلته، وتفقد امورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك .

وأعلم مع ذلك : ان في كثير منهم ضيقاً فاحشاً ، وشحاً قبيحاً ، واحتكاراً

---

(١) نهج البلاغة /صالح/ ص ٤٣٨ .

للمنافع وتحكماً في البياعات ، وذلك باب مضرة للعامة . وعيب على الولاة، فامنع من الاحتكار ، فان رسول الله ﷺ منع منه ، وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل ، واسعار لاتجحف بالفريقين ، من البائع والمبتاع، فمن قارف حكرة بعد نهيك اياه ، فنكل به وعاقبه في غير اسراف[١].

(١) نهج البلاغة / صالح / ص ٤٣٨ .

عوامل تكوين الشخصية

(مسألة ـ٢١ـ) معرفة شخصية الانسان ـ الشخصية بالاصطلاح الاجتماعي ـ توجب تهيئة الظروف التي تسبب استقامة الشخصية ، اولا أقل من التقليل عن الشخصيات المنحرفة ، وعن انحرافات الشخصية المنحرفة ، ثم ان الشخصية تتكون من :

١ ـ الفطرة ، حيث انها الارضية المفطورة بحيث لايمكن تغييرها كلياً ، وانما الممكن أن يزرع فيها الزرع المختلف .

٢ ـ الوراثة .

٣ ـ المحيط الطبيعي .

٤ ـ المحيط الاجتماعي .

٥ ـ الثقافة .

الفطرة . . والشخصية

١ ـ أما الفطرة ، فقد قال سبحانه : « فطرة الله التي فطر الناس عليها »(١) فان الانسان يخلق وله فطرة خاصة ، قابلة للتغيير في حدود مخصوصة ، بينما اخويه الاخرين [الحيوان والنبات] ليس لهما الا تغير قليل جداً ، فالحيوان ليس

---

(١) سورة الروم آية ٣٠ .

له ذلك المجال الواسع للتقلب ، وانما له غرائز يسير الحيوان من أول عمره الى آخره على تلك الغرائز ، ولا اختلاف بين أفراده طيلة ملايين السنوات وان احتمل بعض العلماء امكان التطوير في الحيوان أيضاً .

والنبات أقل تطوراً ، وان كان فيه بعض التطور أيضاً ، حيث ان شجرة التفاح مثلا تختلف عن امها ، في بعض الكيفية والخصوصيات ، وفي بعض خصوصيات الثمر ، بل قابلة للتحسين ، أو الترك حتى تكون أسوء .

والانسان وحده دائرة تطوره كبيرة جداً، يبتدء بالمشي على قدمه، وينتهي الى ارتياد الفضاء ، وهذا لابد وان يكون له أرضية قابلة لمثل هذا التجول عليها بهذه الدائرة الوسعية، وحدود هذه الارضية، وان لم يكن معلومة لنا ، الا انها وسيعة في الدنيا والاخرة جداً .

قال سبحانه : « لتركبن طبقاً عن طبق » .[1]

وقد قال بعض الحكماء : (ثم اصعد عن الملائكة وأصل الى مالا يناله الوهم) .

وفي الحديث عن الاخرة انه : (ينال الانسان فيها مالاعين رأت ، ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)[2] .

والانسان يخلق فطرة مختلفاً (فالناس معادن كمعادن الذهب والفضة)[3] .

الوراثة . . والشخصية

٢ ـ وبعد ذلك يأتي دور الوراثة ، ففي الحديث : (الولد سر أبيه) وقد

---

(١) سورة الإنشقاق آية ١٩ .

(٢) العوالي ج ٤ ص ١٠١ ح ١٤٨ .

(٣) الروضة الكافي ج/٨ ص ١٧٧ .

ثبت في علم الوراثة ذلك ، وان الابن يحمل معه بعض ملامح الأب ، وبعض ملامح الام ، وهذا جار في ملامحه الجسدية ، وملامحه النفسية ، فكان نفسياته الفطرية تؤطر بنفسياته الوراثية .

وهاتان [الفطرة والوراثة] لاتوجبان الالجاء ، بل الاقتضاء ، حالهما حال الادوية حيث انها اقتضائيات لاانها توجب الاثار قطعاً . . والفطرة والوراثة تبقيان مع الانسان من أول عمره الى يوم مماته .

دور المحيط الطبيعي فى تكوين الشخصية

(٣) وبعدهما يأتي دور المحيط الطبيعي ، فان للمناخ المحتوى على كيفية خاصة من الحرارة والبرودة ، والرطوبة واليبوسة تأثيراً على الانسان لا يمكن انكاره ، ولذا كان أهالي البلاد المعتدلة أكثر اعتدالا من اهالي البلاد الحارة ، حيث تغلب عليهم اليبوسة ، ومن اهالي البلاد الباردة ، حيث تغلب عليهم الرطوبة ، وكل من الرطوبة واليبوسة لها آثارها فى النفس ،كما لها آثارها في الجسد .

بل للبلاد الجبلية، والسفحية، وسواحل البحر ، وبلاد الاشجار والانهار تأثيرات كبيرة فى الصفات و المزايا ، ولذا اعتادوا من القديم وصف أهالي البلدان بالصفات المختلفة مما يرى علماء النفس والاجتماع والوراثة ما لتلك البلاد من التأثير في تكوين شخصية أهاليها .

وكان تقسيم آرسطو الامزجة الى الدموية و البلغمية و الصفراوية و السوداوية، مستقى من ذلك،هذا فى الجملة،لا ان كل التأثير للبلد والمناخ، واذا كان لانواع الاطعمة التأثير فى الاخلاق ـ لا اقل العابرة منها ـ كان للمناخ التأثير أيضاً ان قل أوكثر .

تأثير المحيط الاجتماعي

(٤) أما المحيط الاجتماعي ومايتلقاه الانسان من مجتمعه فلايخفى تأثيره في تكوين شخصيته، فان الانسان يولد في كمال العجز، ويبقى عاجزاً الى حين مماته ، و يكمل عجزه من محيطه الاجتماعي ـ كما يكمل بعض عجزه من محيطه الطبيعي ـ وكما يأخذ حاجاته عن الاجتماع ، كذلك يأخذ صفاته و اخلاقه عن الاجتماع، ويؤطّر نفسه باطار الاجتماع، فيلاحظ كيف انه يتمكن ان يعيش في وسط ذلك الاجتماع ويأخذمنه حاجاته الجسدية و النفسيةفيلاحظ الفعل ورد الفعل ويؤطر نفسه بتلك الشبكة المنسوجة حوله .

والفطرة ، والوراثة ، والمحيط الطبيعي،تنسحب أمام المحيط الاجتماعي بقدر ممكن من الانسحاب ، ولذا نجد حتى المرضى ونحوهم اذا وقعوا في الضغط الاجتماعي ، ساروا كما يريده الاجتماع حسب الممكن .

الثقافة . . صانعة الانسان

(٥) وأخيراً يأتي دور الثقافة فالانسان يتمكن أن يخزن ثقافته التي استفادها بأي طريق كان ، في الكتب ونحوها ، وكل جيل متأخر يتعلم من الجيل المتقدم لاتجاربه فحسب ، بل ما اختزنه في الكتب ، حتى يأتي دور جيل ـ كجيلنا المعاصر ـ تجمعت لديه مليارات العلوم والتجارب المتراكمة منذ الاجيال السابقة .

وهذه الثقافة التي تلون الاجتماع تحتوش الانسان من كل مكان ، وتؤثر فيه وتؤطره باطارها،وحتى الذين يفرون من الاجتماع الى الكهوف والصوامع قد لونوا بلون اجتماع ماويحملون معهم ذلك اللون الى هناك، كمايحملون معهم لغة

اجتماعهم وذكرياته، نعم اذا ربى الطفل بين الحيوانات لايتلون بلون الاجتماع.

وهـذا الاجتماع الذي يحتوش الانسان يعطي للانسان هيئة اجتماعية ، فيعيش الانسان فـي شبكته ، ويتغير حسب تغيره ، ويبتدء احتواء الاجتمـاع للانسان من أول أيام حياته ، ولذا نجد الطفل من أوائل أيامه يأخذ في ملاحظة الاجتماع والتعلم منه ، والانس به وطلب الحوائج اليه .

ولذا قال رسول الله ﷺ : (اطلب العلم من المهد الى اللحد) . وقد ثبت في العلم ان مخ الطفل كالشريط يأخذ مايلاقيه ، ثم يختزن ذلك في لاوعيه ، ويرشح بعدئذ ذلك المخزون من أفكاره وأعماله ، والميت يفهم وهو في لحده ولذا يلقن في القبر ـ كما ورد في الشرْع ـ .

ثم الانسان لايتعلم حاجاته الاولية واصول معاشرته من الاجتماع فقط ، بل يتعلم الحاجات الثانوية ، ممايحتاج اليـه في معاشرته الاجتماعية ايضاً ، كالاداب والرسوم والتقاليد والعادات الاجتماعية وهي حاجات اجتماعية لااولية فان الحاجات الاولية هي المأكل والمشرب والمسكن ونحوها .

ويبدء الاحتواء الاجتماعي من العائلة ثم المدرسة ، والى الاجتماع الكبير بل والى الاجتماع الاكبر ، بسبب الاذاعات والاسفار ونحوها ، ولذا قالوا : (من لم يؤدبه الابوان أدبه الزمان) حيث ان الانسان اذا لم يتطور حسب التطور الاجتماعي ولم ينفعه نصح العائلة ، اصطدم بموازين الاجتماع ، مما يصفع بسببه .

والثقافة بضميمة الامـور الاربعة السابقة تعطي الانسان فرداً أو جماعـة ـ الشخصية ـ فيقال شخصية فلان ، أو شخصية البلد الفلاني ، وهكذا .

الثقافة . . والحرية

وذور الثقافة من أهم الادوار في حياة الانسان حتى ان بعض علماء الاجتماع نسب تكون شخصية الانسان الى الثقافة فقط ، دون الاربعة المتقدمة ، فبالثقافة الصحيحة تتوفر أجواء الحرية، والتي بدورها تؤثر في المزيد من الثقافة وتوسيع كل أبعاد الانسان .

ولا أدل على ذلك من المسلمين، فان الدنيا كانت مغلقة قبلهم طوال الالوف من السنوات حتى اذا جاء الاسلام وهيىء أجواء الثقافة ـ باعطائه الحريات وتشويقه الى العلم ـ وحصل عند المسلمين :

١ - حس البحث والتنقيب .

٢ ـ وشجاعة ابداء الاراء والنقد، ملئوا الدنيا علماً ونوراً، وأعطوا للانسان دفعة تقدمية ليست الصناعة الحاضرة الا بعض ثمارها .

قال عليه السلام : (في التجارب علم مستأنف)[١] .

وقال عليه السلام : (العقل عقلان : عقل الطبع ، وعقل التجربة)[٢] .

وقال عليه السلام : (رأي الرجل على قدر تجربته)[٣] .

وقال عليه السلام : (الظفر بالحزم ، والحزم بالتجارب)[٤] .

وقال عليه السلام : (العقل حفظ التجارب)[٥] .

---

(١) فروع الكافي ج/٨ ص ٢٢ .

(٢) البحار : ج ٧٥ ص ٦ ح ٥٨ عن مطالب السؤول ص ٤٩ .

(٣) الغرر ص ٢٨٧ ح ٥٥٠٩ ـ بيروت .

(٤) نهج البلاغة/ صالح/ ص ٤٧٧ .

(٥) نهج البلاغة / صالح / ص ٤٠٢ .

وقال عليه السلام: (فان الشقي من حرم نفع ماأوتى من العقل والتجربة)[1].

المسلمون والنبوغ العلمي

وقد نبغ في المسلمين علماء كثيرون احصائهم يحتاج الى مجلدات، بل قدرعدد بعض العلماء المعاصرين علماء وفضلاء خراسان منذ اول ظهور الاسلام الى اليوم، فكانوا أربعة وعشرين الف، ونحن الماعاً الى المطلب، نعد اسامي جملة من العلماء الكبار في مختلف العلوم ـ من غير نظر الى اتجاهات بعضهم المذهبية ـ .

١ ـ ففي الاعتقادات والفقه والاصول والاخلاق والتفسير والحديث منذ الف سنة نبغ: المفيد، والمرتضى والرضى، والشيخ، وابن البراج، وابن ادريس، والعماني، والاسكافي، والكليني، والصدوق، وعلي بن ابراهيم، و المحقق، والعلامة، وولده والشهيدان، والمحقق الثاني، والطبرسي، والفيض والبهائي، والمجلسيان، والمقدس الاردبيلي، وصاحبا المعالم والمدارك، ونصير الدين الطوسي، والوحيد، وبحر العلوم، وصاحبا الحدائق والجواهر وكاشف الغطاء، والنراقيان، والمحقق القمي، والشيخ، والشيرازيان، والاخوند، و الطباطبائي، وشرف الدين، والعاملي، وغيرهم كثيرون.

٢ ـ وفي الاقتصاد: أبويوسف يعقوب بن ابراهيم، وأبوعبيدة القاسم بن سلام، وابن يحيى الدمشقي، وعبد الرحمان بن خلدون.

٣ ـ وفي الادب والشعر والبلاغة: الدئلي، والفرزدق، والكسائي، وسيبويه وابن مالك، ودعبل، وأبونؤاس، والمتنبي، والرضي، ومهيار، والكميت، وأبو

---

(١) نهج البلاغة / صالح / ص ٤٦٦ .

فراس، والحلي، والفردوسي، والنظامي، والجامي، وناصرخسرو، والازري، والسعدي، والحافظ، والقزويني والتفتازاني .

٤ ـ وفي الفلسفة والكلام والمنطق والحكمة : الفارابي ، وابن سينا ، و بهمينار، وابن طفيل، وابن مسكويه، وابن رشد، والكندي، والرازي،والميبدي والطوسي،والغزالي،والمولوي،وصدر المتألهين، والداماد ،والسهروردي ، و الفيض، والفياض، والمولى عبد الله .

٥ ـ وفي علم الفلك : أبوالحسن الاهوازي ، وأبوالوفاء البوزجاني ، و الفرغاني ، والبيروني، وخالد ، والمروزي ، وعلي الطبري ، ويحيى بن أبي منصور ، وسند بن علي ، وعلي الاسطرلابي ، و الحاسب ، والشيخ البهائي والماهاني ، وأبوعثمان الحاني ، والدينوري .

٦ ـ وفي علم البيئة: الجاحظ، وعمادالدين الكاتب .

٧ ـ وفى علم البحر: سهل بن أبان، وأحمد بن ماجد، ومحمد بن شاذان، وابن كحلان .

٨ـ وفى علم النبات: أحمد الدينوري، وابن بيطار الحالقى، وابن سيدة، و منصور بن فضل السوري، وابوالعباس النباتى، وعبد الله بن صالح، ومحمدبن علي بن سفر، وابن الاوان الاشبيلي، والادريسى، وابن العوام .

٩ ـ وفي علم التاريخ: سليم بن قيس ، والثقفى ، والواقدي، ونصر بن مزاحم، وابن العماد، وابن الاثير، والطبري، والمسعودي،واليعقوبى،والبيرونى والخزرجى، والقفطى، والشهرستانى، والسمعانى، وابن خلكان، وابن واصل، والدينوري ،والمقريزي، وابوالفداء، وابن عساكر، والجوينى، وابي مخنف، والازدي، والذهبى، والاصفهانى ، والبلاذري ، والمحدث القمى .

١٠ ـ وفي علم الرياضيات : أبو الحسن بن المنجم ، والنسوي ، وموسى الخوارزمي، ومحمد بن جابر، والخيامي، والمحقق الطوسي ، وثابت بن قرة، وابن هيثم ، وأبو كامل ، وابن مطر ، وابن الطاهر البغدادي ، وابن يعقوب الدمشقي ، ومحمود الاصفهاني ، وابن ليث، والحاسب الكرخي ، وابن عبد الباقي البغدادي، وغيرهم كثيرون .

١١ ـ وفي علم الميكانيك والفيزياء : منصور الخازني ، وحسن بن هيثم البصري، واحمد بن مسكويه، ومحمود بن المصلح، وحسن السمناتي، وكمال الدين الفارسي، وعميد الدولة، والدمشقي الجويري، ومحمد بن السماوي .

١٢ ـ وفي علم الكيمياء: جابر بن حيان، والرازي، والتميمي، والخوارزمي وأحمد الكلداني، والبوني، والمالقي .

١٣ ـ وفي علوم الطب والتشريح ومعرفة الأجنة والصيدلة: ابن سيناء، و ابن نفيس ، وابن زهر ، والرازي ، وعلي الطبري ، وأبو الحسن الطبري ، و الاهوازي ، والخزاز ، وحسن بن نوح ، والهروي، والمقدسي ، وأبو القاسم الموصلي، والمصري، والعراقي، وغيرهم كثيرون.

١٤ـ وفي علم الجغرافيا: الخوارزمي، وسليمان، وخرداد به، والسيرافي والسرخسي، والكلبي، والهمداني ، والشيزري، والبلخي ، والمسعودي، وابن فضلان، والبغدادي، وابن الحائك، والخزرجي، وابن حوقل ، والمقدسي ، و القبادياني ، والبكري ، والاصطخري، والغرديزي ، والوزان ، والحموي، و الكبرى ، والصقلي ، والمازني ، والكناني .

١٥ ـ وفي علم المعدن: عطارد الحاسب ، والبيروني، والذهبي الكاملي، ونصير الدين الطوسي، والقاساني، والقبچقي، وعربشاه، وابن منصور .

١٦ ـ وفي العلوم العسكرية: حسن الرماح، والاوسى .

١٧ ـ ومن المترجمين: الفزاري، والاهوازي، وثابت بن قرة، والمقدسي والحمصي، والرهاوي، وأولاد موسى بن شاكر [الثلاثة] وحبش بن الحسن، وأبو الفرج، والهاروني ، وابن نوبخت .

١٨ ـ ومن الذين ألفوا دائرة المعارف: الابرشي، والخوارزمي الكاتب، وجمال الدين القزويني، وابويحيى القزويني ، والجرجاني ، والقلقشندي ، و السكالي .

الى غيرذلك، مما تزخر به التراجم والفهارس والكتب المعدة لذلك، و قد جمع مكتبة بعض قضاة صاحب بن العباد مليونا وخمسين ألف كتاب، وجمع مكتبة العزيز الفاطمي فى القاهرة مليونا وستمائة ألف كتاب ، كان ستة آلاف وخمسمائة منها فى الرياضيات، وثمانية عشر ألف منها فى الفلسفة، الى غيرذلك من الارقام الكبيرة لمكتبات الافراد وأعضاء الدولة .

العلم فى خدمة الانسان

.. وفي القرآن الحكيم ،وأقوال النبي والائمة عليهم السلام يجد الانسان منطلق الحركة الاسلاميـة ، في أبعاد العلم والثقافة ، ولذا نجد علماء المسلمين في أوائل وأواخر كتبهم يذكرون لطف الله بهم في ان وفقهم لارتياد العلم وجوب آفاق المعرفةِ ، وكان هذا التوجه الى الله هو السبب في ان المسلمين لم يسخروا علمهم لضرر الناس، بل لنفعهم، فلم يستعمروا البلاد ، ولم يكبتوا الحريات، ولم يصنعوا الاشياء الضارة، وكانوا دائماً بين طرفي نقيض مع السلطات الجائرة وكان كثير منهم يضطهدون من أجل ذلك، لا من الفقهاءِ وأهل الحديث فحسب،

بل وحتى أمثال جابر حيان الذي اختفى من جور السلطان حتى مات في مخبأه ونصير الدين الذي سجن سنوات كثيرة .

بينما نجد الحضارة الحديثة ، حيث خلت عن الايمان بالله ، صار العلم في خدمة الظلم والاستعمار ، فمن مآت الملايين من الناس الذين يجوعون ، الى عشرات الملايين من الاطفال الذين يموتون جوعاً ومرضاً ، الى البلاد المستعمرة بكاملها ، الى الشعوب ذات مآت الملايين الذين يختنقون، الى أدوات الفتك الهائلة ، الى أدوات التعذيب القاسية ، الى غيرها ، وبالجملة العلم حيث تخلى عن الله ، صار في خدمة الظلم و الظالمين ، وآلة الفناء والدمار .

أما كيف يمكن نجاة العلم من الانحراف ، فذلك بمزجه بالخوف من الله وبذلك ينجو الانسان عن سيطرة رأس المال والديكتاتورية، واذا نجى الانسان من ذين،صار العلم آخذاً بالزمام، لا أن يكون مقوداً للاهواء والشهوات،ولذا قال رسول الله ﷺ : (أول العلم معرفة الجبار ، وآخر العلم تفويض الامر اليه) [(١)] .

وفي حديث آخر: (ليس العلم بكثرة التعلم ، وانما هو نور يقذفه الله في قلب من يشاء) .

بل وقبل ذلك قال سبحانه : « انما يخشى الله من عباده العلماء » [(٢)]

فالعالم ذو الخشية يستحيل ان يسخر علمه لضرر الناس، كما ان العلم بدون

---

(١) بحار الأنوار ج/١ ص ٢٢٥ .
(٢) سورة فاطر آية ٢٨ .

معرفة الجبار ، والذي لا ينتهي الــى التفويض اليه [بأن يعرف ان كل الامور صائرة اليه تعالى ، كما قال سبحانه : « الا الى الله تصير الامور »(١)] ليس بعلم ، كما انه ليس بنور ، اذ النور ينير لا انه يظلم ، وينجي لا انه يدمر .

---

(١) سورة الشورى آية ٥٣ .

كيف تتكون الشخصية؟

(مسألة ـ ٢٢ـ) الشخصية هي [انا]وهل هي تتكون؟ كما قال بذلك جمع من علماء الاجتماع ، أم هي شيء يولد مع الانسان وانما ينمو ، كما قال بـه آخرون ؟ وهل هو شيء واحد، أواثنان ، أو ثلاثة ،كما قال بكل ذلك جمع؟ احتمالات .

وفي الحديث: (من عرف نفسه فقد عرف ربـه)[(١)] قال جماعة فيه، انه كناية عن ان الانسان يستحيل أن يعرف نفسه، كما يستحيل أن يعرف ربـه ، وقال آخرون ان المراد بـه ان الانسان اذا التفت الى نفسه و انها مخلوقـة جاهلة عاجزة و . . عرف ان لها خالقاً عالماً قادراً و. . القائلون بأن [انا] لايولد، بل يتكون قالوا : بأن [أنا] عبارة عن جملـة من أعمال الفعل وردود الفعل التي يكتسبها الانسان في مسيره الطويل من الاسابيع الاولى من الولادة، الى آخر عمره، حيث ان [انا] : أي [الشخصية] لايولد، وانما بالتدريج يعرف الطفل انه غير انسان آخر، ثم تتبلور هذه الشخصية بملاحظة :

(١) عمل الناس تجاه الانسان .

(٢) وعمل الانسان تجاه نفسه أوتجاه الاخرين ، وتصورات الانسان عن نفسه وعن الاخرين أول مايشعر، مبهمة غاية الابهام ، ثم تأخذ في الوضوح، و

---

(١) بحار الأنوار ج/٢ ص ٣٢ .

الوضوح الاكثر، حتى تصل الى درجة الكمال ، حيث ليس فوقه كمال لكن الكنه يبقى مجهولا على كل حال .

ولذا قال أحد العلماء: ان معرفة كنه الاشياء من أشكل المشكلات، وقال آخر: انه مستحيل، ثم أردف ، انا قدعلمنا بعد دركنا لكل فنون العلوم : انه لم نعلم شيئاً .

لكن هذا القول لم يتم عليه دليل ، اذ الظهور تابع للواقع ـ كما قالوا بذلك في الحركة الجوهرية ، وان ظهور الحركة دليل على واقع الحركة في الجوهر ـ .. أما من قال بأن في الانسان [انا] و [انا] ،استدل بمايجده الشخص ، من نازع ينزع فيه الى الخير وينهى عن الشر، ونازع بالعكس ـ اذ الواحد لايصدر منه الا الواحد ـ و من قال بـ [انا] ثالث ،استدل بما يشاهد من حكم ثالث بين النفرين [انا ، وانا] لكن دليل كلا الرأيين ليس مقنعاً، وفى القرآن الحكيم: «ونفس وما سواها، فألهمها فجورها وتقواها»(١) .

وفي الحديث : (ان فى قلب الانسان لمتين لمـة من الملك واخرى من الشيطان)(٢) .

وفي حديث آخر، تفصيل وجود جنود العقل وجنود الجهل،(٣) وكيف كان فالمهم التكلم عن [الشخصية] مما يجدها كل انسان وهو مهم علم الاجتماع .

تكون شخصية الطفل

ان الطفل يلاحظ الاشياء حوله، بحواسه الخمسة ، سواء ماتفعل الطبيعة

---

(١) سورة الشمس آية ٧ .

(٢) الوسائل ج/١١ ص ٣٣٦ .

(٣) للتفصيل انظر بحار الأنوار ج/١ ص ١٥٨ .

أوالحيوان او الانسان ، سواء بالنسبة الى الطفل ، أوالى بعضهم البعض ،كما يلاحظ ردود الفعل لاعماله بالنسبة الى الطبيعة أوالحيوان والانسان :

١ ـ فمثلا : يرى الشمس والماء والشجر والمروحة والمصباح ، وينصدم بالهواء والحرارة، ويسمع الاصوات الطبيعية والحيوانية والانسانية .

٢ ـ ويرى معاملة بعض أفراد الحيوان للبعض الاخر،كالحيوانات الداجنة وبعض أفراد الانسان لبعض في التكلم والتعارف والمصارعة ونحوها .

٣ ـ كما يرى انـه اذا فعل فعلا صار رد الفعل كذا ، مثلا : اذا ذهب الى النار احترق، أوالى السلم سقط، أواذا بكى حملوه ، أوأطعموه، وهكذا، ثم انه يأخذ كل شيء ليراه جيداً ، ويدخله في فمه ليعرف مذاقه وهكذا .

فاذا عرف الاشياء ، يدخل تدريجاً في عالم الافكار ، أي يعرف ماوراء الاشياء، مثلا أولا: يرى الكبريت ، ثم بعد ذلك يشعر بأنـه اذا قدح شبت منه النار ، ويرى الدينار ثم يعرف انـه ذو قيمة ، وهكذا . . وبكل ذلـك تنمو شخصيته ، ولذا كانت الشخصية رهينة الافعال وردود الافعال المحيطة بـه فاذا حقّروا الطفل نشاء محـقّراً ذا عقدة، واذا عظموه نشاء كبيراً سمحاً، وقدرأى رسول الله صلى الله عليه وآله الحسن عليه السلام فقال: هذا سيد ابن سيد .[1]

وهكذا بالنسبة الى الكرم والبخل، والشجاعة والجبن، واللطف والخشونة والنظافـة والوساخة ، والادب وسوء الادب، وغيرها ، فان الملكات كالبذور تبذر في النفس ويعتني بها فتنموا من جنس ذلـك البذر الذي بذر فيها . . و بالجملة فالشبكات الاجتماعية الهائلـة تأخذ شيئاً فشيئاً تحيط بالطفل فعلا ورد فعل، وفي وسط تلك الشبكات تنمو ملكاته .

---

(١) بحار الأنوار ج/٤٣ ص ٢٩٥ .

بين الضمير والمجتمع

وحيث ان في الانسان حالة حكمية داخلية مما يسمى [برؤية الحسن و القبح] وحيث ان الاجتماع وليد ضغوط ونتائج حاصلة من تلك الضغوط ، بالاهم والمهم، والماضى والحال والمستقبل .

فميراث الماضي حيث يأخذالقدسية والعادة ، ومصالح الحاضر ، و الاستعداد للمستقبل .. وفي كل هذه الثلاثة [الاهم والمهم] يخلي المهممكانه للاهم، كما ان الاهم من الماضي يزاحم المهم في الحاضر، والاهمالمستقبلي يزاحم المهم في الماضي والحاضر] .

أقول : حيث كلذلك، تتكون عند الشخص [شخصيتان] : (١) شخصية ضميره . (٢) شخصية اجتماعه ، فاذا خلى ونفسه أو بأفراد عرفه الخاص ، الذين أطرت شخصياتهم شبيهة بالاخر، أظهر ضميره وتكلم وعمل بكلحرية أما اذا كان مع الاجتماع اضطر الى أن يتنازل الى شبكة الاجتماع حذراً من أن يفقد مصالحه ، وهذا ليس نفاقاً ، بل من باب ترجيح الاهم على المهم ، وهي قاعدة عقلية .

وهذا هو الفارق بين [النفاق] و [المداراة] فالاول انتهازية ووصولية ونفعية ، والثاني أهم ومهم ، ومصلحة واحترام الاخرين ، وقد ذم الله سبحانه الاول، قال : « ودوا لوتدهنفيدهنون »(١) وغيرها من الايات ، ومدح الثانيقال: « لتعارفوا »(٢) وغيرها من الايات .

---

(١) سورة القلم آية ٩ .

(٢) سورة الحجرات آية ١٣ .

وبالسبب السابق ضمير الشخص، واجتماعه بالاضافة الى الميول والشهوات الداخلية والضغوط الخارجية الاحيانية ، يتراوح الشخص في أفكاره وأعماله فربما صار مؤمناً ، وربما منافقاً ، وربمـا كافراً ، وكذلك ربما صحيح الفكر أو العمل ، وربما فاسدهما ، ولذا كانت الشخصية كثيراً ما متأرجحة بين عوامل أربع :

١ - ضميره المنعقد على حسن الحسن، وقبح القبيح .

٢ - شهواته وميوله الطاغية .

٣ - عرفه الخاص كحزبه وجمعيته .

٤ - عرف الاجتماع العام ، حيث تختلف موازينه عـن موازين العرف الخاص ، غالباً .

ومما تقدم ظهر ان الشخصية ليست محض انعكاس للمحيط الاجتماعي ، بل أمر مزيج من الذاتية والانعكاسات الاجتماعية وامور اخر ، فان كل هذه الامور دخيلة في تكوين الشخصية ، أما من يراهـا صرف الانعكاس للمحيط الاجتماعي ، ولذا يرى انه لو تغيـّر المحيط الاجتماعي تغيـّرت الشخصية ، فالدليل على خلافه ، فانه لو كان الامر كذلك ، لماذا كانت الازدواجيـة بين الضمير والخارج ، ولماذا يتغير الاجتماع تدريجاً ؟ الى غير ذلك .

مراحل تدرج الطفل

ثم ان الطفل في تقدم شخصيته يتدرج في مراحل ابتدائية أربـع :

١ - مرحلة التقليد للناس، حيث يعمل كما يعملون ، كأن يصلي مع أبيه و امه وغيرهما، أو يأخذ اللقمة كما يأخذون ، أو يتنحنح مثلهم الى غير ذلك.

٢ ـ مرحلة جعل نفسه مكانهم ، والنظر الى نفسه كما هم ينظرون اليه، مثلا يمثل نفسه بالام ، ويلاطف مع نفسه ، أو مع آلـة لعب صورت في صورة الطفل ، وبالاب ويأتي الى نفسه بالفواكه ، أو يهزّ نفسه كأن الاب أخذ يهزه، وشبه ذلك .

٣ ـ مرحلة اللعب الجماعي ، حيث تنتهي مرحلة اللعب الفردي ، وانما يلعب في شبكة من الارتباطات ، حيث يراقب دوره في اللعب ،ويلاحظ فشل و نجاح زملائه، ويكون حكماً في ان أي منهم خالف الدور ، أو زور في اللعب أو ما أشبه ذلك .

٤ ـ وأخيراً يصل الى مرتبة يأخذ تدريجاً في الخروج عن مرحلة الطفولة ويتكون في نفسه هدف في الحياة ،ويرفع بنفسه عن الالعاب الطفولية ، ويكون الزمان بنظره ابطؤ ، فان الزمان ـ كما قرر في محله ـ يختلف مروره بالنسبة الى الاشخاص، فمن في لذة يرى تقضي الزمان بالنسبة اليه سريعاً ، بينما من في الالم يرى الساعة عشر ساعات مثلا ، والمنتظر للصديق الحميـم يرى بطوء الزمان، بينما من ينتظر مكروهاً يرى سرعته ،وهكذا ،حتى قال بعض العلماء ان الزمان محله في ذهن الانسان لا في الخارج ، وكلما قرب الانسان الى الطفولة يرى بطوء الزمان ، فالساعة عند الطفل كنصف ساعة عند المراهق ، بينما هو ربع ساعة عند الشاب وهكذا .

تصورات الانسان عن نفسه

وحيث يتكون في نفس الطفل الذي أخذ في الكبر هدف ما، يقارن ذلك انه يأخذ في تقييم نفسه ، وفي هذه المرحلة ـ والتي تبقى الى آخر العمـر ـ يلاحظ أموراً :

١ ـ تصوره عن نفسه ، وانه كيف هو ؟ فان الانسان يزن نفسه عند نفسه، هل له وزن أم لا ؟ وكم وزنه ؟ وكيف وزنه ؟ وما هي مرتبته في الاجتماع ؟ الى غيرذلك .

٢ ـ تصوره انه كيف يكون عند الناس ؟ هل له وزن أم لا ؟ وكم وزنه ؟ وكيف وهكذا؟ فيجعل نفسه مكان الاخرين وينظر الىنفسه من منظارهم واذا كان يحيط به عرفان عرف عام ،وعرف خاص ،كما اذا كان في منظمةأوحزب أو جمعية أوما أشبه ، يلاحظ انه كيف عند هؤلاء ؟ وكيف عندهؤلاء؟وهكذا.

وغالباً يعدل الانسان طريقته الى ما يراه يوجب ارتفاعه عند العرفين ، واذا كان تعارض بين العرفين ، فغالباً يقدم عرفه الخاص ، لانه أقوى صلة و رابطة به ، ولذا يشاهد انه يتحمل مشاكل هذا العرف ضد العرف العام ، و قليل هم الذين يخرقون عرفهم الخاص ليلحقوا بركب العرف العام .

ولاجل التناقض بين العرفين ، وان العرف الخاص لابد وان يكون في المجتمع علناً أو سراً ، تحاول الحكومات الحازمة :

أ ـ اعطاء المجال لاعضاء العرف الخاص بالظهور، والاختلاط بالمجتمع لئلا يقعوا في قوقعة السرية ، حيث يتبع السر الانغلاق ثم العنف ، واضرار العنف بالاجتماع وبسمعة الحكومة اكثر من اعطاء المجال لاعضاء العرف الخاص بالظهور .

ب ـ ثم اذا كان العرف الخاص فيه طبيعة الهدم ، تحاول الحكومة سحب البساط [بالمغريات] من تحت أرجل ذلك العرف وان لم يكن فيه طبيعة الهدم تحاول الحكومات ترقيق مشاعر العرف الخاص باعطائه طلباته ـ حسب الامكان ـ وحل المشاكل بالتي هي أحسن .

وحيث ان الحكومات الديكتاتورية ، لاتتحلى بالحزم ، توقع نفسها

والمجتمع في مشاكل جمة ، وأخيراً يأتي دور المحاربة بينهـا وبين أعضاء الاعراف الخاصة ، فالمظاهرات والاضرابات وأخيراً القلاقل والفوضى ، و الثورة .

٣ ـ وأخيراً يأتي دورالمحاكمة ، فيتصور الطفل ـ المتقدم ـ في انه هل ان تصور الاخرين عنه ، صحيح أو باطل ؟ وينقسم الحال الى ثلاثة أقسام :

أ ـ أن يرى تصورهم صحيحاً .

ب ـ أن يرى انهم قد بخسوا حقه وانه فوق ما يتصورون عنه ، وهذاهو الغالب ، لان الانسان حيث يحب نفسه ، لا يرى أخطائه ونواقصه بينما يراها الناس ، فهو عند نفسه رفيع ، بينما يكون عند الناس وضيعـاً ، أو لا أقل من انه دون تصور نفسه ، ولذا ورد في الحديث : (احب اخواني من أهدى الي عيـوبي)[١] و (صديقـك من صدقـك لا من صدّقـك)[٢] و (يا صـالـح اتبـع من يبكيـك وهو لـك ناصـح ولا تتبع من يضحكـك) وهو لـك غاش[٣] (المؤمن مـرآة لأخيه المؤمن)[٤] .

ج ـ أن يرى انهم قدوضعوه فوق مستواه ، وهذا نادر ، وكثيراً مايكون ذلك وليد الديكتاتورية ، أو المال ، أو التزوير ، حيث يعلم الانسان بحال نفسه الا ان قوته أو ماله أو ريائه ، يجعل الناس يتصورونه ـ ولا أقل من اظهارهم ذلك ـ فوق ما يرى هو لنفسه .

ولذا نرى ان العظماء ـ حقيقة ـ يأبون من مدح أنفسهم ومن مدح الناس لهم وقد مدح الامام أمير المؤمنين عليه السلام بعض في وجهه ، فقال عليه السلام : (اللهم انك أعلم

---

(١) الوسائل ج/٨ ص ٤١٣ .
(٢) انظر غرر الحكم ص ٢١٥ ح ٣٩٦٧ .
(٣) وسائل الشيعة ج/٨ ص ٤١٣ .
(٤) نوادر الراوندي/٨ .

بي من نفسي، وانا أعلم بنفسي منهم . اللهم اجعلنا خيراً مما يظنون واغفر لنا مالا يعلمون)[١] .. وقد لقيه عند مسيره الى الشام دهاقين الانبار، فترجلوا له واشتدوا بين يديه ،فقال عليه السلام ماهذا الذي صنعتموه ؟ فقالوا : خلق منا نعظم به امرأنا ، فقال: (والله ماينتفع بهذا امرائكم، وانكم لتشقون على أنفسكم في دنياكم، وتشقون به في آخرتكم، وما أخسر المشقة ورائها العقاب ، وأربح الدعة معها الامان من النار)[٢] .

وقال عليه السلام: (كرهت أن يكون جال في ظنكم اني أحب الاطراء واستماع الثناء ، ولست بحمد الله كذلك، ولو كنت أحب أن يقال ذلك لتركته انحطاطاً له سبحانه عن تناول ماهو أحق به من العظمة والكبرياء ، وربما استحلى الناس الثناء بعد البلاء ، فلاتثنوا علي بجميل ثناء لاخراج نفسي الى الله سبحانه واليكم من التقية ، في حقوق لم أفرغ من ادائها ، وفرائض لابد من امضائها ، فلاتكلموني بما تكلم به الجبابرة ولاتتحفظوا مني بمايتحفظ به عند أهل البادرة ولاتخالطوني بالمصانعة)[٣] .

الشخصية الفردية والشخصية الاجتماعية

ثم ان الشخصية تطلق :

(١) أما على الفرد ، ويراد بها ماللفرد من الخصوصيات والصفات الظاهرة او الباطنة .

---

(١) نهج البلاغة /صالح/ ص ٤٨٥ .
(٢) نهج البلاغة /صالح/ ص ٤٧٥ .
(٣) نهج البلاغة /صالح/ ص ٣٣٥ .

(٢) وأما على الاجتماع ، ويراد بها ما يغلب على الاجتماع من الصفات الظاهرة والباطنة ، في قبال الاجتماع الاخر ، مثلايقال : ان الاجتماع الفلاني له الشخصيةالرفيعة ، لكونه كريماً نظيفاً محباً للخير، بخلاف الاجتماع الفلاني الاخر فله شخصية منحطة ، لعدم تحليه بالصفات الجميلة ، وفي التاريخ ان سبارطة كانت لها الشخصية الحربية ، بينما اثيناكانتلها الشخصية العلمية .

الشخصية : مادية ومعنوية

والشخصية فردية كانت أواجتماعية : أ ـ مادية . ب ـ معنوية . والثانية تنقسمالى: ١ ـ اعتبارية . ٢ ـ وانتزاعية . ٣ ـ وحقيقية .

أ ـ فالمادية هي المرتبطة بالاوليات المدركة بالحواس ، مثل مايحفظ الانسان فيخاطره، ومايظهره منالفعلورد الفعل عندالمسموعات والمنظورات والمشمومات ، والمذوقات والملموسات [مع العلم ان قوة اللامسة : تشمل ١ ـ الخشن واللين . ٢ ـ والرطوبة واليبوسة . ٣ ـ والحرارة والبرودة . ٤ ـ والاحجام ٥ ـ والعلووالهبوط ٦ ـ والمرغوبوغيره مثلالملامسة الزوجية]

فالشخص يكون قبال هـذه الامور في شبكة من الارتباطات ، وكذلك الاجتماع ، وكل ذلك يكون للفرد أوالاجتماع الشخصية المادية .

تغير الشخصية المادية

والشخصية المادية تتغير حسب تغير الامكانات أو المعارف ، فمثلا : من يرى النظافة أوالكرم أوتعليم الاولاد ، أوتزويج أولاده مبكراً اذا فقد الماءأو المال، تحول الىشخصية غيرنظيفة ، ولامضيافة ، ولايعلم أولاده ، ولايزوجهم مبكراً .

كل ذلك لعدم توفر الاسباب ، وان توفرت المعرفة لديه ، وهذه الحالة تعطي للشخص شخصية خاصة ، بينما اذا توفر الماء والمال تبدلت شخصيته الى خلاف تلك الشخصية، وهكذا حال المجتمع الفاقد والواجد . . ومثل ذلك الحال اذا تغيرت المعنويات، مثلا كان له المال ، لكن لم يكن له رأي في تزويج اولاده ، أو حفظ نسائه ، أو اكرام ضيوفه فان له حينئذ شخصية خاصة ، ولم تكن تلك الشخصية مستندة الى المادة ، وانما تستند الى معرفة خاصة ، فاذا تبدلت تلك المعرفة الى معرفة مضادة تبدلت الشخصية .

ولذا نرى ان الجاهليين عرباً وفرساً وروماً ، كانت لهم شخصيات خاصة، مثل السجدة للملوك ، واطاعة العلماء في الباطل ، وحظر التعليم ، وزواج المحارم، وفي الجزيرة قتل البنين والبنات خوف العار والاملاق ، والمقاتلة وشاع في الكل المعاقرة وقطع الرحم ، والانحراف الجنسي نساءاً ورجالا ، والى غير ذلك .

فلما غيرت معارفهم تحت لواء الاسلام، صارت لهم شخصية مخالفة لتلك الشخصية السابقة، وكذلك لما وفر عليهم الماء ووجب التطهر ، صاروا نظافاً، بعد ان كانوا من أوسخ الناس، وبقى الغرب في الوساخة، حتى ان بعضهم لما بلّطوا الشوارع وفتحوا الحمامات ـ في فرنسا ـ قال علمائهم : انهم تشبهوا بالكفار ـ أي المسلمين ـ وأغلقوا الحمامات وأرجعوا الشوارع كما كانت و كان مما اشتكى المسلمون ـ في حروب الصليبيين لهم ـ كثرة تعفن أبدان جيوش الصليب ، فلما دخلت الحضارة المادية الى تلك البلاد ، تغيّرت شخصيتهم .

وكذلك نرى الحال في التفرقة اللونية والعنصرية، وما أشبه ، فما دامت

التفرقة لاتكون مزاوجة ، ولامعاشرة، بل طائفة المنبوذين في الهند ، اذا أراد رئيس المعمل أو الاقطاعي اعطائهم اجرتهم وقف بحيث لايقع ظل المنبوذ عليه والا لتنجس، واعطى المال بواسطة، حتى لاتلمس يده يد المنبوذ، وفي امريكا البيض لايعاشرون السود، وكذلك القوميون لايتزاوجون مع آخرين، بل ولا يرثونهم ـ كما رأينا ذلك في بعض البلاد العربية المعاصرة أبان المد القومي ـ .

وكان شيء كثير من ذلك أبان الجاهلية ، فلما جاء الاسلام صار بلال الحبشي، وأبوذر العربي، وصهيب الرومي، وسلمان الفارسي، في صف واحد في كل الشئون، من غير فرق بين اللون، واللغة والقومية، والقطرية، في العبادة والمعاملة والزواج والعقوبات والعلم، وغير ذلك، بل قد صار ميزان المفاضلة [الايمان والعمل الصالح] فقط. ولم يكن ذلك الميزان سبباً للفصل في زواج أوعقوبة أومعاملة بل مجرد الاحترام والاجر في الاخرة ونحوهما .

اقسام الشخصية المعنوية

ب ـ الشخصية المعنوية :

١ ـ هي التي تحيط الشخص بالاعتباريات ، فيكون الفرد أوالجماعة في شبكة من امور غير عينية، وأما هي تكون باعتبار المعتبر، فاذا اعتبرها المعتبر كانت ، واذا ازالها أزالت، مثل ان [النقد الورقي] يقابل كذا من السعر أو المادة، بالاعتبار، فاذا اعتبره المعتبر (بأية درجة كالدينار ونصفه وربعه والدرهم) صار له اعتبار، واذا أزال اعتباره زال اعتباره .

والامور الاعتبارية جارية في المعاملات والحقوق، والحدود، والاحوال الشخصية وغيرها ، ولذا يتطور كل ذلك حسب تطور الاعتبار .

٢ ـ والتي تحيط الشخص بالانتزاعيات، والفرق بينها وبين الاعتباريات ان الانتزاعيات ليست بيد المعتبر، وانما هي حقائق لها واقع منتزع من أمر حقيقي ، مثل زوجية الاربعة ، والمناقضة بين الوجود والعدم ، والمضادة بين الاسود والابيض، والتضايف بأقسامه: «أ ـ المعاند، ب ـ وغير المعاند، ج ـ المتشابه، د ـ وغير المتشابه: كالفوق والتحت والعالم والمعلوم، والاخ والاخ والاب والابن» .

فان هذه الامور [الاعتبارية] أيضاً تحيط حول الشخص فرداً واجتماعاً، و تعطيه شخصية، مثلا : القطر ذو خمسين مليون فرد لـه شخصية [زوجية] بينما القطر ذو تسعة ملايين لـه شخصية فردية ، و القوم الذين يسكنون الجبال لهم شخصية فوقية [حسّية] على القوم الذين يسكنون السفوح، الى غير ذلك من الامثلة .

ولايخفى ان كلا من [الاعتبار] و [الانتزاع] له آثار، فليس مجرد [الفاظ] فاعتبار جواز الازدواج بأربع: يجعل كل النساء ذات زوج، بينما اعتبار عدم الجواز الا بواحدة ، يجعل كثيراً من النساء عوانس وأرامل . . والذين هم يسكنون الجبال أمنع عند المحاربة من الذين يسكنون السفوح وهكذا .

ومما تقدم ظهر، ان [الاعتبار] لابد له من [التواضع] وذلك يكون حسب المصالح ـ في نظر الواضعين ـ أما [الانتزاع] فانه حقيقة خفيفة ، ليس أمره بيد أحد ، والفرق بين الانتزاع والحقائق الاصيلة ، ان الانتزاع يستند الى الحقائق، وليس العكس، حالهما ـ ولامناقشة في المثال ـ حال الجوهر والعرض فالشكل مستند الى الذات، وليس العكس، ولاينافي ذلك ان الذات لاتخلو عن شكل ما قطعاً .

٣ ـ والتي تحيط الشخص بالحقائق، مثل واقع المبدء والمعاد، والرسالة والامامة، وغيرها فانها حقائق ـ ليست اعتبارية ولاانتزاعية ـ وانما هي تحيط بالشخص والاجتماع، فيعطهما [شخصية خاصة] من الاعتقاد، والامتثال وتلون [الافكار والاقوال والاعمال والسيرة] بها .

وانا لانريد بذلك ان كل شخصية لفرد أوامة ـ في اطار الحقائق ـ تطابق الواقع، بل نريد بيان: ان [الحقائق] أيضاً تعطي شبكة [الشخصية] سواءٍ وصل الاجتماع اليها فرتب الاثار على الحقائق، أولم يصل، بل اتخذ بدل [الواقع] [زيفاً] فرتب آثار الزيف مكان مايلزم عليه من ترتيب آثار الحقائق .

وليست الشخصية في الواقع والزيف متشابهة، الا من حيث الأسم، والا فالحقائق تعطي آثاراً، لايعطيها الزيف، مثلها مثل الماديات، فكما ان السراب لايروى، والحائط لايمكن النفوذ فيه، وان ظن المخدوع انه ماء وباب، كذلك تختلف آثار الحقائق المعنوية عن آثار الزيف ـ الذي ظنه الظان حقيقة ـ .

بل هكذا الحال في الانتزاعيات، والاعتباريات، فزيفها لايؤثر أثر الواقع منها، وان ظن الظان انه واقع، فمن ظن ان السيارة زوجية العجلات، بينما كانت فردية العجلات لم يحصل السيرلان الزوج يمكنها المشي لا الفرد، ومن ظن ان هذا الورق دينار، لم ينفعه ذلك، في اعطاءٍ كمية من المواد في قباله ـ اذا كان زيفاً لااعتبار له حقيقة ـ نعم قد يخدع الزيف، كما يخدع السراب الظمآن فيعطيه الإطمينان .

ومما تقدم ظهر، ان كلا من [الثقافة المادية] أي المرتبطة بالمادة، و [الثقافة المعنوية] أي المرتبطة بالحقائق غير المادة، من حقائق واقعية وحقائق انتزاعية وحقائق اعتبارية ـ والفارق بين الثقافتين، ان المادية تدرك بالحواس

الخمس، والمعنوية لاتدرك بها بل بالفكر ـ تؤطر الانسان في اطار خاص من الشخصية، سواء كان ذلك الانسان فرداً أوجماعة .

أما انه هل الاثر الاكثر للمادية أوللمعنوية فقداختلف فيه علماءالاجتماع بين مرجح للاول ، ومرجح للثاني، وقائل بالتساوي، وقائل بالتفصيل، فبعض الافراد أوالاجتماعات يتأثرون بالمادية، وبعضهم بالمعنوية أكثر وهكذا .

اجواء نموالشخصية

(مسألة ـ ٢٣ ـ) كيف يمكن انماءالشخصية الاجتماعيةحتى يصل الاجتماع الى شخصيته المطلوبة، أي القابلة؟ ان ذلك انما يكون في ظل انماء الشخصية الفردية، اذ الشخصية الاجتماعية عبارة اخرى عن تجمع الشخصيات الفردية ،انه لاشك في ان الاجتماع له شخصية غير شخصية كل فرد فرد، كما ان البحر له قوة غير قوة كل قطرة قطرة ، لكن بصورة عامة يتوقف الكيان الاجتماعي على الكيان الفردي ، سواء في الشخصية أوفي البحر والقطرة، أوفي الجيش والجندي، أوفي البناء والاجرة، أوفي الواحد والالف ـ من الاعداد ـ .

وعليه فاللازم ملاحظة انه كيف تنمو شخصية الفرد ـ ثم اذا كان للاجتماع بما هو اجتماع شرائط وآداب لنموه ، يلزم ملاحظة ذلك في مرتبة ثانية ـ و لدى الاستقراء والسبر يرى ان الشخصية الفردية انما تنمو في ظل كون [الحكم] و [العلم] و [المال] للجميع بأن يكون الناس يحكمون أنفسهم بانفسهم، وكل يتمكن من العلم تمكنه من الماء والهواء، وكل له نتيجة سعيه الفكري والجسدي، بالاضافة الى [قيمة المواد، وماله من الشرائط والعلاقات الاجتماعية] .

وفي مثل هذا الجو [لكل قدر استحقاقه من الحكم والعلم والمال] تنمو الشخصيات نمواً ممكناً ، وقد كان قبل الاسلام كل من الثلاثة محتكرة على طائفة الحكام ، وحتى ان العلم كان محظوراً الا للموبذ ـ في ايران ـ و

الكنيسة ــ في الرومان ــ وجاء الاسلام ليعطي لكل حقه، ولكن الى الان لم تقدر الدنيا على ذلك، حيث انالعلم محروم منه الطبقات الفقيرة ــ كماتقدم في مسألة سابقة ــ .

و الحكم في الغرب تحت سيطرة المال ، وفي الشرق تحت سيطرة الديكتاتور .. والمال يستغل في الغرب لمصلحة الرأسماليين، وفي الشرق لمصلحة الحكام .. وليس المراد بكون الحكم للجميع الا [الاستشارية] الصحيحة ــ مع لزوم أن يكون بالشرائط الاسلامية، كما هوعقيدة المسلم ــ .

ولايمكن اخراج الحكم والمال والعلم عن السيطرة الفردية ، والاحتكار الى التوزيع العادل بين الجميع ، الابتوزيع القدرة ، فقد قال الامام أمير المؤمنين عليهالسلام : (من ملك استأثر) (١) وتوزيع القدرة لايمكن الا بالوعي الجماهيري بأن يعرف الكل كم حق كل أحد من العلم والمال والحكم .

فاذا وعى الجميع لايتمكن المستثمرون من استثمار علم أو مالأو حكم غيرهم ،كما هو الحال في عالم اليوم وان اختلفت البلاد في شدة الاستثمار وضعفه ، نتيجة لكثرة الوعي ــ في الجملة ــ فيبعض البلاد وقلته في بعض البلاد الاخر .

فاذا وعى الجميع، تبع ذلك تشكل المنظمات الحافظة للمكاسب ، والمنمية لها ، أما المنظمة الواحدة فهي عبارة اخرى عن الديكتاتورية ، كما نشاهد ذلك في البلاد التي يحكم فيها حزب واحد ، فـان الانسان أقرب شيء الى الديكتاتورية والفردية .

---

(١) تحف العقول ص ١٥ .

طبيعة الحكم الدكتاتورى

ومن طبيعة الديكتاتورية :

١ ـ السرية في العمل ، حيث ان الديكتاتور دائماً متآمر يريد بذلك أن يحفظ قدسه أمام الناس ، فيعمل في السر مايظهر في العلن خلافه .

٢ ـ اظهار انه العامل الوحيد في الساحة وان كل الفضل يرجع اليه .

٣ ـ تنفيذ آرائه فقط ، أما غيره فرأيه غير صحيح ، فهو فرد الله المختار الذي يفهم مالايفهمه غيره .

٤ ـ استئثاره بكل الغنائم ، اي ان كل السمعة، و كل الدعاية ، و كل الخير له فقط ، أما من عداه فله بقدر ماتفضل عليه الدكتاتور تفضلا محضاً واحساناً صرفاً ، فقد يجعل خيرة الاموال لنفسه وجماعته ملكاً صرفاً ، وقد لايجرء على ذلك ، بل يحوط الاموال لصرفها في هواه ـ وان سمى ذلك بألف اسم آخر ـ ولافرق في الديكتاتورية بين الصريحة ، أوالملتوية تحت صورة [مجلس الامة أو مجلس القيادة ، أو مجلس الشعب] أو غير ذلك ، وقـد شاهد العالم أمثلة واضحة لذلك في ستالين وهتلر وموسيليني وماو ، واضرابهم من الديكتاتوريين الاصغر منهم حجماً ، وان كانوا مثلهم في كل الخصوصيات .

ومماتقدم ظهر انه لو نظم المجتمع تنظيماً صحيحاً ، بحيث يكون العلم والمال والحكم في متناول الجميع بمايستحقون، نمت الشخصية الاجتماعية نمواً صحيحاً، بالعكس من المجتمع المبني على الفوضى ، حيث كل أحد يحاول ان يحفظ نفسه بالقدر المستطاع فلا مجال له للنمو ، ومن المجتمع المبني على الديكتاتورية ، حيث ان البناء الديكتاتورى يمنع عن النمو .

اختلاف النفسيات

وكما ان البذور مختلفة ـ فاذا وجدت المناخ المناسب نمت كل بذرة بما فطر لها، من الاشكال والالوان والطعوم وغيرذلك ،كذلك أفراد الاجتماع بصفاتهم المختلفة ، وقد قسم بعض علماء الاجتماع أفراد الاجتماع الى أربعة اقسام هي :

١ ـ الهادىء ، حيث يرجح التعقل والتفكر والتأني والتروي .

٢ ـ المتحمس حيث يرجح الاقدام والاقتحام والاستهانة بالمخاطر .

٣ ـ المنسجم الذي يميل الى الانسجام والمداراة .

٤ ـ المتنفر الذي يميل الى الانفصام والابتعاد .

ولا يخفى ان الصفات المذكورة تكمل بعضها البعض الاخر ،ولذا يشاهد ان الجمعية المركبة من القسمين الاولين،يمنع هادئها متحمسها من الافراط كما يمنع متحمسها هادئها عن الركود ، وتكون النتيجة الاقدام العقلائي ، وكذلك في جمعية تجمع بين المنسجم والمتنفر ، وهكذا بالنسبة الى بقية أقسام ضرب الاربعة بعضها في بعض .

ومع انا نرى في عائلة واحدة قسمين أو أقساما من الاولاد، الا ان التربية لها أثر فعال في تلوين المجتمع ، بأحد الالوان المذكورة ، أو المزيج المتوسط منها ، فبعض الامم يربون على التعقل والتأني ، بينما بعض آخر يربون على الاقدام والاندفاع ، وهكذا . .ولذا اشتهر ان شعب العراق له صفة كذا ، وشعب ايران له صفة كذا ،والاسويين ليسوا في صفاتهم كالافريقيين وتختلف سمات الامريكيين عن الاوربيين ، وهكذا .

ثم انه ليست حدود خاصة بين الاقسام المذكورة ، حتى تكون التمايز كلياً ، ولذا يشاهد في امة لها شخصية خاصة ، افراد لهم شخصية متوسطة أو

مخالفة وانماهم عالم الاجتماع ، ملاحظة الاعم الاغلب .

الاهتمام بالتربية والتثقيف

وحيث ان كثيراً من الشخصية الفردية والاجتماعية ،يتوقف على اسلوب التربية والتثقيف ، فاللازم على الذين يريدون اصلاح المجتمعات الاهتمام بهذا الجانب ، فان ظهور الشخصية ـ حسب التأديب ـ وان كان بطيئاً ، الا انه نواة لابد وان يظهر ثمرها ، ولو بعد حين، ولافرق في ذلك بين تأديب الانسان نفسه ، أو أولاده ، أو أقربائه ، أو من يتمكن عليه من أفراد مجتمعه .

قال علي عليه السلام : (سوء الادب سبب كل شر) [١] .

وقال عليه السلام : (أفضل الاعمال ما اكرهت نفسك عليه) [٢] .

وقال عليه السلام : (لاميراث كالادب) [٣] .

وقال عليه السلام : (أيها النـاس تولوا من أنفسكم تأديبها ، واعدلوا بها عن ضراوة عاداتها) [٤] .

وقال عليه السلام : (غاية الادب ان يستحي الانسان عن نفسه) [٥] .

وقال عليه السلام : (لاتقروا أولادكم على آدابكم فانهـم مخلوقون لزمان غير زمانكم) [٦] .

أقول : فان ذلك من بعد المدى ، حيث يجب ان يؤدب الانسـان ولده اجتماعياً ، بحيث يقدر على ان يساير الاجتماع، في نطاق الاحكام الاسلامية.

---

(١) شرح نهج البلاغة ج/ ٢٠ رقم ٢٢ ص ٢٥٨ .

(٢) نهج البلاغة /صالح/ ص ٥١١ .

(٣) نهج البلاغة /صالح/ ص ٤٧٨ .

(٤) نهج البلاغة /صالح/ ص ٥٣٨ .

(٥) شرح نهج البلاغة ج/ ٢٠ رقم ٩٠ ص ٢٦٥ .

(٦) شرح نهج البلاغة ج/ ٢٠ كلمة رقم ١٠٢ ص ٢٦٧ .

وقال عليه السلام: (المرآة التي ينظر الانسان فيها الى اخلاقه هي الناس، لانه يرى محاسنه من أوليائه منهم، ومساوئه من اعدائه فيهم)[1]. الى غيرها.

ولا يخفى، ان المجتمع كلما كان أكبر، كان أقرب الى القوام والاعتدال لان العناصر المختلفة التي تصب فيه بثقافاتها المختلفة توجب تلون الاجتماع باللون الانصع، فان من طبيعة الانسان ان ينظر الى الاعلى فيتخذه اسوة، وان يسعى بمثل سعي الاكثر سعياً لئلا يفوته الركب.

ولذا كان من صفات المجتمعات الكبيرة:

١ - وجود المحاسن فيها.

٢ - اقترابها بمجموعها الى الاعتدال.

٣ - سرعتها في السير والتقدم الى الامام.

فانه وان كانت المشاكل في مثل هذه المجتمعات أكثر، الا ان محاسنها أكثر من مساوئها، ولذا أمر علي عليه السلام: بسكنى المدن الكبار، وكان المجتمع الكبير من أحسن أسباب اعطاء [الشخصية] المعتدلة للانسان، فرداً أو جماعة أو مجتمعاً.

عوامل صياغة الشخصية الفردية

ثم ان الشخصية الفردية ـ والتي تؤثر بالاخرة في شخصية الاجتماع ـ انما تصاغ بسبب العوامل التالية:

١ ـ الصفات النفسية

١ - الصفات النفسية الفطرية المودعة في نفس الفرد منذ الولادة، ولذا

---

(١) شرح نهج البلاغة ج/٢٠ رقم ١٢٨ ص ٢٧١ .

نشاهد طفلين شرائطهما متحدة من جميع الحيثيات ، ومع ذلك احدهما اجرء من الاخر ، أو اكرم ، أو اذكى ، أو ما اشبه ذلك .

وقدثبت علمياً ، ان صفات الابوين ، بل الاقرباء كالعم والخال ، وحالتهما عند انعقاد النطفة ، وخصوصيات غذاء الام حال الحمل ، بل وبعض جهاتها الاخر ، لها مدخلية في نفسية الطفل ، وفي الفقه : [باب النكاح] فصل الاولاد ، روايات بهذا الشأن .

٢ ـ الخصوصيات الجسدية

٢ ـ خصوصياته الجسمية ، من طول وقصر ، وجمال وقبح ، وكمال ونقص ، وصحة ومرض ، وماأشبه فانها سهيم في تكون الشخصية ، مثلا القصر غير المتعارف أو الطول غير المتعارف ، يسببان تحقير الناس له [وان كان التحقير غير صحيح] والتحقير يسبب عقدة نفسية في الانسان ، ممايسبب له شخصية معقدة يظهر اثرها في أعماله .

بالعكس الجميل يحظى باحترام الناس ، مما يسبب له عدم الانطوائية ، وحفظ احترام نفسه ، لئلايخيب ظن الناس فيه ، وقد ورد : (ان الله جميل يحب الجمال)[١] ، وورد : اتخاذ الظئر الجميل للرضاع لان اللبن يعدى وورد : (خير نساءِ امتي أصبحن وجهاً واقلهن مهراً)[٢]

وحال القبيح ، والناقص ، والمريض ، حال القصير والطويل . . بالاضافة الى ان المريض أو الناقص لايقدران على مايقدر عليه الصحيح والكامل ، وكل

---

(١) أصول الكافي ج/٢ ص ١٦٤ .

(٢) مكارم الأخلاق ص ١٩٨ .

ذلك يعطي للانسان شخصية مناسبة لتلك الظواهر .

٣ ـ المحيط الطبيعى

٣ ـ كون الفرد ريفياً أومدنياً، يعيش في ساحل البحر، أوالغابة ، أوالجبل أوغيرها ، وذلك لان المناخ يعطي للانسان شخصية خاصة ـ كماتقدم في بعض المسائل السابقة الالماع الى مثل ذلك، مثلا : الريفى أصرح من المدني ، والذي يعيش في الغابة اشجع من غيره .. ومن هذا المنطق كانت عادة قريش ـ قبل الاسلام ـ ايداع أولادهم الرضع الى المراضع البدوية لينشائوا شجعاناً فصحاء صرحاء اصحاء الجسم، وكما قال علي عليه السلام : (فان الشجرة البرية أصلب عوداً ، وأكثر وقوداً وابطؤ خموداً)[1] .

٤ ـ الوضع المعيشى

(٤) انه عاش في طبقة فقيرة أو غنية أومتوسطة :

أ ـ فالفقيرة ، ترضع الامهات أولادها طويلا ، ويتعلم الولد على حياة الخشونة ،وحيث ان للفقير روابط قليلة ، يخرج الولد بشخصية جسورة صريحة بسيطة . . . بينما العكس من كل ذلك أولاد الطبقة الغنية . . . أما المتوسطة فالاولاد يكونون بين الامرين .

ب ـ حيث ان الطبقة الفقيرة تعمل دائماً لاجل المعاش ، لايتسرب الى أولادها مسائل المعاشقة والامور غير المشروعة ، مما يكون سببها [الفراغ و الجدة]بالعكس من أولاد الاغنياء المنحرفين ، حيث يتوفر لهم [ذان الامران] بتوابعهما .

---

(١) نهج البلاغة /صالح/ ص ٤١٨ .

ج ـ سهولة الحياة عند الطبقة الفقيرة ، بخلاف الطبقة الغنية ، حيث ان قلـة المادة والاشتغال بالمعاش يمنـع الفقير ، من اين يركم على نفسه اغلال الحياة ، من رسوم الزواج والولادة والموت ، وغير ذلك مما تلازم حياة الغنى والدعة في الغالب ، وكذلك الحال فـي المسكن والملبس والمركب والسفر والمرض ، وغير ذلك .

د ـ يغلب في الطبقة الفقيرة الاقدام والافراط ، فيمـا الغالب في الطبقة الغنية العكس ، وذلك لان الروابط التي تحيط الفقير أقل ، ولاامال ولاجاه له حتى يلاحظهما في سلوكه ، بينما كل ذلك بالعكس في الطبقة الغنية .

وعليه فالطبقة الغنية لهم شخصية خاصة ، ليست كشخصية الطبقة الفقيرة ، والطبقة المتوسطة تعيش بين الطبقتين في الشخصية .

٥ ـ العمل الاجتماعي

(٥) بعـد ذلك يأتي دور الشغل ، فـان الاشغال المختلفة تعطي للانسان شخصيات متفاوتة ، فالمرجع الديني ، والخطيب ، والقاضي ، والمعلم ، لهم شخصية خاصـة ، لاتماثل شخصية الجندي ، والتاجر ، والموظف ، وما الـى ذلك والسبب ان العمل في نفسه ، والمرتبطين بأي عامل عامل ، يتطلبان نوعية خاصة ، فاللازم ان يصب العامل ـ مـن أي لون عمل ـ نفسه في قالب ذلك الكيفية من الطلب ، والالم يتمكن من انجاح عمله .

ومنه يعلم ، اختلاف الشخصيات، ولوكانوا في اطارعام واحد ،كالمرجع والخطيب ، بل ومدرس الابتدائية والثانوية والجامعة .

٦ - **التعليم**

(٦) وأخيراً يأتي دور التعليم بشعبه :

أ ـ البيتي .

ب ـ والمدرسى .

ج ـ والاجتماعى الصغير .

د ـ والاجتماعى الكبير ، حيث ان العائلة مدرسة للاطفال ، يتعلمون فيها كثيراً من الاداب والرسوم ، ثم المدرسة تعطي التوجيهات ، واذاكان الانسان منضماً الىجماعة : كقومية ، أودين، أومنظمة، أوحزب ، أوماشبه ، تعلم منهم اموراً ، ليست كسائر التعاليم السابقة ، وأخيراً يأتي دور مايتعلمه الانسان من الاجتماع العام .

وهذه الامور كلها تعطي الشخص كيفية خاصة من [الشخصية] .

ولايخفى، ان بعض الامور المذكورةالتيلها مدخلية في اضفاء الشخصية على الفرد، أكثر نفوذاً في الشخص منالبعض الاخر، مما تكون [شخصية] الشخص مستندة اليه بنسبة أعلى مناستنادها الى أمرآخر، مثلا: النفوذالبيتي والمدرسي، أثرهما أكثر من النفوذ الاجتماعي والحزبي .

والسر ان الطفل صفحة بيضاء، فكلما نقش فيها تلونت تلك الصفحةبذلك اللون ، فاذا جاء لونآخر يريد ازالة ذلك اللون السابق ، لم ينفذكنفوذاللون السابق ، فيبقـى اللون الجديد باهتاً ، بينما اللون القديم يبقى قاتمـاً ، هذا بالاضافة الى أن تقبل الطفل أكثر وأسرع من تقبل غيره ، وان لم يكناللون الجديد مضاداً للون القديم ، ولذا يبقى لون العائلة والمدرسة فىنفسالانسان وفياسلوبحياتهالىزمان موته ، بينماليس كذلك لون حزبه واجتماعهالكبير.

اختلاف الاستجابة للمؤثرات

ثم لا يخفى ان استجابة الناس ـ أطفالا ، أو كباراً ـ للالوان التي يراد أضفائها على النفس والسلوك ، مما بالاخرة تعطي [الشخصية] مختلفة، وذلك لان الانفس فطرت متفاوتة ، كما ان الشخصيات تتفاوت في قدر تقبل اللون الجديد والمدة التي يحتاج اليها الشخص حتى يتهيأ للتقبل .

مثله ، مثل الماء الواحد،الذي يلمسه ثلاثة أفراد ، فيحس كل واحد منهم بحس مخالف للحس الاخر ، فاذا كان [ماء فاتر] و [كان ثلاثة أشخاص] أحدهم خرج من الماء البارد ، والاخر من الماء الحار ، والثالث من الماء الفاتر، فاذا دخل الثلاثة في هذا [الماء الفاتر] وجده الاول حاراً ، والثاني بارداً ، والثالث فاتراً، وليس ذلك لاختلاف الماء ، وانما لاختلاف الاستجابة.

وقد فحص جماعة من علماء الاجتماع كيفية تكون [الشخصية] فوجدوا ان في مأة عائلة يتقولب الاطفال بأخلاق أبويهم [٥٥] وبأخلاق أصدقائهم [٣٣] وبأخلاق المرشدين [٩] وبأخلاق المعلمين [٣] وهذه النسب وان كانت مشكوكة ، الا ان المسلم أكثرية تأثير العائلة ، ثم الاصدقاء، وقد ورد(المرء على دين خليله).

كما ان مثل هذا الاحصاء لايصدق الا في الظروف العادية ، فاذا كانت العائلة في فوضى واضطراب ، وكان الاصدقاء في تضامن وبناء ، صار العكس بأن تقولبت شخصية الاولاد بقوالب الاصدقاء لابقوالب العائلة .

التخطيط لانماء الشخصية

والاجتماع بشلاله الهادر قادر على الاستفادة من[مادة الشخصية] أكبر قدر

من الاستفادة ،كماانه بالعكس قادر على الزام [الشخصية القابلة] زاويةالعزلة والانزواء ، ولذا كان على المخططيـن الاجتماعيين تنظيم الاجتماع ، بحيث تكون الشخصيات الرفيعة ، وبحيث يستفيدمن [المواد] ومن الشخصياتالى آخر قطرة من الاستفادة الممكنة . . ولايمكن ذلك الا بحرية [العلم والمال والحكم]كما ذكرناه في أول المسألة ، والله المستعان .

وممـا تقدم ظهر ان الاجتماع يربى الافراد تربية عامة ، حسب اتجـاه الاجتماع ، محارباً أو مسالماً ، عاملا أو عاطلا ،كريمـاً أو بخيلا ، جباناً أو شجاعاً .

التوجيه السليم لصفات الامة

وحيث ان بعض الصفات يمكن استخدامها في الصحيح ، أو في الباطل فالمصلح القدير هو الذي يتمكن من توجيه الصفة التي تستخـدم في الباطل في الامر الصحيح ، مثلا : اذا كانت الامة مسرفة في الصـرف على الولادة ، والزواج والاموات ، أمكن صرف صفتها الانفاقيـة ـ والتي تصرف باسراف في الامور المذكورة ـ في المشاريع الخيـرية ، كالمدارس ، والمساجد و المستوصفات وما أشبه .

والنبي ﷺ استفاد من هذه القاعدة الالهية ، فقد كانت القبائل العـربية تصرف طاقة شجـاعية هائلة في محاربة بعضها لبعض ، فصرفها الرسول ﷺ في محاربة الخارج ، لاجل اعلاءكلمة الله وانقاذ المستضعفين ،كمـا صرف ﷺ اسرافهم في انفاقات كانوا يسمونها كرمـاً في اعطاء الحقوق الشرعية ، والصرف في سبيل الجهاد ، وصرف قريحتهم البليغة وفصاحتهـم الشعرية و النثرية في الارشاد والبلاغة .

فبينما كانت تصرف القريحة الشعرية في :

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

صرفها الرسول ﷺ في :

يناديهم يوم الغدير نبيهم بخم واسمع بالرسول ﷺ منادياً

الى غير ذلك ، وبينما كان العربي يقتل العربي في سبيل ناقة ، في حرب البسوس ، أخـذ المسلم يجالد الفرس والروم في سبيل [الحقيقـة] عوض الخرافة ، وفي سبيل نشر العلم بعد ان كان محتكراً عند الاشراف ، وهكذا .

واذا كانت بعض الامـم تفقد الصفـة الخيرة ، فاللازم على المصلـح ، ارشادهم الى فطرتهم المطوية على تلك الصفة . . كما ان اللازم على المصلح صرف الصفة المنحرفة ، مـن أوليات رغبات الانسان في الجهة المستقيمة ، مثل امة تصرف شهواتها في الشذوذ والانحـراف الجنسي ، حيث ان اللازم توجيههم نحو صرفها « في ما خلق لكم ربكم »[١] ـ كما قاله لوط عليه السلام لقومه .

فان الفـرد كالمجتمع أرض قابلة لمختلف الزرع ، فاللازم زرع الطيب فيها ان كانت قفراء، وان كانت مزروعة بالزرع السيء ،لزم اقتلاع ذاك الزرع وزرع الطيب مكانه ، ولذا قدم القرآن الحكيم التزكية .

قال سبحانه : « هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة »[٢] .

فالانسان هو الانسان ، وانما الاختلاف بظهور الصفات والكوامن، مثلا المرأة في كل عصر ومصر هي المرأة ، وان كانت عاراً في امة ، وسيدة في امة ، ومربية في امة ، واداة شهوة في امة ، وهكذا .

---

(١) سورة الشعراء آية ١٦٦ .

(٢) سورة الجمعة آية ٢ .

انحراف الشخصية

(مسألة ـ ٢٤ ـ) لكل شيء واقع ، وقد يكون ذلك الواقع ذا مصاديق فالكلي واقع ، والجزئيات مصاديق متساوية بالنسبة الى ذلك الواقع الكلي ، مثلا : الواقع بالنسبة الى الامة ان تصرف مالها في تقدمها ، لكن هذا التقدم يمكن أن يكون في سبيل تكثير الزراعة ، ويمكن أن يكون في سبيل تكثير الصناعة ـ اذا لم يكن أحدهما أهم ـ والواقع لايختلف في امة عن امة ، و انما الاختلاف في أمرين :

١ ـ أخذ احداهما مصداقاً ، والاخرى مصداقاً آخر .

٢ ـ استقامة احداهما وانحراف الاخرى، وقد تكون كلتاهما في انحراف اذ الواقع واحد والانحراف كثير .

ثم اذا خالف الفرد الاجتماع في مسيره :

١ ـ فان كانت المخالفة عابرة لم يعتن الاجتماع بخلافه .

٢ ـ أما اذا كانت المخالفة مستمرة سمي المخالف [منحرفاً] .

الانحراف ليس قدراً

وقد كان في القرون الوسطى ، وجماعة من المسلمين في حاشية الخلفاء ينظرون الى الانحراف ، كأنه قدر محتوم و قضاء لازم ، ويضمون الى ذلك ان القضاء والقدر لا تبديل له، و كانوا يؤيدون ذلك بآيات وروايات خصوصاً

اذا كان المخالف المنحرف من طبقة الحكام فكان من اسباب ذلك طبع أذهان جماعة من العامة على ان المستقبل بيد الله فلا يمكن تغييره عما كتب ، حتى قال شاعرهم :

جرى قلم القضاء بما يكون فسيّان التحرك والسكـون

بل أبعد النزع بعضهم، حيث قال في أشعار له :

[اني اشرب الخمر وكل من كان مثلي في التأهل العلمي]

[رأى في شربـي الخمر أمراً سهـلا]

[و ذلك لان الله كان يعلم شربي للخمر]

[فاذا لم اشرب تبدل علم الله جهلا] .

فالمستقبل، بل وكل عمل الانسان تقدير لابد منـه، والى مثل هذا التفكر يعزى كثير من تأخر المسلمين، حيث منع ذلك عن التخطيط للمستقبل .

بينما كان الاسلام أمر بالعكس من اعداد العدة، وبعد المدى، قال سبحانه: «واعدوا لهم ماأستطعتم من قوة» (١) .

ووصف علياً عليه السلام بعض أصحابه فقال: (كان بعيد المدى) (٢) .

وقد أجاب بعض العلماء ذلك الشاعر قائلا :

[ان هذا الكلام لايقوله من كان من أهل العلم]

[اذ جواب كلامـه سهل]

[فان جعل علم الله تعالى علة للعصيان]

[في غايـة الجهل عند العقلاء]

---

(١) سورة الأنفال آية ٦٠ .

(٢) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة ج/٣ ص ١٩٩ .

بل كان عند بعض الاقوام بعض الانحرافات الناشئة عن المرض [كالصرع] علامة السيادة والكبر، حتى كان بعض الانتهازيين يتصنع الصرع ليحوز هذا المقام .

انحراف الحكام

أما انحراف الحكام فقد كان مما لا مرّد له ، اذ الشرعية كانت تستمد من مصادر ثلاثة :

١ ـ الوراثة كما كان خلفاء بني امية والعباس وعثمان يصلون الى الحكم من هذا الطريق [في غير رئيس السلسلة] ومثل هذه الشرعية باقية الى الان في بعض بلاد الاسلام .

٢ ـ الثورة حيث ان الذي قدر ان يجمع السلاح والرجال كان يثور، فاذا استولى كانت له الشرعية ، كما في أول كل سلسلة من غالب الحكام الوراثيين .

ومن الواضح، ان السند لو كان الارث، أوالسلاح كانت النتيجة تسلم المنحرفين اريكة الحكم، وبعد ذلك يفعلون مايشاؤون ، حتى ان بعضهم كان يخاطب :

[ماشاءت لاماشائت الاقدار] [فأحكم فانت الواحد القهار]

ويقال في آخر: (والان صرت الى امية والامور لها مصاير) .

(٣) أما الامر المشروع الذي قاله الاسلام، وألمع اليه العقل، فهوالحكم الانتخابي، لمن له المؤهلات، ثم يعزل بمجرد ان فقد ولومؤهلا وآخذاً من تلك المؤهلات قال سبحانه : «امرهم شورى»(١) وقال عليه السلام: (ان يختاروا) كما

---

(١) سورة الشورى آية ٢٨ .

ذكرنا تفصيله في كتابي: [السياسة، والحكم] .

لا ... لفردية الحكام

ثم اذا توفرت المؤهلات، وانتخب الحاكم، فالقرار لايمكن ان يصدره الحاكم بمفرده، ولا مع جماعة من الافراد، بل بتعديل من مراكز القوى التي هي عبارة عن خيرة الشعب الذين اختاروا الحاكم ، فان الدولة ليست لعبة صماء، تتحرك في الفراغ وتعمل حسب أهوائها وشهواتها، ومنافعها، وانما هي كائن حي مرتبط بجميع أفراد الامة بوجه أوبآخر، تتفق تلك المراكز بعضها مع بعض في المصلحة، وتتعارض بعضها مع بعض مما يتقدم في الرأي أكثرهم في المؤهلات .

ولذا قالوا لايوجد في السياسة صداقة دائمة ولا عداوة دائمة، بل ملاحظة الاصلح الدائم ، وهذا مايسمى في الفقه بقاعدة الاهم والمهم، والسلطة قمة عالية جداً ضيقة ، مليئة اطرافها بالاشواك والحبائل والفخاخ ، فلاينالها الا الاقوى الاصلح الاكثر حزماً ، و بمجرد أن نالها تتحرك القوى المناوئة و الصديقة ضدها، الاولى لاسقاطها، والثانية لتحريفها حتى تستفيد منها أكبرقدر من الاستفادة، فأي خطأ في محاربة الاولى، ومحاباة الثانية ، توجب الاسقاط المفضوح، ولذاكانت السلطة ، قبل الوصول اليها ثم البقاء فيها بحاجة الى القوة والصلاح والحزم .

و لهذا السبب [البقاء لايكون الا بالتوازن بين مراكز القوى] يكون الانحراف في السلطة ـ بعد الوصول ـ مساوقاً للسقوط ، كماكان الوصول اليها من المنحرف يساوق الاستحالة :

١ - فالاحساس الشخصي بأن القرار ضرورة .

٢ - والانفعال الشخصي والايحاء الذاتي .

٣ - وصداقة الحاكم مع شخص أوجهة فياصداره القرار وعدماصداره أوعداوته كذلك في اصدار القرار أوعدم اصداره .

٤ - و اعلان الحرب و السلام و المعاهدة و شروط ايهما بمجرد رأى الحاكم .

٥ - والاعتباطية فيالصداقة والعداوة لانها تابعة لمزاج الحاكم و كذلك الاعتباطية في ابقاء الصديق صديقاً والعدو عدواً .

٦ - وتبدل الاتجاهات السياسية و الاقتصادية والاجتماعية وما الى ذلك بتبدل الحاكم - بل وحتى بتبدل أنظمة الحكم - الى غيرذلك .

لايمكن أن يكون المبرر للقرار والعمل للقمة .. ان هذه الامور وان كان يعملها الوارث السلطة ، اذا كان منحرفاً ، أو الحاكم الذي أتى بالانقلاب العسكري ، الا ان ذلك يوجب تزلزل حكمه والانزجار العام حتى السقوط المشين ، بالعكس من الحكم الانتخابي حيث لايجد الانحراف اليه سبيلا، وانما ينزل عن كرسي الحكم اذا انتهت مدته ويكون حاله بعد السلطة كحاله قبلها - بتفاوت - الا اذا انحرف حيث يكون حاله حال الانقلابي والوراثي يسقط بفضيحة .

موقف المجتمع من الانحراف

وكيف كان (فانحراف الشخصية) :

١ - قد يكون انحرافاً ملائماً للاجتماع ، حيث يراه الاجتماع انحرافاً

لكنه يرى انه لابد من مثله، بل قد يوضع القانون لاجله، من جهة انالاجتماع يرى جعل المنحرف في دائرةخاصة أفضل من تسييبه ، مثل عادة شرب المسكر أو استعمال المخدر، أو اجازة الشذوذ الجنسي في كلا الجنسين، وما أشبه [هذا وان كان في الاسلام خطاءاً كبيراً، ويرى الاسلام منعه أهم من النفع المتوهم له ، وقد قال سبحانه : « قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما» ..[1]] الا ان جملة من الامم لمتدرك أهمية الترك ، أوادركت ولكن لاعلاج لها، حيثليس لديها دين يدخل القلب فيكون الامتناع تلقائياً، ولذا أجازت مثل هذه الانحرافات .

ب ـ وقديكون انحرافاًغير ملائم،وهذا هوالانحراف الذي يقفالاجتماع دون ظهوره ، واذا ظهر حاول تقويمه، سواء كان المنحرف يراه انحرافاً، لكنه لايقدر على ازالته ، أو لايراه انحرافاً، مثل الذي له عقدة الحقارة،حيث ان بعضهم لايرونها سيئة ، وبعضهميرونها سيئة، لكنهم يرون عدمقدرتهم على ازالتها.

مثلهما في ذلك مثل من يرى ان أربعة في أربعة يعادل عشرين ، ومن يرى انه يعادل ستة عشرلكنه يتأذى من ذلك ،وفي المثال الاسلامي ـ ولامناقشة في انه عكس الممثل له ـ قد يرى غير المسلم ان محمداً ﷺ ليس بنبي وقد يراه نبياً لكنه يتأذى من ذلك ، وقد قال سبحانه : « وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم»[2] .

---

(١) سورة البقرة آية ٢١٩ .

(٢) سورة النمل آيه ١٤ .

عوامل الانحراف

ثم ان الانحراف :

١ ـ قد يكون بالوراثة ،فان الانحراف في الاباء ، يرثه الابناء ، فالولدسر أبيه ، كما ان الولد يشبهالعم والخال، الى غير ذلك مما حقق في علمالوراثة ـلكن الارث لايكون علة تامة ، بل أمر اقتضائي ، ولذا لاينافي التكليف كما قرر في علمالكلام .

وهذا الانحراف الوراثي ، ان أمده الاجتماع قوى الانحراف ، والابقى على حاله، الا اذا كان الاجتماع صالحاً ، حيث يتمكن من تقليله، وأحياناًمن ازالته ... فمثلا : الرجل السيء الخلق ،ان كانت له زوجة حسنة الخلق، نزل الرجل عن غلوائه بنسبة في المائة، أما اذا كانت له امرأةسيئة الخلق، بقيعلى سوءخلقه، ان لمتزده سوءاً علىسوء،وكذلك حال المعلم والمدير،والموظف ورئيسه ، والاولاد والوالدين .

٢ ـ وقديكون بالعرض ، وهو على ضربين :

أ ـ فقد يكون بسبب المعاناة في الصغر مثل تحقير الاولاد في البيت،أو المدرسة، أوفيمحل لعبهأو ما أشبهذلك،أو تدليلالاولادأكثر منالقدر المعتاد أو ابعاده عن الاجتماع ، أو جعله في اجتماع سيء ، أو ما أشبه ذلك ؛ فان أمثال هذه الامور تجعلالاولاد عرضة للانحراف بعقدة الحقارة ، أوبالخمول أو بالنشاط المحرم، اوبما أشبه ذلك .

فان حال النفس حال الجسم :كما انه اذا ربـّي الولد بعيداً عن مختلف الاغذية ، والمناخاة الطبيعية أوجب انحراف صحته الجسدية ،كذلك اذاربى في جو غير ملائم للنفس أوجب انحراف صحته النفسية .

ب ـ وقد يكون بسبب عدم ملائمة ظروف الحياة ،مثل الفقر ، اوالحرمان وحالة الفوضى والحرب، والخصومات، والمنازعات مع المنافسين، والفشل في الحياة ، والسجن ـ خصوصاً الانفرادي منه ـ والكبت ، والمصيبة، وبالاخص اذا منع من التنفيس عن كبته ببكاء أو سفر أو سياحة أو رياضة أو ما أشبه ذلك ، مما يوجب تنظيف النفس من المشاعر السوداء، و الدين الذي يتراكم عليها من الامور السابقة الذكر .

ولعل من أسباب جعل الاسلام اطلاق السجناء في أيام الجمع و الاعياد لاجل الصلوة ، وعدم منع عائلة السجين عن ملاقاته، بل وبقائهم معه ـ حيث لادليل على منع ذلك ـ هو ان لاتتوفر الظروف السيئة حوله ، حتى يوجب انحراف شخصيته.. كما ان من ذلك أيضاً اباحته البكاء على الميت وغيرذلك مماتزخر به الاحاديث الواردة من المعصومين عليهم السلام في أمثال هذه الشئون وقاية وعلاجاً .

واذا كان للانسان أرضية وراثية ، أو أرضية من زمان صغره للاختلال النفسي اسرع اليه الاختلال بمجرّد حصول الظروف الملائمة لذلك الاختلال.

تأثير المجتمع فى الانحراف والاستقامة

ثم الاجتماع كلما كان أكثر انغلاقاً، كان أخصب لرشد الانحراف كما انه كلما كان أكثر حرية صحيحة كان أخصب لرشد الاستقامة... هذا من جهة، و من جهة ثانية ـ كلما بني الاجتماع على اعطاء الحاجات، وتوفرت فيه وسائل الحياة كان أبعد عن تكوين الانحراف، والعكس بالعكس، ولذا أكد الاسلام على اعطاء حاجات الجسد، ومنع عن الكبت .

ففي الحديث: (لجسدك عليك حقاً)[١] .

وقال النبي صلى الله عليه وآله لمن رآه قد انهكته العبادة: (ان هذا الدين رفيق فأوغل فيه برفق، فان المنبت لا أرضاً قطع ولاظهراً أبقى)[٢] الى غيرها من الاحاديث .

والاجتماع بكلتا حالتيه العادية وغير العادية، يوجب الانحرافات المختلفة مثلا: في الحالة العادية، الريف لسكّانه يوجب قسماً من الامراض الروحية، أما المدينة المزدحمة فتوجد مرض توتر الاعصاب والقلق والحالة السبعية و الاندفاع في بعض، وبالعكس يوجب الانعزال والانقطاع عن الاجتماع لبعض آخر .

أما الحالات غير العادية للاجتماع ، مثل الحرب ، بل والذين يتصدون الحرب كالجنود، فهي سبب انحرافات من قسم آخر :

١ - فالتغيير الفجائي في الحرب يوجب صدمة الاعصاب ، بما لايتحمله بعض ، فيوجب فيه أمراضاً نفسانية ، وانحرافاً في الروح مما يؤثر أثره على العمل .

٢ - والجندي حيث يضطر الى الانضباط والاعمال الصعبة التدريبية و نحوها، تتحول حالته العادية، الى حالة غير طبيعية، ممايوجب صدمةروحية له توجب انحرافه .

الكبت والامراض النفسية

٣ - ثم ان الكبت النفسي الذي يضطر اليه الجنود، بعدم البكاء، وعدم اظهار

---

(١) صحيح البخاري : ج ٢ ص ٢٤٥ باب حق الجسم في الصوم .

(٢) أصول الكافي ج/٢ ص ٨٦ .

الخوف، وعدم الشكاية ومأأشبه ـ حيث ان مثل ذلك مما يعاب به في كثير من الاعراف ـ يوجب أمراضاً نفسية وانحرافاً، هي من ولائد الكبت والانغلاق ولذاجعل بعض الحكومات من نظام الجيش التنفس عن الكبت بالامور السابقة واظهاره عواطفه حتى لاتقوى نفس الجنود، ولايسبب ذلك أمراضه النفسية وانحرافه.

ومن هذا المنطلق يتعارف عند الناس، انه اذا اصيب شخص بعزيز لـه أوبمال أو بآفة كقطع يد ، أوقلع عين ـ في عملية جراحية ـ أو مأأشبه ، ان يأمروه بالبكاء، أوبالشكاية ببث الاشجان، وبالانصراف عن القيـود والانضباط كما ان العرف يصرون عليه بالسفر أو تغيير المنزل ـ في من مات عزيزه ـ حتى يصبح فؤاده فارغاً، ولايكون له مايذكره بما فجع به، بالاضافة الى أمره بالصبر ، فقدورد في الحديث : (من عزّى مصاباً كان له مثل اجره)[(١)] و (من عزى ثكلي كسى برداً في الجنة)[(٢)].

وقدلخص جملة من علماء الاجتماع، أسباب الانحراف في :

١ ـ عدم استقامة العائلة .

٢ ـ الحرمان .

٣ ـ تناقضات الاجتماع .

العائلة . . وانحراف الشخصية

١ ـ فعدم استقامة العائلة عبارة عن عدم سلامة وأمن البيت الذي يربي فيه

---

(١) ثواب الأعمال ص ٤٥٨ .

(٢) بحار الأنوار ج/ ٧٩ ص ٩٤ .

الاولاد، أما بالكبت، أوبالتنازع، أوبالمزيد من العطف، فان كل ذلك يوجب عدم استقامة النفس مما ينتهي بالاخرة الى الانحرافات الروحية، قالوا: ولذا نجد كثرة الانحرافات النفسية عند الايرلنديين لتشديد الامهات في تربية أولادهم، وعند اليهود لتكثير الامهات من العطف، واللطف بأولادهم، وعند الايطاليين لتشديد الاباء على الاولاد، وعند جماعة من الامريكيين لكثرة المنازعات بين الاخوة والاخوات .

وفي كثير من البلاد الغربية يقع الاولاد أوائل بلوغهم بين تناقض متطلبات العائلة منهم، مثلا : من ناحية يريد الابوان من البالغين الاستقلال في ادارة امورهم الاقتصادية وغيرها، بل وحتى الجنسية ، ومن ناحية اخرى يربطون الاولاد بالبيت وبالطاعة للابوين والكبراء ، ومن الطبيعي ان يقع التناقض بين الاستقلال واللا استقلال .

و كذلك الحال يكون مع الاولاد الذين يريد الاباء منهم الطاعة ، ولا يقومون بكل حوائجهم ولوعدم تزويجهم ، وبذلك يحدث الانفصام والعقد النفسية، فاللازم أما اعطاء الحاجة ـ ولوالنواقص منها ـ في قبال الطاعة وأما ترك الاولاد ليقوموا بحوائج أنفسهم باستقلال من غيرتطلب الطاعة منهم

فالطاعة لاتكون الا في قبال اعطاء الحاجة ، فاذا اختل الميزان اختلت الصحة النفسية بما أوجب الانحراف ، وهذه هي حالة الحكومات في قبال الشعوب، فاللازم أما اعطاء حاجاتهم في قبال تطلب الطاعة منهم، وأماتركهم و شأنهم لتحصيل حاجاتهم بأنفسهم بدون تطلب الطاعة ، وانما يكون شأن الحكومة حينئذ شأن المراقب لئلا يطغى بعضهم على بعض .

وفي بعض الامم يتجلى التضاد في العائلة بمظاهر اخر ، مثلا: الاب يريد

المجازات للمسيء من الاولاد ، لكن الام تمنع ذلك ، فيقع الطفل بين هذين النقيضين ، أويريد الاب انهاء الدراسة للاولاد ليساعدوه في عمله ومزرعته ، وتريد الام عكس ذلك ، أوتريد الام زواج البنت ، ويريد الاب عدم زواجها لاجل خدمة البيت ، أوغير ذلك .

ولون آخرمن ألوان التضاد ، تسييب الاولاد في الدار، وارادة الانضباط منهم لدى الذهاب الى السفر ، أوالى الضيافة ، أوعندحلول الضيف لديهم .

والحاصل: انه كلما يوجب الازدواجية يوجب انفصامالشخصية مما ينجر بالاخرة الى الامراض والعقد النفسية . . وحيث ان النفس والجسم يتبادلان المرض ، ولذا قيل : (العقل الصحيح فيالجسم الصحيح) فاذا مرضت النفس وتعقدت أوجبت بالاضافة الى انحراف خط سير الحياة للمريض ولمن يرتبط به ، تأثير المرض النفسي الى جسمه .

ولذا اعتاد علماء الطب [النفسيالجسمي] فحص صورالمرض الجسمي في النفس ، فان لـم يوجد هناك مرض ، استوجده في الاعضاء ، والاجهزة البدنية .

دور الحرمان في الانحراف

٢ ـ أما دورالحرمانفهو كبير فيخلق الانحراف ، فأنه يؤثرفيالانحراف من جهتين :

(الاولى) ان الحرمان يؤثرعلىالجسم نقصاً فيجهاز من الاجهزة ، سواء

كان بسبب سوء التغذية ، أو بسبب عدم الوقاية من الحر والبرد، أو بسبب عدم وسائل الصحة في الماء والهواء ، أو بسبب عـدم الدواء . . فيؤثر الاختلال الجسمي في الاختلال النفسي ـ كما تقدم وجهه .

ولذا نرى في البلاد ذات الاختلاف الطبقي تبتلي الطبقة الفقيرة بأمراض النفس مما لايوجد مثل ذلك في الطبقة الغنية ، ويعرف ذلك جلياً في الاحياء السكنية الفقيرة والغنية .

فالاحياء السكنية الفقيرة، كماتكثر فيها الامراض والاسقام الجسمية، كذلك نكثر فيها الامراض النفسية والانحرافات الروحية ، بخلاف الاحياء السكنية الغنية، واذا ارتاد الانسان المستشفيات ، والمصحات العقلية ، ودورالمجانين يجد ان نسبة من فيها من الفقراء أكثر بكثيرمن نسبة من فيهامن الاغنياء .

ومن أجل ذلك يكون المبتلى بالانحراف النفسي أكثر بكثير، في العوانس والارامل ، والايتام والنساء اللاتي طلقن، والرجال الذين طلقوا زوجاتهم، من غيرهؤلاء ،كالنساء والرجال ذي الازواج ، والذين لـم يصلوا مبلغ الزواج من الصنفين ، والاولاد الذين لم يصابوا بفقد أحد الابوين .

تناقضات المجتمع تزرع الانحراف

٣ ـ أماتناقضات الاجتماع، فهي الاخرى توجب الانحراف ، حيث يقع الفرد بين جهتين متضادتين، ويسبب ذلك انفصام شخصيته ، واختلالا في داخله يجره الى الانحراف ، مثل ماذا وقع الاجتماع بين كماشتي الثقافة القديمة ، والثقافة الجديدة، أووقع الفرد بين التضاد الثقافي، لان ثقافته الاجتماعيةتوجب شيئاً ، وثقافته الحزبية أوما أشبه توجب شيئاً آخر ، وكما اذا أمره دينه بشيء

واجتماعه بشيء آخر .

ولذا نجد الانحراف في البلاد الاسلامية بكثرة بعد ان غزتها الثقافات الدخلية ونرى من يفرط في شرب الخمر بما لايفعل مثله زميله في بلاد المستعمر ، الى جانب من يفرط في التطهير الى حد الوسوسة ، بما لم يأمر به الاسلام ، الى غير ذلك من الامثلة .

وقد نعى جماعة من علماء الاخلاق في الغرب ، تحطم الاجتماع الغربي من جهة التناقضات السائدة في تلك البلاد ، لان الاجتماع يدعوا الفرد من ناحية الى حب الانسان وخدمته ومراعاة حقوقه ، ومن ناحية الى حب الشهرة وجمع المال وتطلب المزيد من الربح ، وكذلك يدعوه تارة الى الرؤية المستقبلية والوعي والرشد الفكري ، وتارة الى حقائق مقبولة بواسطة الدعايات الملتوية في الاذاعات والصحف وغيرها ، وهكذا يزيد تارة من حاجاته الاقتصادية بسبب المنتجات الاقتصادية الجديدة ذات الجمال والبريق ، ثم لايهيء له الوسائل الكافية ، والامكانات لاحتواء تلك الحاجات ، وكذلك في أمر السلام والحرب والاستعمار والتحرر ، بينما السلام هو ظاهر دعاياتهم والتحرر هو مدعاهم ، يعملون ليل نهار للحرب ، وللاستعمار الاكثر فالاكثر .

حربة الاستعمار تصيب حامليها

وينبغي هنا ان ننوه الى حقيقة هي ان الانسان لا يمكن ان يكون على شاكلتين ـ الا اذا كان مريضاً منفصم الشخصية ـ قال سبحانه : « ماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه »[1] والشاكلة الواحدة لاتأتي الا بالعمل الواحد المشابه لتلك الشاكلة .

---

(١) سورة الأحزاب آية ٤ .

«قل كل يعمل على شاكلته»[(١)] ولذا عادت اضرار استعمار البلاد ونيران حروبها الى أنفسها بمثل ما رجعت الى البلاد المستعمرة والمحاربة، ولكن بصورة مختلفة ـ وان كان المغزى واحداً ـ .

فالحالة الاستعمارية في تلك البلاد سببت :

١ ـ استعمار دولها لشعوبها، كما استعمرت تلك الدول البلاد المستعمرة وقد صدقت الحكمة القائلة : « من أعان ظالماً على مظلوم لم يزل الله عليه ساخطاً حتى ينزع من معونته »[(٢)] وما ورد من انه :

(كما تدين تدان)[(٣)] فان حالة الظلم اذا وجدت في انسان لم يهتم ان يظلم عدوه أوصديقة، وفي المثل الاسلامي، أن هارون كما قتل موسى بن جعفر عليه السلام قتل البرامكة الذين ساعدوه على ظلمه .

٢ ـ المؤامرة الدائمة من بعضهم ضد بعض، بمالاتدع لهم راحة فهم في ضيق البلاد المستعمرة، وان لم يكن من جهة الاستعمار الظاهر، وقد قال سبحانه «ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا»[(٤)] .

كما ان حروبهم لاجل الاستعمار أورثت لهم بالاضافة الى كره الامم المحاربة لهم، والحروب الباردة بينهم، حربين عالميتين كانت كل حرب منهما تساوي القدر الذي حاربوه مع الامم الضعيفة، قبل تلك الحرب ان لم تكن أكثر، وقد يجتمع هذه الحروب التي اشعلوها ضد الامم ـ بعد الحرب العالمية الثانية ـ لتنفجر ضدهم في حرب عالمية ثالثة .

---

(١) سورة الإسراء آية ٨٤ .
(٢) ثواب الأعمال وعقابها ص ٥٩٧ ح رقم ١٢٤٣ .
(٣) الوسائل : ج ٨ ص ٤٢٤ الباب ٢١ من أبواب أحكام العشرة ح ٣ .
(٤) سورة طه آية ١٢٤ .

شروط عقاب المنحرف

(مسألة ـ ٢٥ ـ) المنحرف يجب ان يعاقب بعد ملاحظة أربعة امور :

١ ـ الجريمة .

٢ ـ والمجرم .

٣ ـ والاجتماع .

٤ ـ والصلاح .

فمثلا : هل حجم الجريمة زنا محصن ،أو زنا غير محصن ؟وهل المجرم غير بالغ ليؤدب ، أو بالغ ليحد ؟وهل الاجتماع صالح حتى يكون المنحرف خارقاً للصلاح العام ؟

قال سبحانه : « ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها »[١].

أو الاجتماع غير الصالح حتى يكون المنحرف خارقاً للقانون لا للصلاح العام، وقد قال ﷺ : (ساحر المسلمين يقتل ، وساحر الكفار لايقتل ، لانه في اسوء من السحر)[٢] ولم يكن جزاء السارق في المخصمة قطع اليد ، وبعد تلك الامور يأتي دور الاهم والمهم ، وهل ان الصلاح العقوبه أو تركها أو قدر منها ؟

قال الله تعالى : « وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث »[٣] .

وجعل الاسلام الصلح سيد الاحكام ، وقال تعالى : « والصلح خير »[٤]

---

(١) سورة الأعراف آية ٥٦ .

(٢) الجعفريات ص ١٢٨ والوسائل ج/١٨ ص ٥٧٦ .

(٣) سورة صّ رقم ٤٤ .

(٤) سورة النساء آية ١٢٨ .

حتى لايستفز الحق أحد الطرفين ويهيىء الارضية للانحراف، وقد عـزل علي عليه السلام أبا الاسود الدئلي [قاضيه] فقال له : لم عزلتني يا أمير المؤمنين، وما خنت ولاجنيت ؟ قال عليه السلام (نعم ولكن يعلو صوتك صوت الخصمين . . .)[1] فلماذا الصياح من القاضي ؟ فان اللازم عليه ان يحكم حسب ما يراه من الحق وذلك ممكن بصوت خافت ، أما مـاعداه فانه يزرع الحقد ،ويهيىء الارضية للانحراف .

وقـد عفا علي عليه السلام عن شاب سارق ، قال له : ماذا تحفظ من القرآن ؟ قال سورة البقرة ، قال عليه السلام : (عفوت عنك لسورة البقرة ...) وعفـا عن لائط بعد ان تاب واستعد لتقبل العقاب . . . وانـّب رسـول الله صلى الله عليه وآله الذين ارجعوا ماعزاً الى الحفرة حتى رجم فمات ، وأوداه من بيت المال ، الى غيرها من القصص التي تعير مسألة كون [العقوبة حسب الجريمة ، أو حسب المجرم] وكون [الاجتماع ، والصلاح] يتدخلان في الامر .

كيف يعالج الانحراف ؟

وعلى أي حال ، فالمهم في باب الانحراف :

١ ـ العلاج .

٢ ـ واصلاح المجتمع الصغير .

٣ ـ واصلاح المجتمع الكبير .

فان المنحرف غالباً ليس الاضحية الاجتماع ، فيجب ان ينظر اليه بنظر العطف والشفقة لابنظر الغضب والازدراء ، ولـذا لم يرد في التـاريخ ازدراء

---

(١) انظر مستدرك الوسائل ج/٣ ص ١٩٧ .

الرسول ﷺ ، وعلي عليه السلام بالمجرمين، وان طبقوا عليهم ـ احياناً ـ الحدود الشرعية .

وحتى المنافقين الذين ورد فيهم : «انهم فى الدرك الاسفل »(١) وانهم «هم العدو »(٢) لم يواجههم الرسول ﷺ ، وعلي عليه السلام الا بـأقل القدر الممكن من التأنيب ، وكذلك الذين فروا من الزحف أو خانوا الرسول ﷺ فى أو امره الحربية مما سببوا قتل خيـرة أصحـابه كحمزة عليه السلام مع انه قال الله تعـالى : «ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفاً لقتال أو متحيزاً الى فئة فقد باء غضب من الله»(٣)

وقال سبحانه : « ياأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين »(٤) .

بل عامل الرسول ﷺ وعلي عليه السلام الذين حاربوهما بأقل القدر الممكن من العنف مما لابد منه ـ فى قصص معروفة ـ اذ العقـاب اضطرار ، لم يجعل تشفياً ، وانما جعل علاجاً فهو كالعملية الجراحية لايقدم عليهـا الا اضطراراً ، ثم يكون كمهـا وكيفها بقدر الاضطرار ايضـاً ، فان الله سبحـانه خلق البشر ليرحمهم .

قال تعالى : « ولذلك خلقهم » .(٥)

اما العذاب فى الاخرة ، فهو أيضاً بقدر الاضطرار ، ولذا تكون الشفاعة والعفـو ، ثم بعد ذلـك اذا حدث الاضطرار يأتى « جزاءاً وفاقاً »(٦) « وانمـا تجزون ماكنتم تعملون » .(٧)

---

(١) سـورة النسـاء آيـة ١٤٥

(٢) سورة المنافقون آية ٦٣ .

(٣) سورة الأنفال آية ١٦ .

(٤) سورة التوبة آية ٧٣ .

(٥) سورة هود اية ١١٩ .

(٦) سورة النباء آية ٢٦ .

(٧) سورة الطور آية ١٦ .

ولذاكان شعار الاسلام : «قولوا للناس حسناً»(١) و «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عـن الجاهلين »(٢) و « ادفع بالتى هى أحسن ، فـاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ، ولا يلقـاها الا الذين صبروا ولايلقـاها الا ذو حظ عظيم »(٣) . « وان احد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه »(٤) .

وقال علي عليه السلام:(واكظم الغيظوتجاوز عند المقدرة ،واحلم عند الغضب واصفح مع الدولة [السلطة] تكن لك العاقبة)(٥) .

وقال عليه السلام :(اذا قدرتك على عدوك فأجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه)(٦)

وقال عليه السلام : (أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة)(٧) .

وقال عليه السلام:(العفو زكاة الظفر)(٨) ...الى غيرذلك من كلماتهم عليهم السلام وأعمالهم سواء بالنسبة الى المجرمين السياسيين ، أو المجرمين الجنائيين .

وقد اكتشف علماء السياسة والاجتماع ، أخيراً لذلك قاعدة[عجز القوة وقوة العجز] حيث ان القوة يختفي في طياتها العجز ، فهل يمكن ان يضرب لص بمدفع ميدان؟ وهل يمكن ان يقابل سلم العدو [العجز] بالقمع؟ والمثال.. فقد انتزع حزب المؤتمر استقلال الهند من بريطانيا بالسلم ، كما ان عالم اليوم

---

(١) سورة البقرة آية ٨٣ .
(٢) سورة الأعراف آية ١٩٩ .
(٣) سورة فصلت آية ٣٤ .
(٤) سورة التوبة آية ٦ .
(٥) نهج البلاغة /صالح/ ص ٤٥٩ .
(٦) نهج البلاغة /صالح/ ص ٤٧٠ .
(٧) نهج البلاغة /صالح/ ص ٤٧٨ .
(٨) نهج البلاغة /صالح/ ص ٥٠٦ .

عجز عن دفع عدوه مع انه يملك السلاح النووي .

ومن كلام لعلي عليه السلام ـ كما في نهج البلاغة ـ :(وانما ينبغي لاهل العصمة والمصنوع اليهم في السلامة، ان يرحموا أهل الذنوب والمعصية. .يكون الشكر هو الغالب عليهم ،والحاجز لهم عنهم ،فكيف بالعائب الذي عاب اخاه وعيّره ببلواه .[1]

أما ذكر موضع ستر الله عليه من ذنوبه مما هو أعظم من الذنب الذي عابه به ؟ وكيف يذمه بذنب قد ركب مثله ؟ فان لم يكن ركب ذلك الذنب بعينه فقد عصى الله فيما سواه ، مما هو أعظم منه ، وأيم الله لئن لم يكن عصاه في الكبير وعصاه في الصغير ، لجرأته على عيب الناس أكبر ، يا عبد الله لاتعجل في عيب أحد بذنبه ، فلعله مغفور له ، ولا تأمن على نفسك صغير معصية ، فلعلك معذب عليه ، فيكفف من علم منكم عيب غيره لما يعلم من عيب نفسه ، وليكن الشكر شاغلا له على معافاته ، مما ابتلى به غيره ».

وعلى أى حال ، فعلاج الانحراف :

أ ـ استدراج المنحرف الى الاستقامة من أقرب الطرق واسهلها ، فاذا كان اجرامه لاجل فقر أو عدم زوج أو زوجة أو مرض أو منافسة ، أو ما أشبه عالج فقره ، وزوجه [وقد زوج علي عليه السلام مومسة]وهيء وسائل صحته، وأصلح بينه وبين منافسه ، أو أبعد أحد المنافسين عن الاخر ـ ان أمكن الابعاد ـ وقد أمر الامام الصادق عليه السلام بعض أصحابه ان يعطي من مال الامام عليه السلام لطرف النزاع حتى يصطلحا اذا كان النزاع على مال .

ب ـ تهيئة مصحات تمزج العلاج ، بتشغيل المنحرف ، اذ المنحرف اذا ارتبط بالعمل لم يبق له فراغ للانحراف الفكري أو العملي،فان فكره يشتغل

---

(١) نهج البلاغة / صالح / ص ١٩٧ .

بعمله ، وتعبه العملي يورث انضباط أكله ونومه مما يسببان له راحة وبهجة ، وبالاخص اذا كان شغله مغرياً وموجباً لتقدمه ، حيث ان ذلك يسبب ان ينظر الى نفسه بالرفعة فيتجنب تعاطي الامور الوضيعة ، والتفكر في الامور السخيفة .

ج ـ اذا كان مستحقاً للعقوبة عاقبه بقدر الضرورة ، كماً و كيفاً [كما تقدم] .

اصلاح المجتمع الصغير

(د) اصلاح المجتمع الصغير، اي العائلة والمدرسة ونحوهما ، فقدسبق ان للمشاكل العائلية وسوء تربيتهم للاولاد ، وانحراف الثقافة في المدرسة ، وسوء معاشرة المعلم ونحوه للتلاميذ، يسببان لهم انحرافاً .. . فاللازم على الابوين اعطاء الاولاد العقل والعاطفة معاً، بدون اهمال أو تشديد حتى يحس الطفل بالامن ويشعر بحدود عمله ، فيعطيانه حاجاته، وفي نفس الوقت يعلمانه الانضباط والنظافة والادب والعمل ، وحب الآخرين و المشاركة معهم و عدم الاستبداد .

يقول الشاعر :

والام مدرسة اذا اعددتها ... اعددت جيلا طيب الاعراق

أما المدرسة فهي محل التربية الفكرية والعملية، وتقويم الطفل فيها أصعب من تقويمه في البيت، حيث انه في المدرسة تختلط الاجواء ، فان لكل طالب جواً، والنفس تسرع في اكتساب السيئات أكثر من كسبها للحسنات ...ولذا يكون اللازم استقامة الثقافة، واستقامة التربية ، والمواظبة الكاملة على عدم سراية الاخلاق السيئة من بعض الطلاب الى بعض .

ولايخفى، ان المجتمع الصغير حيث انه مندمج في المجتمع الكبير ، يلزم ان يصلح المجتمع الكبير أيضاً، اذا اريد اصلاح المجتمع الصغير .

اصلاح المجتمع الكبير

٣ ـ أما اصلاح المجتمع الكبير، فهو من أشكل الامـور. اذ يتدخل فيه الاقتصاد والسياسة والشئون الاجتماعية، والعمران، والتربية ، وغيرها ، وهو بحاجة الى جيش من المصلحين، ومن المثقفين، والمحنكين حتى يمكن اصلاحه فان مثل محاربة تعاطي الخمور والمواد المخدرة، والانحراف والشذوذ الجنسي وفتح مدرسة ، أو اخراج مجلة ، أو ما أشبه، امور جزئية ، لايمكن اصلاح المجتمع الكبير بها ، وانما اصلاحه بحاجة الى تخطيط عام يشمل كل جوانبه وأول الاصلاح هو ان يكون القائمون به صالحين، والا (فاقد الشيء لايعطيه).

دعائم اصلاح المجتمع

والتخطيط العام لاصلاح المجتمع يبنى على دعائم : أ ــ الايمان . ب ــ واقتسام العلم والحكم والمال .

١ ــ الايمان بالله

اما الايمان فلانه الوحيد الذي يمكن به تعديل الصفات والملكات والعواطف والاعمال،والا فمهما كان السطح منظماً ومنضبطاً ، امكن الخروج منه، وحيث ليس كلامنا الان في [الايمان] ندع الامر لموضعه .

٢ ــأقتسام القدرات

ب ــ وأما الاقتسام فلان من طبيعة الاستغناء [علماً أو مالا أو حكماً] الطغيان ولا يأخذ أمام الطغيان، الا الاقتسام [فان في ذلك وقاية للاجتماع عن الانحراف

والوقاية خير من العلاج].

فان أحد الامور الثلاثة ، اذا لم يكن في متناول الجميع على حد سواء ـ باستثناء عدم قدرة بعض للاستيعاب من جهة عدم الكفاية فكرياً او جسمياً ـ أوجب ذلك الحرمان، والحرمان ينتهي الى الانحراف، ولذا يجب تحرير الثلاثة عن نير الرأسمالية والشيوعية ونحوهما، حتى يكون الميزان الكفاية والعمل فكل يقدر على ان يحصل المال بقدر الاخر ـ في صورة استوائهما كفائة ـ وكل يقدر على ان يحصل على أعلى مراتب العلم [الجامعة وفوقها] وكل يقدر على ان يحصل على الحكم بعد وجود المؤهلات له، من الشرائط الشخصية [كالعلم والعدالة].

والشرائط الاجتماعية [كاختيار أكثرية الناس له] ـ هذا فيما فيه اختيار الناس ـ أما اذا كان الحكم من قبيل الوظائف ، كان لابد وان ينظر الى الافراد المتأهلين بنظرة واحدة ، واذا كثروا وتساووا، ولا احتياج الى جميعهم كان الحكم [القرعة] فـ [القرعة لكل أمر مشكل].

وبذلك يأمن الاجتماع عن الطبقية المنحرفة ، والمحسوبية والمنسوبية، وعن تدخل غير الكفاية في الوصول الى المال والعلم والحكم، وحينذاك تكون الارضية الاجتماعية خصبة للنبات الصالح ، فلا يوجد الانحراف [الا ما كان خارجاً عن تحت قدرة البشر].

فاذا حصلت الموازنة الصحيحة بين المعنويات [الايمان والعلم والحكم] والماديات [المال] لم يترد المجتمع في مساقط الانحراف ، بخلاف ما اذا لم تحصل الموازنة كما اذا كان الايمان عند من لاعلم له، أو العلم عند من لا مال له، أو المال عند من لا ايمان له ، أو ما أشبه ذلك ، فان المجتمع حينئذ يصبح

محلا خصباً للانحراف :

فلماذا الشاب الفلاني يقدر على دخول الجامعة،وانا لااقدرمع ان مستواه الفكري مثلي؟ فهل لان والده يملك المال ولايملك والدي؟ واذا كان الامر كذلك فلماذا ملك والده المال ولم يملكه والدي ، مع ان الكفائة فيهمامتساوية أليس ذلك من ذنب الاجتماع الذي نظم القانون الاقتصادي بحيث يسحق الكفاءات ، ويوجب الاختلاف في الطبقات بدون مبرر ؟

ولماذا تمكن فلان من الوصول الى مجلس الامة، ولم اتمكن انا ؟ فهل لان ذاك من حاشية الحاكم، ولست ان من حاشيته؟وهل ميزان الحكم الحاشية؟ أو ان الميزان الكفائةوانتخاب الناس ؟ واذا كان الميزان الاول ، فاي اجتماع هذا الذي ينظم القانون بحيث يحرم الكفوء بدون أي سبب؟

ولماذا لااتمكن انا من كسب المال الكافي لشئوني ، مع ان عندي كفائة وانا مستعد للعمل؟ أليس ذلك لاجل ان الرأسمالي الفلاني ، يتمكن من التلاعب بالاسواق فينزل البضاعة ليكسر باعة المفرد ، حتى يوسع لنفسه المحلات لبيع المفرد التابعة له؟ واذا كان الامر كذلك، فأي اجتماع هذا الذي يسن مثل هذه القوانين حتى يحرم الانسان عن لقمة العيش ، بله التقدم ؟

الى غيرذلك من أسباب الطبقية المنحرفة في كل من العلم والمال والحكم مما يسبب ان يكون الاجتماع محلا لولادة الانحراف .

القوانين الوضعية تصنع الانحراف

وقد أوغلت القوانين الوضعية في تهيئة مناخ الانحراف:

١ ـ فالقانون يطبق على العالم وغير العالم، والمضطر وغير المضطر ،

مع ان الانسان يرى الظلم في القانون اذا رأى نفسه بريئاً ـ بعدم العلم وبالاضطرار ـ وذلك مناخ خصب لوجود الانحراف فان المظلوم يهيء نفسه للانتقام، ويختمر في نفسه العداء، وذلك ما يسبب الانفجار أحياناً في غير المحل المناسب .

وأما الاسلام فقد رفع تسعة أشياء :(مالا يعلمون ، وما لايطيقون ، و ما اضطروا اليه ، وما استكرهوا عليه ، والنسيان، والسهو، والطيرة، والحسد ما لم يظهر بيد أو لسان، والوسوسة في التفكر في الخلق)[1] لان كل ذلك لايدخل تحت الاختيار، فكيف يؤخذ الانسان به .

كما ان من خطأ القوانين الوضعية الموجبة لتهيئة مناخ الانحراف جعل ، المال بدل العقاب، وبدل الوظيفة، فالقاتل وكثير من المجرمين اذا أعطوا المال خلصوا من السجن أو الاعدام، أو ما أشبه، كما ان المكلف بالجندية الاجبارية اذا دفع المال سقط عنه التكليف بالخدمة، وهكذا في كثير من القوانين، ومثل ذلك من اخصب المناخ للانحراف .

ان الفقير ـ الذي لم يرجع فقره الى تقصيره ـ اذا اجرم هو والغني، سجن الاول، واطلق الثاني ، أوقتل الاول وخفف عن الثاني، ولماذا ؟ لان الاول عثر به حظه فلم تتهيء الظروف، لان يكون له مال وكذلك اذا أخذ الفقير جندياً مكلفاً واطلق الغني بسبب عطائه المال : الى غير ذلك من الامثلة .

وكذلك الحال في اجرام ذي نفوذ وغيره، حيث ان شخصية الاول تحول دون عقابه أو عقابه الكثير ، بينما غيره يتلوى لامر لم يكن باختياره ، حيث انه لا شخصية له ، لعدم كونه من عشيرة أو ما أشبه . . .فان أمثال هذه الامور [والامر انما في اطار القانون] توسع رقعة الانحراف ، وربما جرفت الثورة بواضعي أمثال هذه القوانين .

---

(١) تحف العقول ص ٤١ .

بين المدينة والقرية

(مسألة ـ ٢٦ ـ)الاجتماع عبارة عن حياة أفراد كثيرين يسكنون في محل واحد ، والمراد بالمحل الواحد المعنـى الاضافي منه ، مثل اجتماع القرية ، واجتماع المدينة ،واجتماع الدولة ، ولافرق في صدق الاجتماع بين الاجتماع البدائي كالذين يعيشون على الصيد ويسكنون الكهوف والخيام ،وبين المتوسط كالذين يعيشون على الرعي والزراعة ، وبين الصاعد كالذين يعيشون في المدن على الصناعـة ، فالاولون يصطادون الاكل ، والثانيون ينتجونه، والاخيرون يعيشون حياة الحضـارة المعقدة .

ثم المدينة [محل سكنى الاجتماع] قد تكون مدينة متمركزة، وقد تكون مدينة قطاعاتية، وقد تكون مدينة مراكزية ، تتناسب كل مدينة مع الاجتماع الذي يختار ذلك النوع من السكنى .

وسكان البلاد في العصر الحاضر ـ وبالاخص المتقدمون أكثر صناعياً ـ لهم حياة خاصة ، من ناحية هي متقدمة ، ومن ناحية هي متأخرة ، ومن ناحية هي أكثر تعقداً وضوضاءاً وضغطاً ،ولذا تكون المشاكل فيها أكثر، وقد حصل البون الشاسع بين حياة القرية وحياة المدينة .

وحيث يريد الانسان السلامة ، فاللازم ان يضع البرامج التي تضيق شقة الابتعاد بين القرية والمدينة من ناحية ، وتقلل من المشاكل الناجمة من كثرة الناس ، ومن لوازم الصناعـة في المدينة .

وحيث ان الاحكام الشرعية تابعة للموضوعات ، ولا يعلم الحكم ما لم يعرف الموضوع ، كان اللازم بيان الموضوعات ، حتى يعرف أحكامها من منابعها التي تستقى منها الاحكام ، وكثيراً ما لايعرف الموضوع فلا يمكن حل المشكلة ، مما يوجب اضطرار الفقيه الى بيان الحكم الثانوي له ، مثلا : اذا عرف ان الاجتماع الحاضر مبني على البنك ولم يعرف كيف يمكن التخلص من الربا فيه ، كان لابد من اجازة تعامل الناس مع البنوك الربوية اضطراراً بينما اذا عرف الاقتصاد الحاضر ، وكيف انه دخل فيه الربا ، امكن علاج الامر بتقويم الاقتصاد بما يظهر منه انه لااضطرار الى تقبل الربا .

الاجتماع العام والاجتماع المحلي

وكيف كان، فـ[الجماعة الانسانية مع ملاحظة محل السكنى والروابط بين الافراد ، فيما دام الاجتماع ، هي محل هذا البحث] ولذا يخرج عن ذلك الكلام حول طلاب مدرسة أو أعضاء مؤسسة يجتمعون أحياناً لامر ما أو ماأشبه ذلك، هذا من ناحية الطرد ، أما من ناحية العكس فاجتماع قبيلة ، أو قرية ، أو مدينة ، أو قطر ، أو بين امم، أو بين كل الامم، كلها داخلة في محل البحث.

ولذا كان بين [الاجتماع المحلي] و [الاجتماع] عموم مطلقاً ، فالاول يرتبط بـ [بيئة خاصة] لوحظ فيها الماء والهواء والمناخ والمأكل وما أشبه، بينما الثاني يلاحظ الامم لامن بيئة خاصة، وحيث ان الكلام في هذا المبحث أعم من بيئة خاصة، يكون البحث عن [المطلق] لاعن [الخاص] والفرق بين [علم البيئة] وبين [علم الاجتماع] ان الاول يلاحظ الانسان من حيث ارتباطه بالمحيط الطبيعي ، والثاني يلاحظ من حيث ارتباطه بالمحيط الاجتماعي،

فعالم البيئة يلاحظ خصوصيات البيئة وتأثير الطبيعة في الانسان ، بينما عالم الاجتماع يلاحظ خصوصيات الاجتماع، ونفوذ الاجتماع في الافراد .

ويتكلم القسمان من العلماء حول كيفية مجيء الجماعات والاقوام الى الاماكن، لهجرة طبيعية، أومطاردة، أوحرب،أوغيرها؟ وكيف انهم تمركزوا؟ وكيف توسطوا؟ وكيفعاشوا؟ ثم كيف هجروا وجاء مكانهم اناس آخرون؟.

بدء الحياة الانسانية

والانسان أول ماوجد كان كاملا علماً «وعلم آدم الاسماء كلها»[١] الا ان الحياة تدرج فلابد وان يكون بدء مجيئه الى الارض يعيش على الصيد والفاكهة، ثم ورد ان هابيل عليه السلام، وقابيل، أخذا في الزرع والرعي وذلك تطور من الحياة التي لااستقرار لها ، الى حياة الاستقرار في الجملة بسبب التقيّد بمحل الزرع، وبالقطيع المحتاج الى مكان خصب، ثم يأتي دور تطور جديد ١ ـ بالسكنى مجتمعاً في خيام أوقرية أوماأشبه ..

أما مسألة الانسان الاول والتطور الداروبني فمما لم يقم عليه دليل، بل الدليل قام على خلافه ٢ ـ وباجتماعات تعيش عيشة البداوة ، واخرى تعيش عيشة التوسط ٣ ـ كما ان في القسم الثالث اناس يعيشون قمة الحضارة الحديثة بصنائعها ورفاهها ومشاكلها، وآخرون يعيشون قبل ذلك فلهم بعض محسنات ومشاكل المرحلة السابقة والمرحلة اللاحقة .

وقدأصبح الاجتماع بواسطة الوسائل الحديثة، وحدة واحدة، مركبة من المدينة الكبيرة، والمدينة العادية، والمدينة الصغيرة ،والقرية وماقبل القرية.

---

(١) سورة البقرة آية ٣١ .

القرية . . ام المدينة

وهناك خلاف بين علماء الاجتماع في أفضليـة سكن المدينة أوالقرية ، الاولى لانها مركز الحضارة و المدنية ، ولحصول الانسان فيها على وسائـل الرفاه، وتمكنه من التقدم الى مدارج الكمال، والثانية لقلة المشاكل والضوضاء فيها، ولسلامة البيئة عن التلوث، ولقلة الامراض، بل ولطول الاعمار .

ولكل وان كان وجهة نظره، الا ان القول الاول أقرب الى الصواب لمن له قدرة المقاومة، فان التقدمية التي جبل الانسان عليها ـ لاتحصل في القرية .

وحسب الاختلاف المتقدم، فقد اختلفت الاراء الى :

١ ـ هدم القرية وتكبير المدينة ، وذلك بتشويق أهل القرية للهجرة الى المدينة :

أ ـ ايجابياً بالدعاية ونحوها .

ب ـ باهمال القرية حتى ينسحب أهلها تلقائياً مع توفير الامكانيات للمدينة لاستيعاب أهل القرية .

٢ ـ تقليل أهالي المدينة، وتكثير القريـة ، وتكبير الموجودة من القرى بما لايخرج عن كونها قرية بمحسناتها، والعمل على العكس من الاول حيث تشجّـع الدولـة الهجرة الى القرى ، وتوفـر بعض الحوائج، وتسـّهل امور الاستيطان فيها .

٣ ـ تمدن القرى بايصال بعضها ببعض، وتحصيـل الوسائل الكافية لها ، حتى تكون مرحلة وسطى بين المدينة المعقدة وبين القرية البسيطة .

وعلى أي، اللازم الدقة الكاملة، لما هو الاصلح بحال الانسان ـ حيث انه

المحور ـ في رفاهـه وتقدمه ، وبعد ذلك الشروع في التطبيـق بما لايوجب تزلزل أركان الاجتماع .

المدن المغلقة ام المفتوحة ؟

ثم هناك خلاف آخر في انه هل من الافضل صنع المدن الجديدة حول المدن الكبار ـ كما يتعارف الان ـ مدناً منغلقـة على طائفة ، كالمعلمين ، و عمال المصارف، والفلاحيـن وما أشبه ، أومدناً منفتحـة ، أمثال القرى والمدن العادية، يسكنها من يشاء من غير فرق بين المهن ومأأشبه .

الاولون: يستدلون بانه أقرب الى الراحة، للانسجام بين أصحاب الدور حيث لهم مهنة واحدة، والانسجام يوجب الرفاه النفسي والجسدي ...

والاخرون يقول: ان وحدة المهنة بين الجيران تسبب الانغلاق الفكري، حيث انعدم رقابة الحياة توجب جمودها، وصعوبة الاختلاط غير المتجانس أهون من مشكلة عدم الرقابة المجمّد، ولعل الثاني أقرب، وفيها فوائد آخر، مثل الزواج من مختلف الاقسام، وتنوع الحياة المستقبلية للاولاد، وغيرذلك .

نعم، بعض المدن الصناعية الحديثة، لابد لها من وحدة المهنـة ، أمثال عمال مصنع كبير ومأأشبه ... كما هوالحال في القرى الزراعيـة ونحوها، و مع ذلك يجب ان تنظم حياة أمثال هؤلاء بما لايوجب جمود الفكر الناشيء من عدم رقابة الحياة .

الفوارق .. بين المدينة والقرية

و كيف كان، فالفروق الاساسية بين المدينة والقرية هي :

١ ـ المدينة أكثر ناساً بخلاف القرية .

٢ ـ روابط الافراد في المدينة عادية، بينماالروابط في القرية شديدة ، و هكذا معاداة أفراد المدن بعضهم لبعض ضعيفة بينما معاداة أفراد القرية شديدة والسر ان كثرةأعمال روابط فرد المدينة لاتدع له مجالا لشدة الولاء، أوشدة العداء بخلاف القرية .

٣ ـ سعة مجال العمل والزواج والانضمام الى الجمعيات والمؤسسات في المدينة دون القرية .

٤ ـ قوة العلم والدين والاخلاق والاداب في المدينة، لكثرة المدارس والمعلمين والوعاظ والمربين في المدينة دون القرية .

٥ ـ كثرة الامراض ويسر العلاج في المدينـة ، وبالعكس من الامرين القرية، حيث تلوث البيئة في المدينة أكثر والطب والوسائل الطبية فيهاأكثر بخلافهما في القرية .

٦ ـ تعقد النفس فـي المدينـة دون القرية ، و ذلك لان كثرة الروابط و تناقضها، وشدةالطبقية و كثرة الحرمان في المدينة توجب ذلك، والقريةليست كذلك .

٧ ـ سهولة المعاملات، وعدم التدقيق في أمرها في المدينة ، وذلك لان كثرة الشأن فيها لايسمح بالدقة ، بخلاف القرية حيث قلة الشأن فيها فتكون مسرحاً للدقة .

٨ ـ ضعف مراقبة الاهل والاولاد في المدينة، وشدتها في القرية، اذ سعة المدينة من ناحية، وكثرة شغل الانسان فيها من ناحية ثانيـة، تجعل الاولاد و نحوهم بمنأى عن عين الاب والام، ثم ان اشغالهما يمنعان من المراقبةالدقيقة

وبالعكس من كلا الامرين القرية .

٩ - في المدينة الدخل أكثر والارباح أوفر، بخلاف القرية ، وذلك من جهة ارتفاع مستوى المعيشة في المدينة دونالقرية من ناحية، ومن جهةوجود النقد اكثر في المدينة مما يجعله أكثر ابتذالا، وبالعكس من ذلك القرية .

١٠ - التحرك الاجتماعي في المدينة عمودياً و افقياً ، حيث مختلف المؤسسات ، و متفاوت الدرجات، فيتمكن الانسان ان ينتقل من وظيفة الى وظيفة، كما يتمكن ان يصعد منمرتبة نازلة الى مرتبة رفيعة، وأحياناً بالعكس وليس كذلك القرية، ولذا يكون هناك الجمود .

١١ - اخطار المدينة أكثر من حيث السرقة، والسطو ، والاختطاف، و الدهس وغيرها، حيث كثرة السيارات، وتنوع الناس ، وامكانية المفسد من الاختفاء، في بحر الناس بخلاف القرية في كل ذلك .

١٢ - كثرة الفساد فيالمدينة من زنا ولواط واستعمال المخدراتونحوها بخلاف القرية ، وذلك للاسباب التي تقدمت في بند (١١) .

١٣ - زيادة الحر والبرد فيالقرية لقلة العائق لهما من الابنية والعمارات بخلاف المدينة لكثرةالعائق ، ولذا يمكن الاستفادة من الطبيعة أكثرفيالقرية من المدينة .

١٤ - تشتد النزاعات القومية والطائفية والعرقية وغيرها في القرية دون المدينة ، وذلك لان المدينة بحضارتهاالكثيرة ترقق من المشاعر وتعطيرؤية أوسع ، بخلاف القرية في ذلك .

١٥ - تجعل القرية أفرادهاأبعد عنعينالحكومة ومتناولها ، حيثتضعف أجهزة الحكومة فـي القرية ، وحيث القرابة والصداقة الشديدة فى القرية ،

مما يستر بعضهم على بعض ، وليس كذلك المدينة ، ولذا تشد القرية من ازر التنظيمات المناوئة للحكومة . .

ولايخفى انه تختلف المدن والقرى الساحلية، والجبلية، والغابية، والسطحية في بعض تلك الجهات ، كما ان حركة التهريب في الساحليـة ، والحرب في الجبليـة والغابية ، وغيرهما تختلف اختلافاً كبيراً ، كما ان المدن الصنـاعية تختلف عن غيرها من بعض الحيثيات المتقدمة، وكذلك بالنسبة الى القرية .

الدين . . والمسكن

ثم لايخفى ، ان الدين [الاعم من الاخلاق] الذي هو الاطار الصحيح للدنيا السليمة ، وللاخرة السعيدة، تختلف امكانية تمسك الانسان به ، في القرية من المدينة ، وفي مدينة عن مدينة ، وقرية عن قرية ، وعدم التمسك به كاملا يوجب خبالا في الحياة ، بله الاخرة، كما قال سبحانه : « ومن أعرض عـن ذكرى فان له معيشة ضنكاً »(١) .

ولذا كان اللازم :

١ - ان يسكن الانسان في محل هو أقرب الى امكانية تطبيق الدين، سواء سكناه الدائم ، أو سكناه لاجل علم أوغيره .

٢- أن يهتم القائمون بالدين ، فى تنظيم وسائله بما يجعـل الناس أقرب الى الاخذ به ، مثل أن تبني في كل مدينة وقرية مدرسة دينية ، وان تنشر الكتب والنشرات في الاحياء الصناعية، وأن يبني المسجد في المراكز العمالية ، وان يهتم لاستعمال وسائل الاعلام كالصحف والراديو والتلفزيون ، لاجل بث الدين ، وتذكير الغارقين في أعمالهم بالموازين الدينية مما يوجب السعادة الدنيوية، والاخروية .

---

(١) سورة طه آية ١٢٤ .

بناء المدن

(مسألة ـ ٢٧ ـ) من الطبيعي أن ينظم الانسان حياته ، حسب :

١ ـ يقربها الى حاجاته .

٢ ـ ويبعدها عن الاخطار ، فان غريزة البقاء تعطى للانسان هذه النظرة ، ولذا يبني الانسان داره حيث توفر له الامرين السابقين، وكيفية تراكم الاجتماع تتبع ذلك ، ولذا تبني المدن حوالي أمثال :

١ ـ المساجد وسائر محلات العبادة لكل امة .

٢ ـ المؤسسات الاقتصادية بفروعها سواء .

أ ـ النقدية كالمصارف .

ب ـ أو الانتاجية كالمعامل .

ج ـ أو الاستهلاكية، كمحلات الاكل واللباس وما أشبه .

٣ ـ المؤسسات العلمية كالمدارس والمعاهد والمكتبات .

٤ ـ مراكز القوة ، مثل محل وجود العشيرة ، ومنطلقات القوة الحكومية ومحل تجمع الحزب ونحوه ، مما يعطي للانسان قوة الدفاع .

والغالب في المدن أن تتشكل من أقسام مثل :

١ ـ قسم السكن .

٢ ـ وقسم الاخذ والعطاء كالاسواق .

٣ ـ وقسم الانتاج كالمعامل والمصانع ، وفي بعض البلاد :

٤ ـ قسم دوائر الدولة ، وانما يجعلون المدن كذلك، للراحة في المسكن وتجمع الحوائج في قسم التعامل ، واخراج الضوضاء الى ناحية في قسم الانتاج ، وتجمع الاحتياجات الادارية في مكان آخر . . وهكذا .

أقسام المدن

ثم ان الغالب في المدن أن تبني على أقسام :

١ ـ المدينة المركزية الشعاعية، بأن يكون للمدينة مركز واحد ، ثم تبني من عند ذلك المركز، فتتسع حسب الشعاع المنبثق من المركز .

٢ ـ المدينة المتعددة المراكز ، وهي أن تكون للمدينة مراكز ، حتى لا توجب الصعوبات الناجمة من المركز الواحد ، وفي كثير من الأحيان ، حيث تلتصق القرى بعضها ببعض توجد المدينة المتعددة المراكز ، والاتساع يكون حينئذ من شعاع المراكز لا من شعاع المركز الواحد .

٣ ـ المدينة القطاعية ذات المركز الواحد ، فالمركز وان كان واحداً ، الا انها تبني قطاعات ، لا دائرية شعاعية ، كالقسم الاول ، فشعاع من المركز سكني ، ويبتعد هذا الشعاع بكثرة المساكن وشعاع من المركز للدوائر الحكومية ، وشعاع للمدارس ، وشعاع للاسواق وهكذا ، وبذلك لا تكون الشعاعات في بعد واحد، كالدائرة بل يكون شعاع كل جهة حسب امتداد حاجة ذلك الشعاع . . . وهذا القسم من المدينة يريد الاحتفاظ بفائدة كل من القسمين السابقين بدون اضرارهما ، حيث ان تعدد المراكز يوجب التبعثر ، ووحدة امتداد الشعاع توجب الصعوبة .

ثم ان كل مدينة حسب بنائها تحتاج الى مؤهلات خاصة ، مثلا : المدينة

ذات المركز الواحد تتكدس البضائع ومرافق الاجتماع في محـلات واسعة في المركز ، وتتطاول أبنية ناطحات السحاب بسراديبهـا العميقة في أطراف المركز وهكذا ، بينماليس كذلك المدينة ذات المراكز ، اذ تقسم الحاجات حسب انقسام المراكز .

كما ان التحولات الاجتماعية تؤثر تأثيراً مناسباً ، في وضع المدن وتغير من ملامحها ، مثلا : قبل صنع السيارات كانت الازقة والشوارع الضيقة ،أما بعد اختراعها فقد تغيرت معالم المدن .. وقبل صنع الطائرة كانت تصنع حول المدن الاسوار ، حفظاً لها من المهاجمين بالسهام والسيوف ، أما بعد صنع الطائرة لم يبق للسور فائدة فأخذت المدن تتكشف وتخرج من قوقعتها ، وهكذا بالنسبة الى جملة من الصنائع الاخر .

المدن الكبيرة : المشاكل . . . والحلول

ثم ان المدن الكبار اخذت تعاني من مشاكل جمة سبب كبرها لتلك المشاكل أمثال :

١ ـ عدم سعة المدينة بقدر سعة الافراد ، فمثلا :كانت أرض المدينة لكل فـرد بمقدار خمسين ذراعاً ، ثم صارت بمقدار عشرة أذرع لكثرة النفوس ، وعدم توسعها التوسع المطلوب .

٢ ـ تزايد الضوضاء .

٣ ـ عسر التنقل سواء للانسان أو لحاجياته .

٤ ـ تلوث البيئة لكثرة الملوثات التابعة لكثرة النفوس .

٥ ـ تكثر الجنايات ، حيث ان الجاني يتمكن ان يختفي بسرعة ، وغير

ذلك ـ كما تقدم ـ .

أما كيف يمكن حل مشكلات المدن الكبار ؟ فهو بامور :

١ ـ المواظبة الكاملة بسعة أرض البلد بقدر كثرة السكان بعدملاحظة الوجه الصحيح في احتياج كل فرد الى الكمية اللازمة من الارض .

٢ ـ جعل المرافق بقدر الحاجة مع توزيع المرافق توزيعاً عادلا ، فاذا احتاج كل ألف انسان الى خباز وطبيب وحمام عمومي مثلا : جعل ذلك مع ان يكون كل ذلك في وسط الجماعات ، لاان يكون عشرة من محلات الخبازة في ناحية وتسع نواحي بحاجة الى الذهاب الى تلك الناحية ، الى غيرذلك .

٣ ـ اخراج المعامل ، والمحطات ، والكراجات ، والدوائر الحكومية ، وما أشبه عن البلد ، ببعد ملائم لايسبب الازعاج بعداً ، ولاالصعوبة قرباً .

٤ ـ منع السيارات الشخصية ، وسيارات الاحمال وماأشبه عن العبورفي الاماكن المزدحمة .

٥ ـ تصغير وسائل الحمل والنقل بقدر الامكان ، سواء للانسان أوللحمل حتى لاتحتاج الى أكثر من القدر المحتاج اليه واقعاً .

٦ ـ الدقة الكاملة في سلامة البيئة بالحدائق العامة والنافورات، والساحات العامة، وكثرة الاشجار ، والمياه النظيفة في داخل المدينة وخارجها ، والمنع عن استعمال السيارات للادهان الملوثة وما أشبه ذلك .

٧ ـ الحيلولة دون توسيخ المعامل وما أشبه ، والدقة في تنظيف المدينة والحوانيت ونحوها .

٨ ـ تنظيم المرور تنظيماً دقيقاً ، وصنع الجسور والانفاق ، والطائرات العمودية لاجل عدم صعوبة الانتقال .

٩ ـ شدة الرقابة على الفساد ، وقاية وعلاجاً ، أمثال السطو والسرقة والدهس وبيوت الدعارة وغير ذلك .

١٠ ـ المنع عن الضوضاء أمثالأصوات السيارات والمعامل والقطارات والمكبرات والاجراس ، وغيرذلك .

١١ ـ اعطاء حاجات القرية ، حتى لاينساب أهلها الى المدية ـ وقد تقدم الخلاف في ان توسيع ايهما على حساب الاخر أفضل ؟ ـ .

١٢ ـ تكثير التثقيف الموجب لقلة المشاكل بمختلف الوسائل ، والتي منهاجعل اسابيع [للصحة] و[للنظافة]و[للمرور] و[للتجميل] و[للزراعة] و[للوقاية] وغير ذلك .

بحث في الجمعية

(مسألة ـ ٢٨ـ) الجمعيةعبارة عن جماعة يرتبط بعضهم ببعض، أما بسبب وحدة المحل ،أوالوحدة السياسية ، أوالوحدة القومية ، أوالوحدة الدينية ،أو الوحدةالعرقية ، أوغير ذلك ، والكلام فيها في نواحي متعددة :

أ ـ توزيع الجمعية .

ب ـ تركيب الجمعية .

ج ـ حركة الجمعية .

توزيع الجمعية

١ ـ أما التوزيع فهو عبارة عن تقسيم الجمعية باعتبار المكان ، أو العمر ، أو الجنس أوما أشبه ذلك ، وفائدة هذا التوزيع جعل خصائص لكل جماعة جماعة ، مثل بيان خصائص الاطفال ، أو الشباب ، أو الكهول فان ذلك يساعد لكشف الاسباب والمسببات لحل المشاكل ، فان حلول مشاكل الاطفال غير حلول مشاكل الشباب ، وهكذا .

ولذا اذا قسمت الجمعية باعتبار المكان ، لوحظ المكان ، ولم يلحظ العمر والمكان يشمل مختلف الاعمار ، بينما العمر يشمل العمر الخاص في مختلف الامكنة ، وربما يلاحظ الامران ، مثل نشاط الشباب منضماً الى حرارة الطقس في منطقة كذا ، حيث ان حل المشكلة حينئذ غير حل المشكلة للشباب في الطقس

البارد ، أو للشيوخ في الطقس الحار وهكذا .

تركيب الجمعية

ب ـ وأماالتركيب فهوالهيئة الناشئة من جميع الاقسام،كالمجتمع الفلاني ـ مثلا ـ مركب من القوميات المختلفة ، والاديان المختلفة ، فالحلول يجب ان تكون حلا وحدوياً ، أواشكالياً ، مثلا : قد يراد نجاة ايران المسلمة من استعمار بريطانيا ، وقد يراد نجاة الهند التي يعيش فيها ثلثمائة دين ، فان نجاة كل بلد منهما بشكل غيرنجاة البلد الاخر . . وهكذا في سائر التراكيب .

حركة الجمعية

ج ـ أما حركة الجمعية ، فهي على قسمين :

١ ـ الحركة الكمية ، أي زيادة ونقص الافراد .

٢ ـ الحركة الكيفية ، أى تبدل كيف الجمعية بدون زيادة أو نقص الافراد ، وكلتا هاتين الحركتين ، وان كانت ملازمة للاخرى ، مثل حركة الثمرة ، حيث انها كمية كيفية ، الاان الملاحظ قد يلحظ الكم ، وقد يلحظ الكيف ، ثم بعد ذلك يأتى دور اللحاظ الثانى ، مثلا : زيادة أو نقص عدد الجمعية تلازم تغير الكيفية أيضاً ، وكذلك العكس .

الحركة الكيفية

فالحركة الكيفية عبارة عن :

١ ـ كثرة أو قلة الولادة ،سواءكان السبب الثقافة ، مثل ثقافة تكثير النسل

أو تقليله ، وثقافة تعدد الزوجات أو وحدتها ، أو كان السبب المناخ أو الاقتصاد ، أو غير ذلك .

(٢) وكثرة أو قلة الاموات ، بنحو من الاسباب المتقدمة .

(٣) وطول العمر أو قصره ،وهذا غير الثانى فان بينهما عموماً من وجه اذ قد يكثر الاموات مع طول العمر ، وقد يكون مع قصر العمر ،وقد يكثر العمر مع قلة الاموات .

الحركة الكمية

أما الحركة الكمية ، فهى :

١ ـ بالتبعثر ، وهو مالم يكن تحت ضابط وهدف منظم .

٢ ـ بالهجرة ، وهى ما كان تحت ضابط وهدف منظم ، وكل منهما أما بالمطاردة ، أو بالاختيار ،كما ان كلا من الاختيارين ، اما لاجل دفع محل السكنى ، أو لاجل جذب المحل الجديد ، ومن الواضح ، ان الهجرة توجب تقليل الحركة فى المحل الاول ، وتكثيره فى المهجر، كما ان من الواضح تلازم قلة الكم لقلة الكيف فى الاول ، وكثرته فى الثانى .

والهجرة الاختيارية غالباً تكون :

١ ـ للعلم ، حيث يوجد أو يكثر فى المهجر .

٢ ـ أو للدين ، كما هاجر المسلمون الى المدينة المنورة .

٣ ـ أو للرزق ، حيث تشح الارزاق فى البلد الاول ، وتكثر فى الثانى.

٤ ـ أو للكيان ، كما فعلته اسرائيل الغاصبة .

٥ ـ أو للعدو ، حيث يدهم ـ أو يخاف دهمه ـ البلد الاول .

٦ ـ أو للمرض ، حيث يكون المحل الاول موبوءاً .

والغالب انيهاجر المهاجرون [اذاكانت الهجرة اختيارية ،وكانالمهجر الممكن الوفود اليه متعدداً] الى المهجر المناسب لهم فى المناخ ، ولافرق فى ماذكرناه من الهجرة ،ان تكونداخل خريطة سياسية،أو خارجها ،فالاول: كما اذا ذهب الى بلد آخر فى داخل القطر ، والثانى: كما اذا ذهب الىبلد أجنبي .

ثم الهجرة الاختيارية أحياناً تجب، كما اذاكانت في طلب الايمان، أو التخلص من بلد لايتمكن الانسان فيه من اقامة شعائر الاسلام ، أو في طلب العلم الواجب، أوالرزق الواجب، أوالصحة الواجبة ، أوماأشبه ذلك ، كما انها أحياناً تحرم، كما اذاكانت عكس الصورةالاولى، وأحياناً تكون حسب الاحكام الثلاثة الاخر .

والهجرة قدتطلق أيضاً على الهجرة عن الصفات السيئة والمعاصى، كما ورد في الحديث: (والمهاجر لمنهاجر السيئات)[1] .

وقال علي عليه السلام: (والهجرة قائمة علىحدها الاول،ماكانلله في أهلالارض حاجة، من مستسر الامة ومعلنها، لايقع اسم الهجرة على أحد بمعرفة الحجة في الارض، فمنعرفها وأقر بها فهومهاجر، ولايقع اسم الاستضعاف على من بلغته الحجة فسمعتها اذنه ووعاها قلبه)[2] .

---

(١) مكارم الأخلاق ص ٤٣٨ .

(٢) بحار الأنوارج/٩٧ ص ٩٩

الهجرة من الريف الى المدينة

ثم ان الهجرة قد كثرت في العصر الحاضر، من القرية الى المدينة، و ذلك لسهولة التنقل من ناحية، ولتأخر القرية، ولكثرة المال والعلم والصناعة في المدينة من ناحية ثانية، ولذا أخذت المدن في التوسع والقرى في الانكماش بل والاختفاء أحياناً، وقد تقدم الكلام في حسن تخريب القرى، وتوسيع المدن وعكسه، لكن مما لا كلام فيه انه مادامت القرى متأخرة ، يكون الاقبال على المدن كثيراً .

وحيث ان بعض المدن الصناعية، لاطاقة لها في استيعاب أكثر، وسهل المراودة اليها، أخذ أهل القرى يسعون اليها بمختلف وسائل النقل نهاراً، و يرجعون الى قراهم ليلا، حتى ان بعض تلك المدن يعد الوافدون اليها كل يوم بالملايين، وهذا الامر وان سبب تبعثر العائلة، وحرمان الانسان عن التمتع بالتجمع العائلي المتين الا ان السعي وراء المال ونحوه حال دون ذلك التمتع .

الارض.. والسكان

(مسألة ـ ٢٩ ـ) أغلب سكان الارض تمركزوا في النصف الشمالي من الكرة الارضية ، أما في النصف الجنوبي من الكرة الارضية [هوزهاء ثلث اليابسة من الكرة الارضية] فقدتمركز فيه عشر مجموع البشر ، أما قارات الارض فآسيا من أكثرها سكاناً، حيث يقطنها زهاء نصف البشر، كما ان في اروبا يقطن زهاء ربع البشر .

أما من حيث الالوان زهاء نصف البشر ذو لون أبيض، وهؤلاءيسكنون في بعض نواحي آسيا، وافريقيا الشمالية ، واروبا، وأمريكا، والهند، وزهاء ربع البشر ذو لون أصفر، ويسكنون في بعض آسيا، وجزر البحر الهادي، و يعد من الصفر الاسكيمو، والهنود الحمر في امريكا، أما ذو اللون الاسود و هم مايقارب عشر البشر فيسكنون في افريقيا وامريكا واستراليا وبعض جزر البحر الهاديء .

تراكم السكان .. وأسبابه

أما تراكم السكان فهو في ثلاث مناطق من الارض وهي :

١ ـ الهند والسيلان والبرما .

٢ ـ اليابان والصين الشرقية .

٣ ـ أوروبا بينما أكثر بقاع الارض، وبالاخص شمال آسيا، وامريكا، و قلب امريكا الجنوبية، وافريقيا، واستراليا، يسكنها قلة من البشر، وبين الكثرة والقلة يسكن شمال الولايات المتحدة الامريكية، وبعض جزر آسيا، وامريكا اللاتينية .

ومع ان المناخ ليس السبب الوحيد في تراكم الجمعية وعدمه، الا ان له تأثيراً كبيراً في ذلك سواءكان المناخ :

١ ـ باعتبار الماء والهواء .

٢ ـ أوباعتبار الارتفاع عن سطح البحر وانخفاضه .

٣ ـ أوباعتبار سهولة الارض وصعوبتها .. فالارض ذات الماء القليل و الهواء الشديدة البرودة أوالحرارة لاتصلح للسكنى، حيث يصعب العيش فيها من جهة الانسان ذاته ، أو من جهة عدم النبات و الحيوان الملازمين لحياة الانسان .

والارتفاع والانخفاض مؤثر في حياة الانسان أيضاً، حيث تختلف اليابسة ارتفاعاً وانخفاضاً، فمايقارب نصف اليابسة يرتفع عن سطح البحر ، بمقدار ألف قدم، بينما يصل الارتفاع في بعض النواحي كالنواحي الاستوائية وتبت الى خمسة عشر ألف قدم، وفى عكسه يصل أحياناً الى أقل من الالف .

ثم ان اموراً متعددة لها مدخلية في تكـّون المدن وكثرة التجمع :

١ ـ الماء والهواء والارض: حيث ان حسن هذه الامور تجلب الناس، لان الانسان يقيم حيثما يرى الرفاه، و حسن الثلاثة المذكورة تعطي الرفاه، حيث يستفيد الانسان من الهواء والماء ، ويتمكن من الزرع ورعي الحيوان في الارض الجيدة ذات المناخ الحسن، وتعطي الطبيعة جمالها، في أمثال هذه المناخات .

٢ ـ الدين: فان من طبيعة الانسان تطلّب الدين، فاذا كان محلا مرتبطاً بالديـن التف الناس حوله و كثروا و لذا حدثت مدينة كـربلاء والنجف والكاظمية وسامراء ، وكثر الناس حول هذه البقاع ، وكذلك المشهد وقم و غيرها .

٣ ـ مقابلة الاعداء، حيث ان الثغور ونحوها توجد ويكثر أفرادها من أجل ذلك ، كما حدثت الكوفة في أول الفتـح الاسلامي، و كذلك حدثت في أواسط العراق ، حيث ان أهالي الكوفة بعد علي عليه السلام تشيعوا، وبذلك لـم يتمكن بنوا اميـة من اقرار أمنهم في العراق فاضطروا الى جعل بعض جيش الشام قرب الكوفة التي كانت عاصمة المنطقة الشرقية للبلاد الاسلامية آنذاك .

٤ ـ تقدم الاقتصاد ، حيث انه اذا تحسن الاقتـصاد في بلد جلب الناس حوله، كما نشاهده في العصر الحاضر في بعض بلاد الخليج ، حيث تفجرت ينابيع النفط، فجذبت الناس حول نفسها ، مع عدم مساعدة الماء والهواء و الارض ... حيث ان الانسان ليس مقهوراً للطبيعة، بل يقهرها بحيث يتمكن من سكناها برفاه .

دور الثقافة في ازدياد الافراد

ثم ان تقدم ثقافة الاجتماع، يوجب تكثر أفراد المجتمع، وذلك لأن العلم يوجب :

١ ـ تقدم الاقتصاد، فان الاقتصاد يبنى على :

أ ـ الزراعة ب ـ والصناعة ج ـ والتجارة د ـ والحيازة، و كلها تتحسن و تتقدم بواسطة تقدم العلم ، و قد تقدم ان الاقتصاد الحسن يوجب تجمع الافراد .

الثقافة .. وكثرة الولادة

٢ ـ وكثرة الولادة، حيث ان عدم الولادة مبني على :

(أ) عدم الزواج .

(ب) قلة الزواج .

(ج) عدم الاستيلاد، وكل ذلك ينتفي بسبب التقدم الثقافي، حيث التقدم الاقتصادي الموجب لامكانية الزواج ، والتقدم الثقافي الموجب لفهم الحياة، وان الزواج من أسباب الرفاه، ولذا قال سبحانه: «ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله»[1] فان الزوج اذا عرف ان ورائه مسئولية العائلة يكدح أكثر كما ان الزوجة حيث لها علاقة بالزوج والاولاد تكدح لرفاه حياتهم ، ومن المعلوم ان التعاون يوجب التقدم الاقتصادي، فالزواج يسبب الغنى من جهة الاندفاع النفسي، ومن جهة التعاون العملي .

ثم الاولاد بدورهم أيضاً يتعاونون في الرفاه الاقتصادي للعائلة .

هذا بالاضافة الى ان الزواج يقف سداً دون الأمراض النفسية في كلا الطرفين ، والامراض الجسدية ، فقد ثبت في علم النفس ان عدم الزواج يوجب العقد النفسية.. والامراض الجسدية حيث ان عدم الزواج بوجبها كما ثبت في علم الطب .

هذا بالاضافة الى ان عدم الزواج يوجب الانحراف والشذوذ الجنسي، وكلاهما مبعث الامراض الكثيرة ، والتي بدورها تحطم الاقتصاد من جهة ان المريض لايتمكن من العمل، ومن جهة ان المريض يحتاج الى صرف المال لشفائه أولعدم ترديه أكثر .

---

(١) سورة النور آية ٣٢ .

وقدحرض الاسلام على كثرة الاولاد، فقال النبي ﷺ: (تناكحوا تناسلوا تكثروا فاني اباهي بكم الامم يوم القيامة ولو بالسقط)[1].

وربما يتوهم ان الكرة الارضية لاتتحمل كثرة البشر من حيث المساحة ومن حيث المواد ، وفي كلا الامرين نظر ، حيث ان أغلب مساحة الارض فارغة الان بالاضافة الى امكان سكنى البحار، وسكنى الجو ، بسبب البيوت الاقمارية، وأما المواد فهي كافية لعشرات أضعاف البشر الحالي [وهم زهاء أربعة مليارات ونصف] كما يمكن زراعة البحر وغيرذلك .

ان الذي حال دون كفاية البشر هي الانظمة الرأسمالية والشيوعية، حيث الاستغلال الفاحش، وصرف كثير من خيرات البشر في وسائل التدمير، و الحيلولة دون نمو الكفاءات بسبب كبت الحريات، لابالنسبة الى العالم الثالث فحسب ، بل بالنسبة الى نفس العالمين الشرقي والغربي أيضاً، أماالعالم الشرقي فنظامه مبني على [ديكتاتورية البروليتاريا] وأما العالم الغربي فرأس المال يكبت الحريات وقد ذكرنا بعض تفصيل ذلك في الفقه [الاقتصاد والسياسة] .

الثقافة ... وقلة الموت

٣ ـ قلة الموت [غير الطبيعي] فان الموت غير الطبيعي يقلل من أفراد المجتمع، فان نسبة الموت الى الولادة على ثلاثة أقسام :

أ ـ التساوي، وفي هذه الصورة يبقى المجتمع ثابتاً لايزيد ولاينقص .

ب ـ أكثرية الموت، وفي هذه الصورة يأخذ المجتمع في النقص .

ج ـ أكثرية الولادة ، وفي هذه الصورة يأخذ المجتمع في الزيادة .

---

(١) بحار الأنوار ج/١٠٠ ص ٢٢٠ .

واذا تقدمت الثقافة دفع المجتمع الموت غيرالطبيعي، بوسائل الوقاية. وبوسائل العلاج، وحينذاك لايكون الموت غيرالطبيعي ، وحيث ان الولادة ـ بطبعها، كما دلت الاحصاءات بلهوملموس لكل ملاحظ ـ أكثر من الموت يأخذ المجتمع في الكثرة، أي التقدم الكمي، وقدقرر الاسلام، لزوم الوقاية، حتى ان خوف الضرر يمنع من الوضوء والغسل، ومن الصلاة قائماً ونحوها ومن الصوم و من الحج، الى غيرها ، كما قرر لزوم العلاج ، حتى بأشد المحرمات كالخمر ولحم الخنزير، كما دكروه في كتاب: [الاطعمةوالاشربة] وغيره .

الثقافة .. وطول العمر

٤ ـ طول العمر، فان الثقافة توجبطول عمر الانسان حيث :

أ ـ توفر وسائل الوقاية .

ب ـ ووسائل العلاج .

ج ـ وما يسبب تنمية الحياة ، فان الانسان قابل لان يطول عمره مئات السنوات، وقدورد في الاحاديث، ان العمر في زمان الامام المهدي عجل الله فرجه، يطول كثيراً، ولعل ذلك لتقدم الثقافة والاقتصاد حينذاك، حيث ترتفع وصايةالديكتاتوريين عن البشر، كما فيالحال، فالثقافة تعم وتتقدم ، والرفاه يكون شاملا، ولعل ما قيل من ان السماء تمطر جراداً ذهباً كناية عن التقدم الاقتصادي الكبير .

وقددلت جملة من التواريخ، وأيدته الايات والروايات، ان اعمار البشر في فترة كانت طويلة، بلأحياناً طويلة جداً، قال تعالى: «فلبث فيهم ألف سنة

الا خمسين عاماً»[١].

وقال علي عليه السلام: (من كـان أطـول منكم أعمـاراً)[٢].

نعم في بعض فترات التاريخ قلّ العمــر حتى ان بعض العلماء ذكر ان في العصر الفلاني وصل العمر الى [١٨] سنة، ووصل في القرون الوسطى في البلاد الاروبية الى [٣٣] وفي العصر الحاضر تخـتلف البلاد طولا وقصراً، ففي البلاد التي يكون فيها رفاه أكثر ووقاية وعلاج أحسن يمتد العمر أكثر من امتداده في بلاد ليست كذلك، ولذا ذكرت احصاءات ان طول العمر في امريكا واروبا أكثر من طوله في آسيا وافريقيا .

وقدحرض الاسلام على طول العمر حتى ورد في الأدعية: (وطول عمري في خير وعافية) والظاهر ان الأدعية [بالاضافة الى كونها طلباً من الله سبحانه، بان يفعل تعالى الاسباب الغيبية لذلك] الماع الى تهيئة وسائل المطلوب مثل: (اللهم اغن كل فقير، اللهم اشبع كل جائع ، اللهم اكس كل عريان، اللــهم اقض دين كل مدين ، اللــهم فرج عن كل مكروب)[٣] الى غير ذلك بأن يساهم الانسان في تلك الامور، لاان يدعو بلقلقة اللسان فقط ثم يأخذ طريقه ولايهتم بشيء .

الانفجار السكاني والتخطيط الدقيق

بقي شيء، وهو تصاعد نفوس البشر كماً، اذا لم يصادف التخطيط الدقيق

---

(١) سورة العنكبوت آية ١٤ .

(٢) نهج البلاغة /صالح/ ص ٣٤٨ .

(٣) ضياء الصالحين (في أدعية شهر رمضان) ص ٥٥ .

لتصاعد تلبية الحاجيات ، سبب مشاكل جمة ، والمعارض الوحيد للتخطيط الصحيح الدقيق، هم الحكومات الغربية والشرقية، بما فى فلكهما، لا بالنسبة الى البلاد المستعمرة فحسب، بل بالنسبة الى شعوب بلاد الشرق والغرب أيضاً أما روسيا، فأغلبية الناس لاينالون حتى حوائجهم الاولية، وأسوء منها البلاد التي استعمرتها روسيا ، وأما امريكا فما لايقل من (٢٥) مليون فيها فقراء على ما صرح به مستشار الامن القومي لها، فاذا كان ذلك حال أغنى البلاد ، فما هي حال بلاد اروبا ؟ وبالاسوء حال مستعمرات تلك البلاد، فان الاستعمار من الخارج والاستغلال في الداخل يذران البلاد بلاقع .

ومادام العلم والحكم والثروة لم تحرر، ترتطم البشرية فى مشاكل جمة، لا بالنسبة الى الضيوف الجدد [من المواليد] بل بالنسبة الى الجيل المعاصر أيضاً ..

وكيف كان، فاللازم ان تتصاعد تلبية الحاجيات تصاعداً هندسياً، كما يتصاعد المواليد تصاعداً هندسياً ، أما ان تتصاعد تلبية الحاجيات تصاعداً عددياً فتلك هي الكارثة .

واللازم في الخطة التي توضع لتصعيد تلبية الحاجيات ان تكون خطة سباعية :

(١) اعطاء الامور بيد الناس، بدل أن تكون بيد الحكومات فان الناس أعرف بسدّ حاجاتهم مثلا: الدولة تعلن احتياج البلاد، الى مطارات وقطارات ومعامل ومواصلات وتلفونات وماأشبه ، وتحدد الارباح ومدة استيفائها ، ثم تدع كل تلك الى الناس ليؤسسوها وتشرف حتى لايجحف البناة لها، في مثل هذه الخطة :

(١) خفة حمل الدولة حتى تتمكن من القيام بمهامها خير قيام .

(٢) اطلاق الحريات .

(٣) ظهور الكفاءات .

(٤) اعطاء الحاجيات .

(٥) ابقاء الوئام بين الدولة و الامة ، اذ الكبت والديكتاتورية ، وعدم وصول الناس الى حاجاتهم من أقوى أسباب الانفجار والثورة .

(ب) توسيع المدن، بمايكفي لمدة خمسين سنة مثلا .

(ج) تهيئة وسائل التعليم والتربية .

(د) تهيئة وسائل الصحة .

(هـ) المواصلات الكافية .

(و) توسعة أجهزة الدولة، كالامن والقضاة، والنجدة، ومأأشبه .

(ز) تهيئة لوازم الحياة الاولية ،كالمأكل ، والمشرب، والملبس، والثانوية كالكماليات والحدائق ، وغيرذلك .

هل الارض تكفى ؟

والارض قابلة للسكنى والزراعة وغيرها ، فمجموع مساحة اليابسة زهاء خمسة عشر مليون هكتاراً، والقدر المزروع في الحال الحاضر ، زهاء سبعة فى المائة ، والمعلوم ان الاستفادة الكيفية من تلك السبعة ـ أيضاً ـ ليست بالمستوى المطلوب . . . فاذا فرض زراعة الكل وبالمستوى المطلوب ، لكفى مقدار عشرين ضعف البشر الحالي ، هذا مع الغض عن امكان زراعة البحر .

والوسائل الصناعية موجودة ، وبالامكان تكثيرها ، مما يسبب سهولة

الزراعة ، ومن الواضح ، ان الزراعة لاتعطي حاجيات الاكل ، بل وكثيراً من الحاجيات ، امثال الاخشاب للبناء والقطن ونحوه للباس، الى غير ذلك [انظر كتاب آفاق لاتحد، ونحوه] أما المسكن ؟ فالشركات الاهلية [غير الاستعمارية ولا الاستغلالية] بامكانها ان تهييء للكل في مدة قصيرة .

قال سبحانه : « ألم نجعل الارض كفاتاً احياءاً واموانا »(١) .

نعم ، المعادن غير الدورية أخذت في النفاد ، الا ان من الممكن وضع برنامج صحيح لها لتكفي لما لايقل من ألف سنة ، ثم نواة الارض كلها معادن بالاضافة الى امكان الاستفادة بعد ذلك من سائر الكواكب .

وأما سعة سطح الارض لاستيعاب الضيوف القادمين ، ولو كانوا عشرات المرات أكثر من الجيل المعاصر، فتعلم من ان كثيراً من الاراضي القابلة للسكنى بائرة ـ في الحال الحاضر ـ بالاضافة الى امكانية التجمع ، فمثلا : يسكن في كل كيلومتر مربع في :

١ ـ بريطانيا كل (١٩٥) شخصاً .

٢ ـ وفي الهند (٩٠) .

٣ ـ وفي الصين (٤١) .

٤ ـ وفي الولايات المتحدة (١٧) .

٥ ـ وفي الاتحاد السوفيتي(٨) ، الى غير ذلك، فلا يمكن ان يكون الجميع كبريطانيا ؟ بل هي أيضاً قابلة للتجمع الاكثر مع عدم الضغط ، هذا بالاضافة الى ماتقدم من سكنى البحر والفضاء .

---

(١) سورة المرسلات آية ٢٥ .

عوامل ارتفاع مستوى المعيشة

وكيف كان ، فارتفاع وانخفاض سطح المعيشة وليد عوامل خمس :

أ ـ القانون الصحيح ، فانه هو الذي يوجب تصفية داخل الانسان، وتنظيم خارجه ، وذلك لايوجد الافي الاسلام ،كما دل عليه الدليل .

قال سبحانه : «ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه * وهو في الاخرة من الخاسرين»(١) .

وقال عزوجل : « فقلت استغفروا ربكم انه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً * ويمددكم بأموال وبنين* ويجعل لكم جنات* ويجعل لكم انهاراً»(٢) الى غيرهما من الآيات والروايات .

ب ـ المنابع الطبيعية، ومن الواضح ان المنابع الطبيعية المخلوقة في الارض كافية لكل البشر[الاان التقسيمات الجغرافية الناشئة من الجهل والاستعلاء سببت غنى منطقة ، وفقر منطقة] . . بل من الممكن الاستفادة من نور الشمس و شلال الماء ، ومجرى الهواء لتشغيل مختلف المعامل بدل الوقود ، بل صنع الطعام أيضاً .

ج ـ الاختراعات ، فان المكتشفات الحديثة تساعد على ترفيع مستوى المعيشة واعطاء الرفاه الكافي للمجتمع ، فان وسائل الزراعة الحديثة، ووسائل صنع الطعام من مختلف الاشياء، والاستفادة من الشلالات ، وغير ذلك توجب ترفيع مستوى المعيشة ، والعالم يلهث ـ في الحال الحاضر ـ لارجاع الوقود الذي يتبدد في الهواء ، ويقال : انه اذا وصل العلم الى ذلك ، تقدمت الحضارة بمايساوي مائة ألف سنة [انظر صدمة المستقبل] .

---

(١) سورة آل عمران آية ٨٥ .

(٢) سورة نوح آية ١٠ .

د ـ النظام الاجتماعي، فانه اذا كان صحيحاً بماسبب تنسيق المجتمع ،كان سبباً لترفيع مستوى المعيشة

هـ ـ كثرة وقلة الجمعية فانهما مع الاساليب الصحيحة يعينان على ترفيع المستوى أيضاً ، فهذه العوامل الخمس ـ معاً ـ تعين مستوى المعيشة ، ارتفاعاً أو انخفاضاً .

المؤسسات الاجتماعية

(مسألة ـ ٣٠ـ) الاجتماع البشري مع تبعثر أفراده له تنسيق، وكل يعمل في ذلك التنسيق .

١ ـ لاجل ان البشر خلق هكذا ، فهو يحب العمل في ضمن المجموعة .

٢ ـ ولاجل ان التقدم وقضاء الحوائج ، انما يكون بالعمل التنسيقي ، وهذا التنسيق يتحقق حتى مع تعارض أفراده بعضهم مع بعض ، وكذلك في داخل الاجتماع، تعمل المؤسسات بتنسيق ، أي ان كل مؤسسة تكون مع المؤسسة الاخرى في تنسيق .

فمثلا : المؤسسة الاقتصادية تقوم بتوفير الجهات الاقتصادية لمؤسسة تربوية، والثانية تقوم بتوفير الجهات التربوية للاولى ، وهكذا . .

وهذا التنسيق ، سواء كان بين أفراد الاجتماع ، أوبين المؤسسات أوبين الافراد والمؤسسات ، يسمى بـ[النظم] و بـ[النظام] وهذا النظم هو روح الاجتماع ، بلى يمكن ان يقال بالتساوي بين الامرين، فالنظام يساوي الاجتماع وبالعكس .

والفرق بين النظم والنظام ، ان الثاني وليد الاول ، وان كان ربما يطلق كل واحد منهما مكان الاخر . . وكما ان الانسان له [فكرة] و[قول] و[سيرة] و[عمل] وان الثالث عبارة عن كيفية امتداد حياته والرابع عبارة عن فعله

وانتاجه ، كذلك المؤسسة لها تلك الامور الاربعة ، اذ المؤسسة تنطوي على فكرة خاصة ، كالفكرة التثقيفية ، ثم الدعاية والاعلان ، ثـم منهجها في حياة نفسها ، ثم انتاجها وعملها .

ومـن الواضح ان تغيير فكرة المؤسسة يؤثر في الثلاثة الاخر فاذا كانت مؤسسة اقتصادية نقدية، ثم نظمت نفسها لتكون مؤسسة اقتصادية تجارية، تغيرت كل اساليبها الثلاثة الاخر .

المؤسسة والاعراف الاجتماعية

والمؤسسة تبقى حية مادامت تعمل ، فاذا تركت العمل ماتت وتلاشت.

والمؤسسة حالها حال الفرد في انه قد يكون يعمل طبق الموازين العرفية وفي هذا الحال تدوم المؤسسة ، أما اذا عملت المؤسسة على خلاف العرف السائد ـ كان تعمل مؤسسة اقتصادية في البلاد الرأسمالية على طبق الموازين الاشتراكية ـ فانها تعد منحرفة ، فـان دامت في الانحراف ، فاما ان يغلقهـا الاجتماع بمختلف الوسائل والسبل ـ والتى اخيرها القوة ـ وأما ان تتمكن من اثبات نفسها بسبب مالها من مقومات اجتماعية . . واذا بقيت غيرت من الاجتماع بعض الشيء على لون نفسها .

وذلك لان الاجتماع لايتحمل وجود المخالف، فرداً أومؤسسة أوجماعة ، فهو يغير المنحرف [أولا] بالنصح والارشاد [وثانياً] بالاستهزاء والهمز وما اشبه [وثالثاً] بالتفرق من حوله حتى يذوى تلقائياً ، [وأخيراً] بالقوة، مثل سجن المنحرف أوقتله، وغلق المؤسسة المنحرفة وهكذا ، نعم اذا تمكن المنحرف عن الاجتماع ، أوالمؤسسة كذلك اثبات صحة طريقته مماقنع الاجتماع بذلك جلب الاجتماع الى نفسه ، وكذا نرى تقلب الاجتماع بسبب المصلحين ، كما

نرى تقلبهم بسبب من يلبس ثوب الاصلاح، وان كان كلاهما رميا ـ أول عملهما ـ بالانحراف .

بين المؤسسة والمؤسسات الاخرى

و كما تعمل المؤسسات في المجتمع معاً ، كذلك تعمل أجزاء المؤسسة الواحدة معاً ، حالهما حال أجزاء بدن الانسان ، وعملهما على ثلاثة أقسام:

١ ـ العمل فى زمان واحد بدون رتبة مثل ان تعمل مؤسسة اقتصادية الى جنب عمل مؤسسة سياسية .

٢ ـ العمل في زمان واحد مع الرتبة كان تعمل مؤسسة الحلج في رتبة متقدمة على عمل مؤسسة النسج ، وان كانتا تعملان في زمان واحد .

٣ ـ العمل في زمانين كعمل مؤسسة حصد القصب قبل عمل مؤسسة صنع السكر .

ومثالها في البدن عمل العين والأذن معاً، وعمل القلب قبل عمل الشرايين ـ رتبة ـ وعمل الجفن قبل عمل العين بالنظر ، واذا كان العمل رتبياً يلـزم ملاحظة التنسيق ، لاان يعمل أحدهما أكثر، فان ذلك يوجب فوضى في عملهما فاذا عمل المتقدم أكثر ، لم يطق المتأخر الاستيعاب ، واذا عمل المؤخر أكثر لزم توقفه عنه عدم وصول الوقود اللازم اليه .

والمؤسسات على قسمين : قسم يحتوى على عدة أفراد لهم عمل واحد وقسم يحتوى على عدة مؤسسات صغيرة ، أما تعمل كل في اتجاه واحد عام أو في عدة اتجاهات مثلا: مؤسسة الخياطة تعمل فروعها في امور شتى، مثل القص ، والخياطة والكي وماأشبه، والاطار العام للكل واحد ، بينما مؤسسة تربوية كبيرة ، يعمل فرع منها في المدارس ، وفرع في التمثيليات ، وفرع في الطباعة ، وهكذا .

مهمات المؤسسة

واللازم في المؤسسة ملاحظة أمرين :

١ ـ التنسيق في العمل والنمو والضمور .

٢ ـ ملاء الفراغ بالقدر الممكن ، فاذاكانت مؤسسة سياسية لهـا فروع التربية السياسية، والدعاية، وتكثير الافراد، وجمع المال، كان اللازم ان يحصل فرع المال على مقدار من المال يكفي للفروع المذكورة ، كما ان على فرع التربية ان يربي بقدر الافراد المنخرطين في فروع المؤسسة، وهكذا . . فاذا ضمر المال مثلا: قللوا من الكل، واذا نمى المال انموا من الكل، وكذلك الحال فى سائر الفروع .

أما بالنسبة الى ملاء الفراغ : فان المؤسسات لها امكانيات تختلف سعة وضيقاً حسب قوة وضعف المؤسسة، والغالب ان المؤسسة لاتملأ فراغاتها ، ولاتستغل قدراتها، وبذلك تهدر الطاقات ، بما لو استغلت أتت بثمار طيبة ... مثلا : اذا كانت المؤسسة تربوية ولها عشرة أعضاء كان لاولئك مقدار عشرة في المائة من الوجاهة لجمع المال، ولجذب الشباب ، لكنهم يصرفون خمسة في المائة من تلك الوجاهة ، فتبقى الخمسة الباقية معطلة وهكذا.

والقدرة على ملاء الفراغ غير اعمال تلك القدرة ، فاللازم على المؤسسة وضع المنهاج الكامل لاستنفاد تلك القدرات: وملاء فراغ تلك الطاقات وبذلك تكون المؤسسة آخذة في التقدم والصعود.

ومن المعلوم ان قدرة المؤسسة ليست بقدر قدرة أفرادها ـ فرداً فرداً ـ بل تتضاعف القدرة، أضعاف قدرة كل فرد فرد، فاذا كانت قدرة عشرة أفراد مبعثرين بقدر تربية مائة فرد ـ كل فرد يربي عشرة ـ كانت قدرة العشرة المجتمعة

بقدر تربية خمسمائة فرد ـ مثلا ـ ينظرون في عشرة صفوف ، و يتبادل أفراد المؤسسة في الصفوف المذكورة، حسب المنهاج المدرسي المنظم، وبذلك تكون النتيجة خمسة أضعاف نتيجة الافراد المبعثرين .

ثم اللازم على القائمين بالمؤسسة، أن يلاحظوا ان لايتجاوزهم الزمان، فاذا تجاوزهم الزمان يلزم عليهم، ان يلائموا مؤسستهم مع الزمان، والا كان صرفاً للطاقات البشرية والمادية في غيرمورد ... حتى اذا كان الزمان مربمقدار واحد في المائة ، يلزم اللحوق بالزمان والا كان هدراً بمقدار ذلك الواحد مثلا : مؤسسة للمواصلات بين بلدين تستعمل سيارات كبيرة، ثم تغيرالزمان وأخذت السيارات الصغيرة تستعمل هناك،فان بقاء المؤسسة على حالتها السابقة لاينتج الا هدر طاقات المؤسسة .

انواع المؤسسات

و كل مؤسسة تصنف في الصنف الذي تعمل لاجله، فالمؤسسة التي تعمل لاجل ترفيع المستوى الثقافي، تصنف في ضمن المؤسسات الثقافية، وما تعمل لاجل الوقاية والعلاج . تصنف في ضمن المؤسسات الصحيحة ، وهكذا ، و الصعب في الامر ان تصنف المؤسسة في نطاق عمل ، بينما هي تعمل لاجل شيء آخر ، كما هو الحال في الاعمال الامنية والاحزاب السرية ، حيث ان الحزب مثلا يعمل لاجل تبديل السلطة الى سلطة ملائمة في نظر المؤسسة، بينما يضطر أعضائها الى تغطية أعمالهم بغطاء تجاري أو ثقافي أو ما أشبه ... وعلى مثل هذه المؤسسة العمل المضاعف سراً واقعاً ، وعلناً تغطية.

والمؤسسة :

١ ـ قد تؤسس لاجل التوجه الى داخلها ، مثل العائلة ، ومؤسسةالرياضة

البدنية، حيث انهما تتوجهان الى داخل المؤسسة، ولاهم لهما خارج أفراد العائلة، وخارج الافراد في المؤسسة الرياضية.

٢ ـ وقد تؤسس لاجل الخارج، كالمؤسسة الصحية للاطباء، والمؤسسة الدفاعية للمحامين، حيث ان همهما علاج الفقراء من المرضى، والدفاع عن المعوزين من المظلومين.

وتقسم المؤسسات الى ثلاثة أقسام:

١ ـ المؤسسة الرسمية وهي المؤسسات الحكومية المرتبطة بادارة البلاد والعباد.

٢ ـ المؤسسة شبه الرسمية، وهي التي تشترك فيها الحكومة والاهالي.

٣ ـ المؤسسة غير الرسمية، وهي التي اسسها الاهالي، وهذه الاسماء على هذه المؤسسات اصطلاح، كما هو واضح.

والغالب ان المؤسسات الحكومية تخلو من العطف والنشاط والحركة الحارة، وذلك لان الموظفين في أكثر الاوقات يريدون بالوظيفة المعاش أو المكانة الاجتماعية التي تحصل لهم بسبب انتسابهم الى الدولة، وبذلك يتمكنون من نيل مكانة مرموقة ـ بقدر رفعة الوظيفة ـ ومن تمشية امورهم، ولذا لا يهتمون بعد ذلك بالعمل.

وهذا الجمود يكثر في الحكومات الديكتاتورية، ويقل في الحكومات الاستشارية، حيث تنافس الاحزاب المتصارعة على الحكم... بينما المؤسسات غير الرسمية على العكس من المؤسسات الرسمية، والمؤسسات شبه الرسمية متوسطة بينهما.

وعلاج ان يكون أفراد المؤسسة بالمستوى المطلوب من العمل.

١ ـ وجود الايمان في باطن الانسان، فان الايمان من أشد المحفزات للخدمة والعمل والتقدم، ولايعادله شيء ، ولذا كان للمؤمنين بالله واليوم الاخر ـ على طول التاريخ ـ نشاط وحركة غريبان.

٢ ـ رقابة الدولة رقابة حكيمة .

٣ ـ رقابة الطرف الاخر من حزب أو مؤسسة أو ماأشبه، فان وقوع الانسان فى التنافس يعطيه دفعاً كبيراً .

٤ ـ ان يكون سعي الانسان لنفسه، سواء من جهة العلم ،أو من جهة القدرة أو من جهة المال، أو من جهة الشهرة ، أما ان يعمل الانسان ليكون سعيه فى كيس الدولة، كما فى الحكومات الشيوعية ، أو فى كيس الرأسمالى ، كما فى الحكومات الرأسمالية، فذلك مما يثبط الانسان عن العمل .

ثم المؤسسة أما ان تنشأ للعلاقات الاولية، مثل العائلة فانها مؤسسة انشئت من جهة العلاقة الاولية بين الزوجين والاباء والاولاد، وأما ان تنشأ للعلاقات الثانوية مثل ادارة الدولة، حيث انها تنشأ لا بذاتها، بل باعتبار تنظيم الاجتماع وحفظ العدالة، والغالب ان المؤسسة الاولية يكون بين اعضائها الحرارة و النشاط والحب، بينما المؤسسة الثانوية يكون بين أعضائها الجمود الا بقدر مايفرضه العمل من التبادل والتآلف .

وربما تنشأ في داخل مؤسسة ثانوية مؤسسة أولية، حيث يكون بين جملة من اعضاء تلك المؤسسة الثانوية، صداقة وتآلف وحب ، وفي هذه الصورة تنشط المؤسسة الثانوية، حيث ان نشاط المؤسسة الاولية التي في داخلها يبعث على التحرك والاندفاع ، ولذا تحاول المؤسسات الثانوية ايجاد هذا النوع من النشاط في داخلها، بسبب منظمة رياضية، أو كشافة موسمية ، أو

تدريب على الكارتية والسلاح، أوجعل جوائز في مجالات تنافسية ، أونحو ذلك .

ثم المؤسسة :

١ - قدتنشأ لاعطاء الحاجات الاولية للانسان، مثل المؤسسات الدينية، حيث ان الدين فطري للانسان، وحتى الذين ينكرون الدين كالطبيعيين، فانما يغيرون الاسم والافهم يعترفون بدين مبعثه الطبيعة، بينما المتدينون ـ اصطلاحاً ـ كالمسلمين يعترفون بدين ينبعث عن الله سبحانه، ومثل المؤسسات الاقتصادية ونحوها حيث انها تعطي الحاجات الاساسية للانسان، ولذا فهذه المؤسسات موجودة حتى في سكان الكهوف والغابات .

٢ ـ وقدتنشأ لاعطاء الحاجات الثانوية .

أ ـ سواءكانت سهيمة في تقديم الحضارة، كالمؤسسات الثقافية والصناعية والاخلاقية والتربوية .

ب ـ أولم تكن كالمؤسسات التي تنشأ لاجل السياحة، والسفر، والسباحة والفن، وماأشبه .

الانشطار والاندماج فى المؤسسة

وحيث ان الانسان ذو ابعاد، فالمؤسسة التي تعني ببعد واحد من أبعاد الانسان لابد لها من :

أ ـ الانشطار حيث ترى الحاجة الى الاختصاص ، مثلا: المؤسسة الطبية لعلاج بدن الانسان ، لايمر عليها زمان الا وتنشطر الى مؤسستين احداهما للروح [العلاجات النفسية] والاخرى للجسد، وهكذا المؤسسة الجسدية تنشطر

الى مؤسسة للاطفال واخرى للكبار وهكذا .

ب ـ والاندماج حيث يدخل الارتباط ببعد في الارتباط ببعد آخر، ففي مثال المؤسسة الطبية تندمج في مؤسسة الصيدلة، لان الطبيب بحاجة الى التيقن من الدواء لغرض سلامة المريض ... أو تندمج في مؤسسة السياسة، حيث تحتاج المؤسسة الى من يدافع عن آرائها، وذلك شأن السياسي، مثلا: ترى المؤسسة الاحتياج الى التعقيمات الصحية لظهور بوادر الوباء ، فاذا لم يكن للمؤسسة جناح سياسي، لم تصل المؤسسة الى هدفها ، فلابد لها من جعل ذلك الجناح وهكذا.

نفوذ الطبقية في المؤسسات

وحيث ان المؤسسات غالباً بحاجة الى الحماية السياسيــة، والى المال، لالبقائها فقط ، بل لنموها وتقدمها، تسرع الطبقية المنحرفـة الى الدخول في المؤسسات [و قلنا : المنحرفة ، لان التفاوت السليم ـ وهو ما كان بقدر حق الانسان ـ لاخوف منه، بل اللازم وجوده، والا كان خلاف اعطاء كل ذي حق حقه] .

وأحياناً تتحول المؤسسة التي وضعت لخدمــة الناس الى مؤسسة تكون وبالا على الناس، مثلا: جماعة يؤسسون محلات تعاونية لغرض ايصال البضاعة الى الناس بالقيمة العادلة ، واذا بالرأسمالية المنحرفة تدخل أنفها في المؤسسة وتتوسع حتى تأخذ المؤسسة بيدها، وتكون المؤسسة حينئذ آلة لامتصاص المزيد من أموال الفقراء ، لتكون دولة بين الاغنياء .

وكذلك أحياناً تؤسس مؤسسة لتثقيف أولاد الناس ، واذا بالدكتاتورية تدس أنفها في المؤسسة، لتحتكرها لاجل دعايتها، ولاجل أن تمتص منها الدم

الجديد، ليكون وقوداً للمزيد من كبت الناس وارهابهم وتقوية سلطانها .

ولذا يجب على أصحاب المؤسسات الخيرية، ان يهتموا بجعل الشروط والمواثيق لئلا تنقلب المؤسسة الى ضد اغراضهم الشريفة .

الفقراء .. والمؤسسات

ومع ذلك يبقى شيء وهو ان الطبقةالفقيرة ـ الذين ظلموا بتحالفالدولة مع الرأسمالية، أوباستيلاء الدولة على رأسالمال، وفي كلا الحالين اكملت أتعابهم ـ هي بنفسها تنسحب عن ميدان تأسيس المؤسسات أولا، وعنميدان البقاء في المؤسسات بعد أن أسسوها، وذلك لان اشتغال هذه الطبقـة بامور معاشها لايدع لها وقتاً للاشتراك ، فلاتؤسسواذا اسست تنسحب بسرعةلتملاء مكانها الطبقة الغنية التي يسير أمر معاشها بيسر .

لكن هذا أيضاً تابع لاخذ الفرص من الطبقة الفقيـرة قبل ذلك ، فالمهم علاج المشكلة جذرياً حتى يكون لكل أتعابه في جوصالح، فان العلموالقدرة والمال اذا فقدت في طبقة، ووجدت في اخرى،كانت الخيرات للثانيةوحرمت منها الاخرى، فانالمؤسسة تحتاج الى العلم والى القدرة والى المال وحيث لمتكن الثلاثة متاحة لكلمن يسعى استغلها جماعة، وحرم منها جماعة،وبذلك يحرمون أيضاً، عنسائر آثار هذه الثلاثة .

هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى، الطبقة الفقيرة لاتقدر على المؤسسات الرفيعة، مثل المؤسسات الحربية ، حيـث تحتاج الى السلاح، والمؤسسات الثقافيـة ، حيث تحتاج الى العلم ، والمؤسسات المالية ، حيث تحتاج الى المال، وهذه الطبقة محرومة عنكل ذلك، فان المؤسسة لاتوضع الا فيالجو المناسب لها، فمؤسسة البنوك مننصيب الاغنياءِ ،ومؤسسة صنع الجامعات ،

من نصيب كبار المثقفين ، ومؤسسة استخراج السلاح وتنظيمـه من نصيب كبار العسكريين .

كبر المجتمع يتطلب كثرة المؤسسات

والمجتمع كلماصار أكبر،وصارت حرياته أكثر، صار أكثر تعقيداً،وكلما كثر تعقيد المجتمع احتاج الى مؤسسات أكثر، فان المجتمع الحر ينتج ويصنع أكثر، لان حرية الظهور تفسح أمام الكفاءات، وكلما كان الانتاج والصناعة أكثر،كان التعقيد أكثر .

مثلا: البلد الذي لاحرية فيه للثقافة لا مجلة له ولا صحيفة ولا راديو ولا تلفزيون ولا نوادي ثقافية، ولامطابع ومايتبعها [مثل محلات بيع الكتب، و المكتبات،ومعامل التجليد، وهكذا] ..

أما البلد الذي لـه هذه الحريـة فتخرج فيها عشرة صحف، كل صحيـفة نحاول تحسين مطالبها، وتكثير قرائـها، فاذا دخلت الصحافـة في حياة البلد كثرت أعمال أهل البلد قرائة وكتابةو .... وبذلك يتعقد الاجتماع، ويحتاج الى مؤسسات صحافية، ومؤسسات لحماية المستـهلك عن الافكار المنحرفة، وعن غلاءِ الصحف، وهكذا بالنسبة الى سائر فروع الثقافة، وكذلك في سائر أقسام الصناعة والانتاج .

ولهذا السبب لايكون تعقيد في الامم البدائيـة ولا مؤسسات كثيرة ، بل المؤسسة الواحدةكانـت تكفي لنجاح عدة امور ، مثلا: كانـت العائلة تؤدي التربية والتعليم، وصنع الغذاءِ والكساء والمسكن، بل وحتى صنع المركب حيث كانت لها دواب تتوالد بما يكفي الاولاد في المستقبل .

التعقيد النافع والتعقيد الضـار

وربما يتوهم ان معنى ماذكرناه مطلق تعقيد الحياة حتى بالنسبةالى اشغال الناس في الدوائر المعينة ، فاذا رأوا ان ثبت ملكية دار يحتاج الـى صرف ساعات من الوقت في الدوائر، قالوا : انه من تقدم الحياة الموجب للتعقيد؟

لا ، ليس الامر كذلك ،فهناك تعقيد ناشيء من جهة الحرية والتقدم ، و تعقيد ناشيء من جهة سوء التربية ، والغرور ، والاستغلال ، فالتعقيد الملازم للتقدم هو القسم الاول ، كما مثلناه في أمر الثقافة ، حيث ان الحاجة الجديدة المولودة من التقدم تعقد الحياة بقدرها .

أما القسم الاخر من التعقيد فهو ناشيء عن الامور الثلاثة :

١ ـ سوء التربية ، فمثـلا : في السابق كان يقتنع عند بيع الدار بورقة يكتب عليها اعتراف البائع والمشتري ، وشهادة نفرين من أهل المنطقة ، أما حيث ساءت النيات وكثر الاحتيال؛ احتاج الامر الى ضبط أكثر ، مما أورث تعقيداً جديداً ، وعلاج ذلك تحسين التربية الاجتماعية ،لرد ثقة الناس بعضهم ببعض .

٢ ـ الغرور ، فـان الحكومات الديكتاتورية ، تحتـاج الى المصفقين فيعطون كراسي لمن يصفق لـهم ، وكـل كرسي يزيد الامر تعقيداً ، ولذا أخذت الدوائر تنتفخ بصورة مدهشة ، وقـد حدد الخبراء احتيـاج دولة في العالم الثالث الى مأتي ألف موظف ، بينما كان لها مليون وألف موظف ، و قال الخبراء : انه ما دام ان الرئيس يريد المصفقين ، فلا علاج لمرض تضخم الوظائف والموظفين .

٣ ـ والاستغـلال ثالث اثافي التعقيد الفـارغ ، حيث ان الديكتاتوريين

يحتاجون الى مال أكثر لادارة امورهم من ناحية ، والى المصفقين الذين هم بحاجة الى المال أيضاً ، ولايمكن استغلال الناس الا بالتعقيد وكثرة الدوائر لتتمكن من امتصاص الاموال في اللف والدوران الذي يطوف الدوائر .

وبهذا النوع من التعقيد [القسم الاخر] تهدر الاموال والاعمار و الكرامات ، وهذا النوع من التعقيد يسبب :

أ ـ تضخم الدوائر المحتاج اليها ، أمثال دائرة القضاء، ودائرة الجباية، و نحوهما .

ب ـ احداث دوائر جديدة لاحاجة اليها، أمثال دوائر الكمارك وغيرها .

ج ـ ثم في الدول الديكتاتورية، يأتي دور دوائر اخر تزيد الأمور تعقيداً هي الدوائر المشرفة على اعمال اخذتها الدولة من أيدي الناس ـ بألف حجة مكذوبة ـ وانما أخذتها لتزيد من غرورها، واستغلالها أمثال دوائر القطارات والمطارات والمعامل ونحوها.

فان الدولة الصحيحة هي التي تدع الناس يعملون بقدر طاقاتهم، وانما شأن الدولة الاشراف لعدم الاجحاف، وتكميل النواقص، مثلا: تحتاج البلاد الى عشرين مطاراً، وألف مدرسة، فتعلن الدولة، ان للناس ان يبنوا تلك و يديروها، بشرط ان لايجحفوا في أخذ الاجور ونحوها، فاذا لم يقم الناس الا بضع عشر مطارات قامت الدولة بصنع الباقي وهكذا .

وبذلك يخف كاهل الدولة ، وتشتغل كل الطاقات الممكنة ، وتعطى كل حاجات الشعب، بينما الدول الديكتاتورية تستأثر بكل شيء لنفسها، لملاء غرورها ، ولاستغلال الناس أكثر فأكثر ، وبذلك تهدر طاقات الناس الخلاقة وتبقى الحوائج معطلة ، ويكثر التعقيد، ويزيد الصلف .

ثم حيث ان الطبقة الفقيرة تشتغل بامور معاشها، ولافائض من الوقت و المال لها، ليس لها مجال في بعض المؤسسات أمثال المخيمات الكشافة ، و الفرق الرياضية وأمثالها، الانادراً،وبالعكس من ذلك، فالطبقة الغنية كثيراً مايكون فرد منها عضواً في أكثر من مؤسسة، حيث له فائض المال والوقت ممايؤهله لمثل ذلك .

ولايخفى، ان المؤسسات العاملة في خدمة الانسان ـ مهماكانت معايبها في الاجواء العالمية المعاصرة ـ فهي امور حسنة، يلزم الاكثار منها، لانها تعطي مالاتعد ولاتحصى من الحاجات، مما لواغلقت بقيت تلك الحاجات معطّلة.. نعم يلزم تهذيبها حسب القدرة .

بحوث في الاقتصاد الاجتماعي

(مسألة ـ ٣١ ـ) نلمـع في هذه المسألة الى انـه كيف بدء الاقتصاد في المجتـمع ؟ وكيف تطور ؟ ولماذا وجدت المؤسسات الاقتصاديـة ؟ وماهي الكيفية الاقتصادية في العصر الحاضر [عصر المعامل والمصانـع] ؟ ومن اين المشكلة ؟ وماهو الحل ؟ .

حاجات الانسان

طبيعة الانسان التي خلقها الله سبحانه، فيه الاحتياج الى الاكل، واللباس والمسكن، والزواج، والعقيـدة، لان الانسان بدون الاكل يموت، واللباس يقيه الحر والبرد، والمسكن يقيـه الحيوانات ، بالاضافة الى انه يقيـه الحر و البرد والاعداءو.. والزواج حالة اندفاعية في الانسان لايتمكن ان يصبر عليها، والعقيدة فطرية، فانـه حيث يرى الكون ينقدح في ذهنه، كيف وجد ؟ ومن أوجده؟ والى مايكون آخره؟ .

فمن احتياج الانسان الى الاكل نشأ صيده الحيوانات، واقتطافـه فواكه الاشجار، والاعشاب، ورعيه للحيوانات كالاغنام، وزرعه، ولافرق بين انيكون ألهم ذلك، كما يعتقده أهل الاديان، أوتدرج الى الزرع والرعي ـ فانه في كلا الحالين احتاج في مأكله الى كل ذلك ـ .

ومن احتياجه الى اللباس ، صنـع الجلد والورق والصوف ، وما أشبه

لباساً. ومن احتياجه الى المسكن، اتخذ الكهف، والكوخ ، وصنع بيوتاً في الغابة، ودوراً من الجلد ، والثلج ـ كما في الاسكيمو ـ كما صنع دوراً من الطين ونحوه .

ونشأ من احتياجه الى الزواج، أحكام بهذا الشأن .... كما نشأ من العقيدة العبادة والخضوع لمن رآه الهاً .

وقدأحدث الانسان لرفع حاجاته آلة الصيد، وآلة قطع الاشجار، وآلة الطبخ، ووجد السبيل الى النار،كما ان نزاعه [وهوطبيعي للانسان] هداه الى آلة المحاربة، ومن كل ذلك حدثت أحكام السلم والحرب ، وأحكام القضاء وأحكام التبادل وأحكام الزواج والطلاق، وأحكام الولادة والموت، وأحكام تقسيم المال لدى الموت .

ومن الاحتياج الى مسائل الحفظ والدفاع والهجوم، وقطع المنازعات وما أشبه ، حدثت الحكومة.. كما ان من فطرة الانسان الملكية الخاصة، ولذا حدثت الاحكام الخاصة بذلك .

كما ان سفره وحضره في البر والبحر، هداه الى تذليل الحيوانات لحمله كالفرس ،وصنع السفن.. ومن هنا تولدت الموازين الاقتصادية .

تكامل جوانب الحياة

وحيث قام الدليل على الاله وأنبيائه، فالمتدينون يصدقون بأن الله الهم أنبيائه كيفية الحياة وأحكامها، نعم لاشك في حصول التكامل في كل جوانب الحياة حتى وصلت النوبة الى خاتم الانبياء ﷺ، حيث قال: [بعثت لاتمم مكارم الاخلاق](١) وحيث لم يكن هم الانبياء صنع مواد الحياة اهتموا بالجانب

(١) مكارم الأخلاق : المقدمة .

الذي بعثوا له أي تعليم الانسان الحياة السعيدة في الدنيا والاخرة .

وانما تكاملت الحياة الاجتماعية والاقتصادية و... تدريجاً الى ان وصلت الى هذه الحالةالتى نشاهدها من الوسائل والاسباب والالات ، أما توهم [الانسان المتسلسل من نسل القرد] و [تدرج الحياة] على ماذكره دارون وماركس ، فقدقامت الادلة العلمية على انهما عاريان عن الدليل، بل الادلة الاكيدة متوفرة على خلافهما .

عصر الالة

ومنذ قرون قريبة اخذت المعامل والمصانع، ووسائل التجارة تملأ مكان الوسائل السابقة اليدوية وغيرها ، وقد هدى الانسان الى صنع الوسائل المذكورة من أجزاء لاشيئاً واحداً لمافي جعلها أجزاء من فوائد، مثل :

١ ـ سهولة صنع الاجزاء وتركيبها، بخلاف صنعها بدناً واحداً .

٢ ـ واحتياج البدن الواحد الى ازمنة متطاولة في صنع كل بدن بدن، بينما يمكن صنع ملايين الاجزاء لالوف الابدان في زمان واحد ، أوأزمنة قصيرة ، وذلك بصنع قوالب كثيرة للاجزاء ، وافراغ تلك القوالب للاجزاء مرة واحدة أوماأشبه ذلك .

٣ ـ الحمل والنقل للاجزاء سهل، بينما حمل الابدان ـ في الالات الكبيرة ـ صعب جداً .

٤ ـ يمكن تكميل الالة، بتكامل اجهزتها، بينما اذاكان لها بدن واحد كان التكميل صعباً وموجباً لتبديل الجهاز .

٥ ـ اذا عطب الجهاز يمكن تبديل ماعطب من أجزائه، أما اذاكان بدناً

واحداًكان الاصلاح صعباً، أولم‌يمكن اصلاحه مما يسبب ضررالمستهلك .

٦ - يمكن لمن رأس مالـه قليل ان يوجد الاجزاء، بينما اذا كان بدنـاً واحـداً، لم يتمكن من ذلك الا أصحاب الرأسمال الكبير ، أوبالاشتراك في الاجهزة الكبيرة .

٧ - لايتمكن من يصنع الاجزاء مـن الضغط الاستعماري أو الاستغلالي على المستهلك، حيث تتوفر الاجزاء، بينما اذاكان بدناً واحداًكان بأيدي قلة مما يمكنهم من الضغط والاستعمار والاستغلال .

٨ - اذا عطب الجهاز الكبير بمالايمكن اصلاحـه ، يمكن الاستفادة من أجزائه غيرالمعطوبة بينما لم‌يكن الامر كذلك اذاكان بدناً واحداً... الى‌غيرها من الفوائد .

المعامل تقضى على محورية العائلة والعشيرة

وقبل صنع المعامل،كان الاقتصاد [غير التجاري والزراعي] يدور حول العائلة، حيث ان العائلةكانت هي وحدة العمل، فهي تغزل، وهي تنسج، وهي تربي الدواجن، وهي تطحن في المطاحن الحجرية وهكذا ، لكن حيث جاء دور المعمل،تبدل‌وضع الاقتصاد ووضع العائلة، فالاقتصاد تحول من‌الاقتصاد العائلي الى الاقتصاد المعملي، والعائلة تبدلت من العائلة المجتمعة الى العائلة المتفرقة، حيث ان أفرادها أصبحوا مشتتين في معامل متعددة ، وكثيراً لايرى بعضهم بعضاً الا بالليل، أوفي كل اسبوع مرة، وهكذا .

وكذلك تبدل الوضع في العشائر للسبب السابـق، وبسبب آخر هو ان الولاء في العشائـر كان لشيخ العشيرة، حيث انـه المبعث الطبيعي للاولاد و

الاحفاد ومن اليهم ، فلما كثرت الثقافة من ناحية، وتفرق أفراد العشيرة في المصانع من ناحية ثانية تحول الولاء من العشيرة الى ولاء النقابة بالنسبةالى العمال، والى ولاء الحزب بالنسبة الى المثقفين [حيث ان الثقافة لم تدع مجالا للولاءِ العشائري المبني على اللحم والدم ـ فان الثقافة مرتبطة بالروح ، و الروح مقدم على الجسد ـ] .

لكن يجب ان يعرف ان التحول المذكور من العائلة والعشيرة ، كان بسبب عدم تمكن الانسان من استيعاب العلم في العصر الحاضر، والسبب ان الانسان خرج عن كونه محوراً، وجعلت المادة ـ بدل الانسان ـ المحور، و بذلك حرم الانسان عن دفء العائلة ودفء العشيرة .

واللازم ان يرجع الانسان الى المحورية ، بان تنظم الحياة على كيفية ارجاع الانسان الى مكانته ، وجعل المادة خادمة له ، لاالعكس ، وهو ممكن بأن تجعل الوحدة العائلية مرتبطة بالمعمل ، مع اعطاء العائلة أكبر مهلة للاجتماع بتقليص ساعات العمل . . . وكذلك تجعل الوحدة العشائرية مرتبطة بالحزب وكذلك الامر بالنسبة الى النقابة ، وبذلك يتنعم الانسان بالدفء الروحي بالاضافة الى تنعمه بالمادة وخيراتها .

والظاهر ان مثل ذلك غير ممكن ما دامت الرأسمالية تلتهم الطاقات ، وتستثمر المساعي، حيث الساعات الطويلة للعمل، والاجور الزهيدة ـ ونقصد بالرأسمالية كلا قسميها الشيوعية الشرقية والرأسمالية الغربية ـ فان كلتيهما تستهلك سعي العاملين ، وتستثمر الانسان تحت اغطية مختلفة ـ .

الصناعة في خدمة التجارة والزراعة

ثم ان الصناعة لم تقدم حياة الانسان في قسم الصناعات فقط ، بل قدمتها

في قسمي التجارة والزراعة أيضاً ، حيث الالات الحاسبة والتلفونات ووسائل الحمل والنقل ، وغير ذلك ، كما ان وسائل الحـرث والزرع ، والحصاد ، وما أشبه قدمت الزراعة تقديماً كبيراً ، ولذا تهتم الدول بالصناعة قبل اهتمامها بالزراعة ، حيث ان الاولى تحسن الثانية دون العكس .

تحولات عصر الصناعة

وفي عصر الصناعة حدث تحول كبير :

١ ـ باندثار الوسائل السابقة ، واخلائها مكانها الى المعامل الحديثة .

٢ ـ ظهور مؤسسات جديدية أمثال الشركات والنقابات والبنوك ونحوها.

٣ ـ ظهور الرأسماليات الكبيرة الموجبة للاستغلال والاستعمار .

فان الرأسمالية المنحرفة سببت استغلال الانسان ، مماسبب ظهور طبقتين حادتين، طبقة الرأسماليين وطبقة الفقراء ،وبذلك حدث رد فعل عنيف وخاطئي ضد رأس المال ، هو ظهور الشيوعية ، حيث اعطت رأس المال بيد الدولة أي جمعت في يد فئة خاصة المـال والقوة ، بعد ان كانت بيد فئتين ، وبذلك بلغت مأساة الانسان الى أبعد درجة متصورة .

الاستعمار وليد الرأسمالية

أما كيف سببت الرأسماليـة الاستغلال والاستعمار ؟ فذلك من جهة انها نفذت في السياسـة والقانون والاحزاب والصحـف وما أشبه ، فجعلت توجه الحياة ، حسب ما تشتهي [من بقاء رأس المال المنحـرف وزيادته] فلم تجد الطبقـة العاملة ـ في الزراعة والصنـاعة ، بل وحتى مثل الموظف والمعلم

ونحوهما ـ من ينتصر لها ضد انحراف رأس المال .

كما ان قوة رأس المال سببت قوة السلاح والدعاية وما أشبه ، مما وجدت السبيل الى بلاد الاجانب واستعمارها ـ من غير فرق في ذلك بين الرأسماليةالمنحرفة الغربية ،والرأسمالية الاكثرانحرافاً :الشرقية ـ وانما نقول الاكثر انحرافاً ، لان الاولى تغلفت ببعض الحرية ، بينما الثانية رفضت ذلك وتظاهرت بالديكتاتورية ـ .

الاسلام هو الخلاص

والطبقة الفقيرة ـ وهم الاكثرية الكاسحة من البشر ـ وكذلك الطبقة المستعمرة ، لاعلاج لهم في التخلص من شرور الرأسمالية ـ بقسميها ـ ومن شرور الاستعمار الشرقي والغربي الا بالمنهج الذي وضعه الاسلام ، لا للمال فحسب ، بل ولسائر الشئون ، ومرادنا الان التكلم في المال ، والمنهج هو :

١ ـ ان يكون المال بازاء خمسة اشياء : العمل الفكري ، والجسدي ، والمواد ، والعلاقات ، وشروط الزمان والمكان ، وبذلك يكون المال بقدر السعي ونحوه فلا تحدث الرأسمالية الكبيرة .

٢ ـ ان يكون الرأي محترماً ، فالحكم وسائر الشئون بأكثرية الاراء الحرة . . وبهذين تختفي الرأسمالية الوالدة ، والشيوعية الوليدة ، وتنتهي مأساة البشر من هذه الجهة .

ضرورة التوازن بين المستوى الصناعى والزراعى

ثم ان تقدم الصناعة أوجب تأخر الزراعة ، اذ المعامل جلبت الى نفسها

كثيراً من أهل القرى والارياف ، حيث الاجور المرتفعة والاتعاب الاقل من أتعاب الزراعة ،وحيث ان المدينةتتوفر فيها مالا يتوفر في القرية من مختلف أسباب الحضارة ، وهذالتأخر في الزراعة سبب جوع الانسان ، وقدذكرت بعض الاحصاءات ان ربع أهل العالميعيشون جائعين .

ولا علاج لهذا الامر الا بجعل مستوى الزراعة مساوياً لمستوى الصناعة من جهة الاجور ، ومن جهة الجهد ، بالاضافة الى توفير وسائل الحضارة الممكنةفي القرية حتى لاتكونالمدينة أرجح من القرية بحد الاغراء ، وذلك ممكن بالدعاية لمحاسن القرية التي تفقدها المدينة ، و . . . مما يسبب حفظ التوازن ـ ولو بقدر ـ بين المدينة والقرية .

وان لم يعالج هذا الامر علاجاً جذرياً لزاد عدد الجائعين في العالم عاماً بعد عام ، فقد دلت الاحصاءات على الانتقال الكبير من القرى والارياف الى المدن حتى ان الصين في عام [١٩٤٠] م كان[٩٠] بالمئة من جمعيتها يسكنون القرى ، بينما تبدل ذلك في الحال الحاضر ، وفى امريكا في عام [١٧٩٠] م كان سكان القرى والارياف ما يقارب من [٩٧]في المائة ، بينما انعكسالامر بعد ذلك ، وهكذا .

الدين وعصر الالة

ثم انه لمااخذت الصناعة مكان الزراعة والاعمال اليدوية ، حدث تحول كبير في العالم المسيحي والبوذي ونحوهما ، فان الناس لماهجروا الارياف الىالمدن ، وكثرت الثقافة ، نشأ جيل مثقف عرفوا خواء دينهم ، وانه لايلائم العلم ولا يصلح للحياة ، وقدزاد الامر عرفانهم قضايا محاكمالتفتيشوتحالف

الحكام مع علمائهم ضد الناس ونحوها ، مما سبب ابتعادهم عن الدين ، وحسبانهم انه خرافة وارتجاع واضطهادللشعب، وجائت نظريات دارونوفرويد وماركس ومن أشبههم لتحاول قلع الدين عن جذوره .

وبذلك وقع الانسان فيمشكلة لامثيل لها فيالتاريخ منذ ان حفظ . . وقد حاولت الكنيسة رد الاعتبار ، لكن عدم انسجامها مع العقل ، وعدم وجود برامج عملية لها لتأمين حياة الناس، وجنوحها الى الفخفخة والابـّهة ، حالت دونذلك ، اللهمالاصورة اعتبار زائف هو الىالشكليات أقرب منه الىالحقائق وزاد الامراعضالا:انالكنيسة أصبحتطليعةالاستعمار[انظر:التبشيروالاستعمار] ممانفر الناس أكثر .

وقداجتاحت هذه الموجة [موجة الالحاد والانحلال] العالم الاسلامي في حين غفلة من الحكام والقادة ، فظن المسلمون ان دينهم مثل دين الكنيسة ، بينما الاسلام :

١ ـ دين العلم .

٢ ـ وله برامج تقدمية للحياة أبداً .

٣ ـ ولم يكن يصافق الظالمين ، بلكان ضدهم على طول تاريخه .

٤ ـ ولم يكن في يوم مااستعمارياً .

وعلى هذا ، فاللازم على المفكرين والقادة فرز الحسابات ، حتى يعرف المتمردون خطائهمالكبيرفي اتباع المستعمرين،ويفهموا ان المغرب انماتحرر ـ نسبياً ـ يوم ان رفض الدين ، وأما المسلمون فقداستعبدوا ـ كلياً ـ يوم ان رفضوا الدين، سواءكانالرفض كلياً، أوفيالجملة .. واذاعرفواذلك رجعواالى دينهم الذي فيه سيادتهم وسعادتهم .

الاخطبوط الرأسمالي يمتد الى الريف

ثم ان نظام رأس المال يؤثر في القرية لاجل مايلي :

١ - تبديل الزراعة الحيوية ، بالزراعة الاستغلالية ، مثلا القرية تزرع القمح لاجل الاكل ، لكن رأس المال يريد زراعة القطن ، لانه اربح له ، و بذلك يجوع الناس ، ليمتلأ كيس رأس المال .

٢ - بيع الصنائع لهم ، وجعلهم اسواقاً استهلاكية، لتدر على رأس المال الارباح .

٣ - تدويل النقد بينهم ليستفيد من التلاعب بالنقد، ومن أرباح النقد الذي يوضع في البنوك ، ومن الضرائب التي توضع عليهم، حيث انه لو لم يتداول بينهم النقد لم يعرف قدر أموالهم ،كما لم يستفد رأس المال من الضريبة على بضائعهم لصعوبة تحويل البضائع الى النقد .

٤ - تخلية القرية واستزاف أهلها ، لاجل استخدامهم في الصناعات ، واستثمارهم باجور هي أقل من حقهم الحقيقي ، ولايهمهم بعد ذلك ان يفسد الزرع ، ويختل التوازن بين القرية والمدينة .

مضاعفات النظام الرأسمالي

ثم أن النظام الرأسمالي :

(١) أفسد جو العائلة والعشيرة .

(٢) وجعل العمل خواءاً لامعنى له ، ولااشتياق اليه .

(٣) وسلب العامل حقه .

٤ ـ وأفسد العلاقة بين العامل والامر .

٥ ـ كما أفسد العلاقة بين بائع المواد الخام ومشتري البضاعة وبين الرأسمالي.

١ ـ أما افساده جو العائلة والعشيرة فلما تقدم .

٢ ـ أما جعل العمل خواءاً ، فلان العامل في داره أو في معمله الصغير اليدوي ونحوه ، كأن يرى كل العمل مبدءاً وختاماً لانه كان يكمل العمل من أوله الى آخره وكان في ذلك لذة الاتمام ، ولذة السيادة والتسلط على العمل ، أما في المعمل الكبير ، فقد أصبح العامل لاعلاقة له بالعمل ، من جهة انه لايرى مبدئه ولامنتهاه وقد صار بعمله الروتين كآلة صغيرة في المعمل ، يلهث ساعات طويلة ، بلاشوق ولاعلاقة .

٣ ـ وأما سلب العامل حقه ، فلان المالك له حقه بقدر الامور الخمسة السابقة ، وباقي الربح حق العمال ، بينما العمال لايتقاضون الا بقدر لايكفيهم حتى لاولياتهم، وانما اتعابهم للرأسمالي ، والا فمن أين له هذا الثراء الطويل؟ أما نقابات العمال فلا أثر لها في جو المجلس والحزب والقانون والقضاء ، اذ كلها في خدمة الرأسمالي .

٤ ـ وحيث علم العامل بانه مسلوب الحق فسدت علاقته بالامر الذي يسلبه حقه .

٥ ـ وأما فساد العلاقة بين الثلاثة ، فلان كل واحد من بائعي المواد ، و مشتري البضاعة يعلم بغبن الرأسمالي لهما ، ولاعلاج لهما من جهة تحالف الرأسماليين ، في ان لايشتروا الخام الابما يشائون ، ولايبيعوا الابما يريدون.

واذا اشتروا الخام من البلد وباعوا البضاعة عليه، كان ضرراً مزدوجاً على البلد ، واستغلالا مزدوجاً للبلد .

والعلاج لكل ذلك، ان يكون للعامل حقه، ولصاحب العمل حقه، ولصاحب المواد، والمشتري للبضائع حقهما، وينظم الامر بحيث يرجع الى المعمل الحالة الانسانية التي كانت للعائلة وللمعمل الصغير أبان انتاجهما، فيما كانا وحدة العمل، وبكلمة واحدة [ان يمنع الاجحاف] و[ان يكون الانسان المحور بدل ان يكون المحور المال].

والانظام الرأسمالي [الاعم من الشيوعي، لانه من أبشع أقسام الرأسمالية] أوجب المآسي العديدة، والتي منها:

١ - فقر أكثر سكان المعمورة.

٢ - والجوع الى حد الموت لملايين الناس.

٣ - والبطالة في قطاعات كبيرة من البشر.

٤ - وهدم العائلة.

٥ - والفساد، حيث تضطر الفقيرات والاولاد الفقراء الى بيع أبدانهم للذة من ناحية، ويفتح الرأسماليون المواخير ومراكز الشذوذ للمزيد من المال من ناحية اخرى.

٦ - والطبقية الحادة في كل من النظامين الغربي والشرقي.

٧ - واشعال الحروب.

٨ - والثورات.

٩ - والانقلابات.

١٠ - والاستعمار بمختلف اشكاله.

وليست النجاة بمازعمه الغرب من ايجاد [النظام الاشتراكي الديمقراطي] كما فعلوا في اليابان وفرنسا، ولا بمازعمه الشرق من المشي خطوات الى

الرأسمالية والحرية ، فان كلا الامرين لايقطع جذور المشكلة والتي تقدم من انها[الاجحاف ، وكون المال المحور] . . وقد ذكرنا تفصيل جذور المشكلة وعلاجها في كتاب : [فقه الاقتصاد] بمالاداعي الى تكراره .

المنطق الرأسمالى والمنطق الشيوعى

أما استدلال الرأسماليين- بكلاقسميه الغربي والشرقي-لصحة رأس المال فلايعدو ان يكون عدم تقييم للواقع ، فقداستدل الغربيون :

أ- بأن اختلاف الطبقات من طبيعة الانسان .

ب - وان كثرة أموال الرأسماليين هي مقتضى ذكائهم ، بينما الطبقة الفقيرة لا ذكا لها مثل أولئك، ولذا تأخروا .

ج - وان رأس المـال مخزن للاعمال الكبيـرة ، فلو قضي عليه توقف التقدم .

د - وانه لولم يؤذن للرأسمالي ان يسير قدماً - بأن حدد - لم يكن له شوق فيخسر الانسان طاقاته الخلاقة، ولايربح بازاء ذلك شيئاً .

كما استدل الشرقيون، بانه لولم يكن المال: [الانتاج] و [التوزيع] بيد الدولة، تحت ظل حكومة ديكتاتورية - يكون كل الناس عمالا لها - لاستغل المال الاثرياء، ويكون ذلك بضرر أكثرية الشعب .

مناقشة فى المنطقين

وفي كلا الدليلين نظر، اذ :

أ - ليس اختـلاف الطبقات من طبيعـة الانسان ، ومن اين يمكن اثبات

ذلك؟ بل الاختلاف فوق الحق ظلم وأكل لاموال الناس بالباطل، والظلم خلاف طبيعة الانسان .

ب ـ وهل كثرة أموال الرأسمالي بقدر ذكائه؟ ان هذا شيء دل الاحصاء على خلافه، بل الوجدان أيضاً يدل على عدم صحته .

ج ـ والاعمال الكبيرة انما تقام بالمال لابرأس المال المنحرف، ويمكن تجميع المال بالشركات التي يساهم فيها أصحاب الحقوق، لاالذين استغلوا أموال الناس تحت راية رأس المال .

د ـ وهل يشوق الملايين باعطائهم حقهم ؟ اويشوق قلة باستغلال سائر الناس؟ وأيهما أكثر انتاجاً، وأحمد عاقبة ... ثم اذا أعطينا المال بيد الدولة ألم نجمع الى مآسي الرأسمالية [الاستغلال] مأساة الديكتاتورية ؟ وأليس هذا الحال كالفرار من الرمضاء الى النار؟ .

مآخذ على النظامين: الغربي والشرقي

ومن المآخذ على نظام رأس المال الغربي، ونظام رأس المال الشرقي ان الاول يوجب الازمة الاقتصادية المنتهية الى بطالة وجوع كثير من العمال، و الثاني يجيع العامل والفلاح دائماً ، بدون ان يقدروا على الاعتراض و الشكاية .

أ ـ اما الازمة، فهي تنشأ من زيادة العرض على الطلب حيث انه :

١ ـ ليس للاثرياء تخطيط منسق في الانتاج .

٢ ـ ولا نظام صحيح للاقتصاد [بأن يعطي العمال قدر حقهم]فيقوم كل ثري بانتاج البضائع، مما يوجب زيادةالبضائع على الحاجة، وحينذاك ينزل السوق، ويرى الثري انه لافائدة من الانتاج، فيوقف العمل ويطرد العمال، و

بذلك تنتشر البطالة، ولايجد العامل مايقوت به نفسه وعائلته .

وقد عالج الغرب هذه المشكلة علاجاً جانبياً ، باعطاء العمال ـ بسبب النقابات ـ عند الازمة، شيئاً قليلا يقيت به نفسه وعائلته ، لكن ذلك لايعالج البطالة ، كما لايعالج هدر الطاقات الانتاجية ، وربما يعالج ذلك بالتخطيط المنسق للانتاج، لكن ذلك لايعالج هدر الطاقات الانتاجية أيضاً ، اذ الطاقة كبيرة، والاحتياج أقل ، فأما ان يوزع هدر الطاقات الى أمد بعيد، وأما ان يجمع هدر الطاقة لايام الازمة .

مثلا: اذاكان الاحتياج بقدر ستة أشهر من العمل، فالستة الاخرى زائدة عن الحاجة، ولافرق في ذلك بين ان توزع الستة الزائدة على طول السنة، كأن يعمل في يوم، ويترك في يوم، أويعمل ستة أشهر، ويترك ستةأشهر .

ب ـ وأما الاجاعة، فان الشرق جمع بين رأس المال والدولة ، وبذلك يستغل العامل والفلاح ، باعطائهم شيئاً قليلا من انتاجهم ، واستئثاره بنفسه لبقية الانتاج ، والشيء القليل لايكفي لحاجات العمال والفلاحين ، وبذلك يجوع العامل والفلاح ، طول عمره، ولايقدر حتى على الاعتراض، حيث ان الخصم هو الحكم .

و النتيجة في النظامين واحد ، وان كان بينهما فرق صوري ، فالنظام الرأسمالي الغربي فيه شيء من الحرية الصورية، وشيء من الشبع في قبال الاجاعة والبطالة في ايام الازمة، والنظام الرأسمالي الشرقي فيه اجاعة دائمة ودكتاتورية مطلقة في قبال عدم البطالة وعدم الازمة .

جوهر المشكلة

وجوهر المشكلة في النظامين :

١ - عدم اعطاء العامل والفلاح حقهما .

٢ - وعدم توزيع المال توزيعاً عادلا، فالثروة جعلت لكل البشر - المعاصر والاتي - بينما النظام الشرقي والغربي يأخذ كل حق الجيل الحاضر ، وشيئاً كبيراً من حق الجيل الاتي، ثم يصرف بعضاً مما أخذه على الشعب ويصرف بعضه الاخر في الفساد والافساد وبالحروب والاسراف ونحوها - .

مثلا: أوقف والد بستاناً على أولاده الحاضرين،وأولاده الاتين ،ولنفرض انهم عشرة أجيال، في كل جيل عشرة، والبستان يعطي في كل عام ألف دينار بحيث اذا وزع الناتج توزيعاً عادلا،كان لكل ولد مأة دينار، الى آخر الاجيال فاذا آجر الجيل الاول البستان لمائة سنة [- ولنفرض ان عشرة أجيال تدوم مأتي سنة] بخمسة آلاف دينار، ثم ثلاثة من الجيل الاول استبد بأربعة آلاف وسبعمائة وتسعين دينار كان معنى ذلك [أولا] استهلاك هؤلاء الثلاثة حق أربعة أجيال آتية و[ثانياً] استهلاك هؤلاء الثلاثة بعض حق سبعة من جيلهم، أي أعطى الثلاثة لكل من السبعة [ثلاثين] بينما كان حق كل واحد من السبعة [مائة] .

فاذا أردنا العدالة في الثروة يلزم :

١ - ان نلاحظ حق هذا الجيل في الثروات المختزنة في الارض حتى لايؤخذ أكثر من حقهم تعدياً على حقوق الاجيال الاتية .

٢ - توزع هذه الثروة على النطاق العالمي، لاالنطاق القطري، حتى لا يبقى جائع وفقير .

٣ - يوزع الانتاج على العامل والمدير وغيرهما كل بقدر حقه، لا ان يستبد الرأسمالي الغربي ، والدولة الشرقية بأكثرية سعي العمال و الفلاحين .

وعند ذلك لايكون :

١ - فقر .

٢ - ولا اسراف .

٣ - ولا ظلم الجيل والاجيال .

٤ - ولا البطالة .

٥ - ولا الازمة .

٦ - ولا فساد - وقد ذكرنا تفصيل ذلك في [كتاب الاقتصاد] - .

وهذا الامر ممكن اذا :

أ - اذا دخل الايمان بالله، والخوف من الحساب القلوب .

ب - واتبع النظام الاسلامي في المعاملات والانتفاع بالمباحات، وفي غيرهما مما يرتبط بالمقام من القوانين الاسلامية .

قال سبحانه: «خلق لكم»(١) وقال تعالى: «ولاتبذر تبذيراً ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين»(٢) .

وقال عز من قائل: «ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكاً»(٣) .

ولايخفي ان الضنك لايصيب الفقراء فقط بذنب الاغنياء ، بل يصيب الاغنياء المنحرفين أيضاً ، الضنك من نوع آخر :

١ - ضنك الفقراء حولهم .

٢ - وضنك السأم، ولذا يكثر فيهم الانتحار، بل قد دلت بعض الاحصاءات

---

(١) سورة البقرة آية ٢٩ .

(٢) سورة الإسراء آية ٢٦ .

(٣) سورة طه آية ١٢٤

على ان أعداد المنتحرين من أولاد الاثرياء أكثر من اعدادهم من أولاد الفقراء .

٣ ـ وضنك الكبرياء والغرور، حيث تضيق الارض عليهم بما رحبت، من جهة المنافسات، ورؤية النفس فوق مقدارها .

٤ ـ وضنك الخسارة أحياناً .

٥ ـ وضنك حفظ المال وانمائه .

٦ ـ وضنك الضرائب .

٧ ـ وضنك تشتت العائلة، حيث ان الاغنياء تتشتت عائلتهم غالباً، لان اعتماد كل فرد على العائلة تتحول الى اعتماده على الثروة .

٨ ـ وضنك أمراض الاغنياء ، أمثال: السمنة، وقرحة المعدة ، والسكر ، والمفاصل ، والنقرس .

٩ ـ وضنك اختلال الاولاد ، حيث ان اكثارهم من الملذات يؤثر في نسلهم .

١٠ ـ وضنك احاطة عداء الفقراء بهم .... هذا بالاضافة الى :« ونحشره يوم القيامة اعمى ، قال : رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيراً ؟ قال : كذلك آتتك آياتنا فنسيتها ، وكذلك اليوم تنسى »(١) .

لكن هذه الانواع من الضنك ، انما هي اذا لم يؤمن بالله ، او لم يأخذ المال من حله أو وضعه في غير حله ، والا كان المال نعمة ، وأسباب الرفاه ، وقد سماه الله سبحانه [خيراً] في آيات متعددة ، وفي الشعر المنسوب الى الامام عليه السلام :

---

(١) سورة طه آية ١٢٤ .

ما أحسن الدين والدنيا اذا اجتمعا   واقبح الكفر والافلاس بالرجل

ثم انه قد زعم بعض علماء الاجتماع انالمذهب البروتستانتي انما ظهر حلا وسطاً بين الدين المسيحي والمدنية فى عصر الصناعة ورأس المال ، و علله بأن مذهب الكاثوليك لم يكن يلائم عصر رأس المال ، لانه لم يكن يبيح الرأسمالية ، والربا ، والصناعة ... لكن الاطلاع على تاريخ البرتستانت ينفى ذلك ، فانه ظهر فراراً من احتكار الكاثوليك الدين للاحبار والرهبان ، ومن التشديد غير المستند الى كتابهم الذي كان يمارسه العلماء المسيحيون ، ولذا أخذ لوثر فى ترجمة الكتاب وأباحه للكل ، خلافاً لتشديد الباب ضده . ثم كان الكاثوليك يبيح الرأسمالية والربا ، ولذا كانت أموال الكنيسة تجمع من أمثالهما .

نعم لاشك ان رأس المال أولد :

١ ـ امتداداً بالصهيونية .

٢ ـ ورد فعل بالشيوعية ، وأكثر فجائع العصر الحاضر ، مستند الى هذا

الثلث : الوالد وولداه ، وكل الثلاثة مشتركة فى :

١ ـ امتصاص الثروات .

٢ ـ الافساد لها .

٣ ـ امتصاص أتعاب الناس ببدل أقل من العدالة .

٤ ـ ويتبع ذلك الفقر والمرض والجهل ، والفوضى ، وهدم العائلة

واشاعة المفاسد الاخلاقية ، والتأخر للاغلبية الكاسحة من الناس .

وان كانت تختلف اختلافاً غير جوهري، فالشيوعية أكثر ديكتاتورية واجاعة،

والرأسمالية أكثر استعماراً واستغلالا، والصهيونية أكبر مكراً وأكثرعنصرية وحيث ذكرنا في كتاب: [الفقه ـ الاقتصاد] اضرار الشيوعية والرأسمالية ،و في كتاب [هؤلاء اليهود] اخطار الصهيونية ، فلا حاجة الى اعادة الكلام حول اضرار الثلاثة ، بما هـو خارج عن علم الاجتماع الذي بصدده هـذا الكتاب .

ثم ان بعض علماء الاجتماع الذين تأثروا بالرأسمالية قالوا ان الازمة الاقتصادية [كما تقدم تفصيلها] وان كانت ضارة من جهة الا انها نافعة من جهة اخرى ، وهي انها توجب تصفية العمال ، باخراج المرضى والشيبة والكسالى وما أشبه ، لانـه اذا انتهت الازمة استرجع أصحاب المعامل الصـالحين من العمال فقط .

ويرد على هذا الكلام :

(أولا):ان الازمة توجب البطالة والتأخر في المعيشة لعشرات الالوف من الصالحين للعمل ، فما ذنب هؤلاء ؟

و(ثانياً): ان اللازم سن قانون احالة غير الصالحين الى التقاعد ،لاالانتظار بهم الى أيام الازمة ، فما ذنب الشيبة والمرضى حتى يعملوا ويحملو افوق طاقتهم الى أيام الازمة ؟

الاقتصاد الاسلامي

بقي شيء ، وهو ان الاسلام له طريق آخر في الاقتصاد هو غير الرأسمالية الغربية والشيوعية والاشتراكية والتوزيعية ،وهذه الطريقة مستقاة من الكتاب والسنة والاجماع والعقل ، وهي تعطي :

١ - توزيع الثروة توزيعاً عـادلا ، بحيث لايأكل جيل حق جيل ، ولا جماعة حق آخرين من معاصريهم .

٢ - عدم اكتساب الثروة بالاستغلال ، أو صرفها في ما يضر ويفسد .

٣ - عدم بقاء فقر وحاجة معطلة .

٤ - جعل الثروة لتقدم الكل ، وذلك لانه حيث يكون التوزيع عادلا [كل بقدر حقه] تظهر الكفاءات الموجبة للتقدم العام .

أما الثروة فى الحال الحاضر ، فلا توجب الا تقدم الرأسماليين، ومن اليهم ، أو أعضـاء الحـزب الشيوعى ، ومن فى فلكهم ، وبذلك بقيت أكثر الكفاءات الانسانية معطلة .

وكما انه اذا كان العلم خاصاً بجماعة ، يحرم البشر من طاقات الاخرين العلمية الكامنة .

وكما انه اذاكان الحكم استبدادياً بيدقلة، كبتوا الناس فلم تظهر طاقاتهم .

كذلك الثروة،فانها حيث تكون بيدقلة لاتظهر الطاقات الكامنة في الاخرين وفي الحال الحاضر حيث ان كلامن الحكم والعلم والمال بيدقلة من البشر ، حرم الانسان من مواهب كامنه ، لاتعد ولاتحصى . . ضرر ذلك لايرجع الى المحرومين فقط ، بل الى الحارمين أيضاً، اذ الاختراع والاكتشاف وأسباب الصحة وغيرها ، ليست نصيب بعض البشر، بل نصيب الكل ، فمالم يظهرمنها يحرم الكل منه .

الحكومة

(مسألة ـ ٣٢ ـ) الحكومـة عبارة عن [الادارة] صغيرة كانت أو كبيرة بدائية أو معقدة ، وحتى عائلة تسكن وحدها في غابة أو كهف ، لابد وان يكون أحد افرادها بمثابة الحكومة ، حيث يفصل النزاع ، ويرد المعتدي ، ويقضي بين المتنازعين ، ويفعل ما يقدم العائلة ، وهل تفعل الحكومة الكبيرة المعقدة في الحال الحاضر ، الا تلك الامور ؟

نعم الامم الابتدائية تحتاج الى الحكومة احتياجاً أقل من احتياج الامم المتحضرة ، وقدورد فى الاحاديث ان الخليفة كان قبل الخليقة ، وفي القرآن الحكيم : «واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة»(١) وانمـا يكون احتياج الامم الابتدائية الى الحكومة أقل لامور :

١ ـ قلة الجماعة الابتدائية ، مثـل سكان الكهوف والغابات ، وجماعات الرعي والصيادين على سيف البحار ، ومـا أشبه ذلك ، فـان الجماعة القليلة ، قليلة روابطها ونزاعاتها ونزاعات الاخرين معها ، وهكذا .

٢ ـ قلة الملكية، وبدائية التعامل فان كثيراً من الامور المحتاجة الى الحكومة في الامم المتحضرة ، انما تنشأ من كثرة الملك و كثرة التعامل .

٣ ـ وحدة الدين والعقيدة والفكرة في الامة البدائية ، فلا اختلاف تنتهي

---

(١) سورة البقرة آية ٣٠ .

الى المنازعة بماتحتاج الى الحكومة.

٤ ـ كما ان عدم وجود المدينة ونحوها ، يقلل من الاحتياج الى الحكومة حيث لانظم في حالةعدم وجود المدينةفلاحاجةالىوجود النظام،وحافظ النظام.

الحكومة فى الامم البدائية

وفي الامم الابتدائية ، تبتدء الحكومةبكبار القوم ، وفي مجلس استشاري كما كانت دار الندوة في مكة المكرمة كذلك ، الا اذا كانت عشيرة واحدة مثلا : فامور الحكومة منوطة بالكبير ، سواء كان كبيراً سناً ـ وهو الغالب ـ أو الكبير علماً ونحوه ، ولذا كان الكهان والعرافون في الجاهلية مرجعاً في المنازعات ونحوها .

والعقاب في الحكومات البدائية يشبه العقاب في الحكومات المتحضرة، مع بعض الفوارق،فالضرب والشتم والاستهزاء والطرد والحرمان عن مثل الارث والمقاطعة،وأحياناً السجن والقتل والمصادرة عقوبات بدائية ، كما انها عقوبات في العصر الحاضر .

الحكومة فى العصر الحاضر

والحكومة في العصر الحاضر ، عبارة عن مؤسسات متعددة تحتويها مؤسسة كبيرة تنسق بينها ، تقوم بالامور التالية هي :

١ ـ النظم .

٢ ـ رد اعتداء بعض على بعض .

٣ ـ التقدم .

٤ ـ الدفاع .

وهذه الامور تقوى الحكومة ، حيث ان الاجتماع يحس بالاحتياج الى الحكومة من خلال ممارستها للامور التالية ، أكثر فأكثر ، وبالاخص الدفاع في حال الحرب مع الاعداء ، اذيشعر الاجتماع بالاحتياج الشديد ،حيث انهم يرون انه لولا الحكومة يكون كل شيء لهم في خطر ، ولذا يبذل الناس في حال الحرب مالا يبذلون في حال السلم ، وقد اشتهر ان [الحرب منجنون التقدم] .

الاحتياج الى الحكومة

ومما تقدم يظهر ، الاحتياج الى الحكومة على كل حال ، لانها من ولائد الملكية الشخصية كما يقوله الماركسيون ، اذ قد عرفت الدليل على خلاف كلماتهم ، وقولهم هذا يشبه قول فرويد من ان أساس الحكومة القضية الجنسية وقول ثالث ان أساسها حب الاستيلاء والشهرة . .

وبذلك يظهر اعتباطية ،ان الملك الخصوصي يسبب تقسيم الاجتماع الى طبقتين ، طبقة الاثرياء ، وطبقة الفقراء ، وان الاولين يوجدون الحكومة ، لاجل حفظ املاكهم ، ولاجل استغلال الاخرين ،ولاجل تحطيم المقاومة التي يبديها الاخرون رغبة في التخلص من نير الاولين .

ثم انه قد تصطلح [الدولة] مرادفة [للحكومة] وقد تستعمل عبارة عن الاعم من الحكومة ، حيث تشمل الدولة ، الامة ، الارض ، والطبقة الحاكمة ، فاذا لم تكن أرض أو امة أو طبقة حاكمة لا تسمى دولة . . .

اسباب تعقد الحكومة فى العصر الحاضر

ثم ان الحكومة فى العصر الحاضر ، صارت أصعب من الحكومة فى العصر السابق لامرين :

١ ـ للصناعة و كثرة النفوس .

٢ ـ للصلف والغرور ، بيان ذلك :

ان الصناعة أوجبت كثرة الحاجات ، والحاجة تحتاج الى تمهيد السبيل والنظم والتنسيق ، وما أشبه ، مثلا : سفر الانسان فى الحال الحاضر ، صار أضعاف سفره في زمان الدواب ، والسيارة ، والطائرة ، والقطار ، والفندق وما أشبه صارت بكثرة هائلة ، و كل تلك الكثرة بحاجة الى النظام ، وفتح الطريق أمامها بصنع المطارات والمحطات والكراجات ، والفنادق وانظمة المرور ، وانظمةالمنازعات المرتبطة بها وغير ذلك .

و كثرة الجمعية أوجبت مشاكل جديدة ، حيث يلزم فتح الطرق ، وتهيئة الوسائل مثل المدارس ، والمصحات ، ودورالعجزة وماأشبه ، مثلا : اذاكانت مدينة فيها مائة ألف بحاجة الى عشرطرق عامة ، كل طريق بعرض خمسين ذراعاً فاذا ارتفعت نفوس المدينة الى خمسمائة ألف احتاجت الى خمسة أضعاف ذلك طرقاً وسعة ، وهكذا الكلام في المدارس وغيرها .

أما الصلف ، فلان الحكومات أخذت تحدمن الحريات ، وتريد التوسعة وتريد المصفقين، وبذلك أوجبت لانفسها مشاكل معقدة ، حيث دست أنفهافي كل شيء ، ولم تترك الناس يعملون كما يشائون و تكون الدولة رقيبة عليهم فقط ، وادارتها الاستعمارية والاستغلالية أوجبت لهامشاكل جدد، كما انتوظيف المصفقين أوجب مشاكل أيضاً ، مشكلة كون الوظيفة غطاءاً، ومشكلة تحصيل

المال لاجلهم ، ومشكلة ادارتهم والى آخر .

بينما الحكومة اذا عقلت ورجعت الى وظيفتها الحقيقية [من الامور الاربعة المتقدمة] لم تتعقد الاثلث التعقد الحالي، حيث ان نصف تعقدها بسبب الصناعة والجمعية يزول ، وكل تعقدها بسبب الصلف يزول وذلك لان اعطاء حرية الثقافة والصناعة والزراعة والتجارة، وماأشبه للناس يرفع عن كاهل الحكومة مشكلات كبيرة ، فالناس يبنون المدارس والمستشفيات والمصانع والمطارات وغيرها ، لكن الحكومة تشرف لعدم أجحاف أصحاب تلك الامور على الناس .. فأي لزوم لان تكون هذه الامور تابعة للدولة ؟

بل اذا اعطيت الحرية للناس في هذه الامور ، استفاد الاجتماع فوائد جمة هـي :

١ - ظهور الكفاءات والطاقات الكامنة .

٢ - العمل الدائب ، حيث انه فرق بين الموظف الذي لايعمل الابقدر الواجب ببلادة وجمود ، وبين من يركض لنفسه ليل نهار .

٣ - وصول الحاجات الى كل الناس حيث التنافس الحر بين التجار وأصحاب تلك المشاريع ، لان كلا يريد فتح السوق لنفسه .

٤ - قلة الاثمان وماأشبه للتنافس الحر أيضاً .

٥ - عـدم بقاء الايادي العاطلة فتختفي البطالة ، ولايخفى ما في ذلك من الفوائد .

٦ - عدم نظر المجتمع الى الدولة بكراهية، حيث لم تحدد الدولة حرياتهم وطاقاتهم .

٧ - عدم وجود الطبقية الحادة .

٨ ـ عدم توتر الاجتماع بالمظاهرات والاضرابات .

٩ ـ اختفاء الامية والمرض والجهل والجريمة ، وذلك لان الاجتماع بكله يركض لاصلاح نفسه ، ووصولها الى أقل قدر ممكن .

وبذلك يظهر ، ان تحويل كل الامور من أيدى الناس الى أيدي الدولة ، كما يفعله الماركسيون ، أو تحويل بعض الامور الى يد الدولة ، كما يفعله الرأسماليون خطأ . . وعليه فاللازم على الدولة ان تكون المراقب لا المباشر، نعم اذا بقي فراغ سدته الدولة ، وبذلك تريح وتستريح .

لا . . لتكثير الدوائر

فما اتخذتها الدول الحديثة من تكثير الدوائر ، والتدخل في كل الشؤون سببت مشكلات جمة منها :

١ ـ تعقد الامور .

٢ ـ تجميد الطاقات لما تقدم من ان من طبيعة الموظف الجمود .

٣ ـ الاضرار بالاقتصاد .

٤ ـ خنق الحريات والكفاءات .

٥ ـ الروتين القاتل للطاقات .

أما تعقد الامور ، فلان كثيراً من الاشياء احتاجت الى تقرير الدولة لها ، بينما لم تكن في السابق كذلك ، مثلا : السفر بالطائرة والقطار أوما أشبه احتاج الى اجازة الدولة ، بينما السفر بالدواب لم يكن كذلك . . والبناء احتاج الى اجازة الدولة ، بينما لم يكن في السابق كذلك .

وأما تجمد الطاقات ، فلان هؤلاء الموظفين كان عليهم ان يسعوا في تكثير الانتاج أو الثقافة ، أو العلاج ـ بأن يكونوا أطباء ـ وهكذا ، والان هم

جمدوا في ادارة وظائف الدولة ، وأمامي تقرير يقول : ان موظفي امريكا في عام (١٩٥٠) م [1] كانوا (١/١) مليون ، بينما ارتفعوا في عام (١٩٥٥) م الى (٧/٤) . . . . انه لاشك ان بعضهم زادوا لزيادة الجمعيــة ، أو لاجل تقدم الصناعة ، أما الكثرة من الزائد فليسوا الا لاجل الصلف والغرور .

وأما الاضرار بالاقتصاد ،فلان المنتج صار مستهلكاً ،حيث ان الموظف منتج بطبعه ، أما اذا صار موظفاً فقد تحول الى مستهلك .

وأما خنق الحريات وتجميد الكفاءات ، فلان الوقت الذي يصرفه الشعب في تحصيل الاجازة للسفر والاقامة والبناء والعمل والزراعة والصناعة والتجارة وغيرهـا ـ بينما يلزم ان تكون كلها حرة ، كسائر الاعمال الحـرة ـ خنق لحريته ، بالاضافة الى كونه ضرراً باقتصاديات البلاد ، حيث ان هذه الاوقات يجب ان تصرف في الانتاج، بالاضافة الى ان الذهاب الى الدوائر ومصارف الدائرة ، والرجوع الى البيت وما أشبه ، كلها تلتهم المال .

ثم ان الدولة لاتأذن لبعض الطالبين بأن يتاجر أو يزارع أوما اشبه ذلك لعدم توفر الشــروط القانونية ـ الموضوعة صلفا ، لابحق ـ وذلك تجميد لطاقات كثيرة في الامة ، حيث انه اذا كانت الحريات تفتقت تلك الطاقات عن مواهب كامنة ، واكتشافات انتفع بها البشر .

والروتين ـ أو كتابنا وكتابكم ـ حيث تحول هذه الدائرة المراجع الى دائرة اخرى ، وهلم جراً ، شيء يوجب السأم ، وبلادة العمل ، والتضجر من

---

(١)حيث ان التاريخ المدون فى الكتب التى نقلت منها هذه الاحصائيات ــهو تاريخ ميلادى ، ولعدم امكان تطبيق ذلك على التاريخ الهجرى ــ لعدم ذكر الاشهر غالباً ــ . لذلك تركنا التاريخ كما هو . منه (دام ظله) .

الدولة ، فبينما وضعت الدولة لتخدم الناس ، صارت تستخدم الناس ، وبينما وضعت لحل المشكلات ، صارت تزيد المشكلات ، وتعقد المشكلات ، وهكذا .

وربما يقال : ان تعقيد الامور، للوقاية، والوقاية خير من العلاج، وفيه : انه هل تمنع الدولة الناس ليلا من التجول الامن حصل على الاجازة ، أوتبيح التجول ـ كما هو الحق الطبيعي للانسان ـ واذا سرق سارق أوماأشبه عاقبته على سرقته ؟ . . ان الفرق بين أعطاء الحرية ، وعلاج الفاسد ، وعدم اعطاء الحرية خوفاً من الفساد كالمثال الذي ذكرناه .

اعتذارات زائفة

ومما تقدم ظهر ، زيف اعتذار الدول الحاضرة ، عن كثرة موظفيها :

١ ـ بكثرة الجمعية .

٢ ـ وبمعطيات الصناعة، مثلا: السيارة تحتاج الى قوانين المرور وهي بحاجة الى موظفين، وهكذا التلغراف والتلفون وغيرها .

٣ ـ وبالمظاهرات وبالاضرابات التي واكبت الحرية الحديثة بسبب الديمقراطية، حيث انها تحتاج الى العلاج، وذلك لايمكن الا بالموظفين.

٤ ـ وبأن هدم النظام بالانقلابات العسكرية وما أشبه صار كثيراً ولذا نجد الانقلابات في كثير من البلاد ، فالدولة مضطرة لحفظ الامن بواسطة أجهزة كثيرة .

٥ ـ وبكثرة الجريمة من السطو والاختطاف والقتل وماأشبه، وذلك بحاجة الى أجهزة جديدة للحيلولة دونها، بالاضافة الى تكثير أجهزة القضاء للعقاب والفصل .

٦ ـ بانهالتسهيل الحياه ، امثال : [شركات التأمين] مما لم تكن سابقاً ، و هي أيضاً بحاجة الى موظفين لضبطها وتطبيق القوانين عليها .

وجه الزيف ان كثرة الجمعية وتقدم الصناعة، وان كانا بحاجة الى موظفين الان سهولة الحياة بسبب معطيات الصناعة، قللت من الموظفين، فاذالوحظت تلك الزيادة بنسبة هذه القلـة ، صار الفارق صفراً، أودون الصفر ، حيث ان الاحتيـاج الى زيادة عشرة ، بينما الاستغناء عن اثني عشر مثـلا ، مما يلزم ان نستغني عن بعض الموظفين الذين كنا سابقاً ـ قبل الصناعة و كثرة الجمعية ـ بحاجة اليهم .

مثلا: قبل عصر السيارة، كان البلد الذي نفوسـه مائة ألف، بحاجة الى مائة كناس للبلدية، أما بعد صنـع سيارات الكنس صار البلد الذي نفوسه مأتا ألف، بحاجة الى عشرة كناسين فقط، حيث تسر ع سيارات الكنس في تنظيف المدينة، وكذا بالنسبة الى انارة المدينة، وايصال الماء اليها ونحوذلك حيث ان ماكنة الكهرباءِ والماءِ، اغنتنا عن جملة من الموظفين،وكذلك بالنسبة الى سيارات النجدة، والافراس الدورية سابقاً وهكذا .

اذاً: فلنجعل الاستغناء بالالة، مكان الاحتياج لاجل الالة، وحينذاك يظهر ان الاستغناءِ يأخذ رقعة أكبر ـ في خريطة الموظفين ـ من الاحتياج .

ب ـ والمظاهرات والاضرابات، انما هي بسبب ظلم الحكومات أمابعدم اعطاءِ الناس حقهم فى الحوائج، وأما في الاراء، بعدم اعطاءِ الحرية للاشتراك فى الانتخابات، حيث قلة يستبدون بالحكم، وهوظلم لاراء الاخرين ، سواء كان الاستبداد علنياً كحكومات الشيوعيين والانقلابيين والوراثيين ، أومغلفـاً كالغالب في الديمقراطيين.. فاللازم دفع الحيف ، لا ابقائه وتكثير الموظفين لاجل قمع طلاب العدالة .

ج ـ وأما التطلع الى هدم النظام، فذلك أما للظلم وهو الغالب ـ كما تقدم في بند [ب] وأما لحب السلطة، فذلك موجود، وان لم يكن ظلم، لكن الثانى لايوجد الا في قلة، ومن الممكن علاج أولئك القلة، بمايعالج به سائر المجرمين وذلك لايحتاج الى زيادة موظفين... ولهذا الذي ذكرناه من ان الغالب كون الانقلاب لاجل الظلم، ترى كثرة الانقلابات، أومحاولاتها في البلاد التي هي أقرب الى الظلم وأبعد عن العدالة الاجتماعية .

ولايخفى ، ان الانقلابات العسكرية التي رأيناها ـ منذ ثلاثين سنة ـ لم يكن حتى واحدة منها نابعة من ذات البلاد، بل كانت انقلابات شرقية أوغربية أومزدوجة، وكلها أتت بالاسوء مما قبل الانقلاب، حيث ان الاستعمار أحكم قبضته على البلاد أكثر فأكثر. . والانقلاب العسكري مهما برر له أصحاب الانقلاب لايوافق ديناً ولاعقلا اذ كيف يتسلط جماعة من أصحاب الدبابات على الامة بدون رضاها واستشارتها .. بينما الحكم عقلا وشرعاً يجب ان يكون مستنداً الى اختيار الامة ، [في غير الانبياء والائمة، حيث ان هناك اختيار الله تعالى وليس لانسان الخيرة اذا قضى الله امراً] .

ثم كيف تعترف الدول بالحاكم الجديد؟ أليس ذلك لان الغرب والشرق قسموا العالم، فاذا حدث انقلاب من احدهما، تحت قفاز الجيش وما أشبه اعترفوا به، لانه في فلكهم ، ونصبوه ليحمي مصالحهم، وهل يقر الشرق و الغرب بأن ينصب انسان معلماً في مدرسة ليدرس أربعين طفلا، بدون سوابق واختبارات ومأأشبه ؟ فان قالوا: نعم، اجيب: بأن قوانين التعليم ـ في كل العالم ـ لايسمح بذلك وان قالوا: لا، يقال: فكيف لايسمح ذلك لمعلم أربعين طفل؟ ويسمح ذلك لحاكم عشرات الملايين ـ أحياناً ـ ؟ أليس ذلك دليلا

على مؤامرة العالمين، ومن في فلكهما ضد شعوب العالم الثالث ؟ .

والمشكلة لم تنشأ من الخارج، وانما من داخل بلاد العالم الثالث [والتي منه العالم الاسلامي] وهي عدم الوعي ، فلماذا يسلم ملايين الناس أنفسهم لحفنة عسكريين، لايتجاوزون ـ احياناً ـ بضعة الوف ، بل أقل ؟ ولماذا لا يتسائل العالم نفسه: لماذا لايحدث انقلاب في امريكا وبريطانيا وفرنسا و؟ !! بل وحتى في اسرائيل ذات الملايين القليلة ؟! هل لان هناك لأطماع لاعدائهم؟! أولانه لا مغامرين يحبون الحكم ؟! أولوعي تلك الامم ضد مثل هذا الشيء؟ حتى اذا غامرت جماعة واستندت الى مؤامرة اعدائهم ،رفضتها شعوبهم، و قدموا الانقلابيين الى المحاكم ؟! حتى يحكم عليهم بمثل مايحكم على قطاع الطرق والسلابين ؟! .

و مشكلة الاستعمار المستغل ،ومشكلة المغامرين المتآمرين مع الاستعمار ستبقى فى العالم الثالث ، الى ان يحصل الوعي لشعوب هذا العالم ، و يكون الحكم فيه تبعاً للانتخابات الحرة ، في اطار الشروط المقبولة للحاكم [والتي منها استجماعه لشرائط الاسلام في العالم الاسلامي] وسنذكر في آخر هذه المسألة كيفية اعادة الحكم الاسلامي الى بلاد الاسلام باذن الله تعالى .

د ـ وأما كثرة الجريمة ، فهي تابعة لامور :

١ - عدم الايمان ـ الرادع الداخلي للانسان عن الجريمة ـ .

٢ - الحرمان ، مثل الفقر الموجب للمرض والجهل وعدم الازدواج وما أشبه .

٣ - المغريات الموجبة لسهولة ارتكاب الجريمة .

٤ - تمكن الانفلات من العقاب ، لما في المحاكم من الالتواءات و

المنعطفات ... والجريمة ستبقى ، بل تزداد ، مادامت هذه العوامل باقية ، سواء كثر الموظفون أم لا ؟ فالمهم اصلاح الجذور ، لا قطع الفروع ، فهو كمستنقع يعطي الامراض والجراثيم ، فليس الحل تكثير الاطباء ، وتوفير الادوية ، وانما الحل علاج المستنقع .

هـ ـ ويبقى أخيراً ، أمثال [التأمين] و [البنوك] وما أشبه ، مما حدثت في العصر الحاضر ... وفيه : انه لماذا الحكومات تستولي على مثل هذه الشئون حتى تحتاج الى كثرة الموظفين ؟ ألم يكن من الافضل ان تكون هي بأيدي الناس ، مع رقابة الدولة حتى لايجحفوا ، كما ذكرناه في السابق ؟

طريق الخلاص

و على هذا ، فاللازم على الشعوب الواعية ان تضع البرامج الصحيحة لاجل انقاذ أنفسها عن هذا الاختلال في ميزان الحكومات ، بأن يقلل من الموظفين حتى يصلوا الى الحد اللازم ، وينقلوا البقية الى القطاعات العامة ويجعل هذا التعديل تدريجاً في مدة مناسبة ، لئلا يختل التوازن .

فتشكل لجان خاصة في كل وزارة وزارة،لاجل ملاحظة الفائض من الموظفين ، وملاحظة الحريات المهدورة للناس ، فتعطي للناس الحريات ، وبقدره يسحب الموظف المرتبط بتلك الحرية المهدورة ، مع جعل ذلك الموظف في شأن يناسبه لئلا يبقى عاطلا . . مثلا : بيع المطارات للناس ، مع اشتراط عدم اجحاف المشترين على الناس الذين يريدون السفر وجعل مراقب في الدولة لذلك ، وموظفو المطارات ان شائوا ، وشاء المشترون بقوا على أعمالهم ، لكن العمل حينئذ للناس ، والا وجدوا لهم عملا مناسباً ، ولو

مستقلا لتربية الدواجن ، واذا لم يكن للموظف رأس مال لذلك ، أعطته الحكومة قرضاً لمدة معقولة حتى يسدده أقساطاً في تلك المدة .. وهكذا .

ويجب أن لايخدع الانسان بأن زيادة الدوائر ، وزيادة الموظفين تحول الدولة من الدولة السياسية الى الدولة الانتاجية ، وهي تحول ضروري ، اذا أردنا دفع الامية ، وايصال العلاج الى كل الشعب ، وتحسين معيشة الفقراء و . . اذ هذا الكلام صرف خيال لا واقع له ، فان زيادة الموظفين والدوائر قد عرفت مفاسدها ، وتسمية الدولة [بالانتاجية] لا تغير من الواقع شيئاً .

نعم ، الدولة في حالة الحرب ، تحتاج الى [تحديد معتدل] من حريات الناس ، لاجل ادارة الحرب ، كما انها كذلك في حالة الطوارىء، كالامراض والزلازل ونحوهما ـ والضرورات تقدر بقدرها ـ كما انها في حالة السلم ، بحاجة الى وزارة الحرب ، بقدر ما يحفظ السلام ، واستعداداً لحرب ممكنة ، ولكن هذا ـ أيضاً ـ غير تكثير الدوائر والموظفين بصورة مطلقة ، مما استدل به أنصار زيادة الدوائر والموظفين .

والحاصل : ان هذا الدليل [الثاني] والدليل الاول [الحكومة الانتاجية] أخص من المدعى .

وعلى ما ذكرناه ، فاللازم أن يجعل الاصل [الحرية] للشعب ، ثم يجعل تقليل هذه الحرية بقدر الضرورة ، لا أن يجعل الاصل [الحكومة الانتاجية] وتمنح بقية الحريات للناس .

واللازم على الشعوب التى تتمتع ببعض الحريات :

١ ـ استرداد بقية حرياتها عن دولها ـ وفي المثل الحق يؤخذ ، ولايعطى

وقد قال علي عليه السلام : لاتكن عبد غيرك ، وقد جعلك الله حراً ـ .[١]

٢ ـ الاهتمام لاسقاط الديكتاتورية في سائر الحكومات ، لتقوم مقامها الحكومات الاستشارية ، كما أسقطت الشعوب المانيا النازية ، وايطاليا الفاشية وروسيا الستالينية و :

أ ـ سواء كانت الدولة ديكتاتورية بحتة كروسيا .

ب ـ أو دكتاتورية نصفية، وهي التي فيها انتخابات ، ولكن رئيس الدولة يبقى رئيساً ـ بأي اسم كان ـ ويعين من بعده خليفته ، ولو كان ذلك تحت أغطية براقة .

ج ـ أو ديكتاتورية مغلفة بالجماعات الضاغطة ، والدعاية العريضة ، وتدخل رأس المال ونحوها مما تحرف ارادة الناس في الانتخابات بايجاد الاجواء المكذوبة ولو تبدلت الحكومة من أعلى رئيس فيها ، كامريكا .

كيفية انقاذ المسلمين

وأخيراً ، فان كيفية نجاة المسلمين بايجاد حكومة واحدة لهم ، تكون بالاختيار الحر لرئيسها المرضي لله ، وبكون الاحكام اسلامية بحته ، ليعيش المسلمون تحت ظلها في أمن ورفاه وسيادة وتقدم ، هي :

١ ـ بالتنظيم الاسلامي العالمي ، سواء في بلاد الاسلام أو غيرها ، ولعل ما يحتاج اليه من التنظيم ، في اقامة مثل هذه الحكومة ، هو عشرون مليون منظم ، يدخل فيه مختلف الاحزاب والتنظيمات الاسلامية الحالية ، كأجنحة عاملة لاجل ذلك الهدف السامي المتفق عليه .

---

(١) نهج البلاغة /صالح/ ص ٤٠١ .

٢ ـ بالتوعية الاسلامية العالمية، توعية سياسية اقتصادية اجتماعية[ايجاباً] وضد الاستعمارية والتجزيئية [سلباً] .

٣ ـ بالسلم في الحركة ، حتى يمكن أخذ الزمام ، قال سبحانه : «ادخلوا في السلم كافة »(١) .

وقال تعالى : «كفوا أيديكم * واقيموا الصلاة . .»(٢) .

٤ ـ بالجماهيرية ، بأن لا يصبح التنظيم صنماً ، والا كان ذلك يساق سقوطه .

٥ ـ بالاستغناء عن البضائع والافكار الشرقية والغربية . . كل ذلك وان طالت المدة ، والله الموفق المستعان .

كيفية التوعية والتنظيم

ثم ان كيفية الشروع في التوعية والتنظيم أن تشكل نواة مركزية مهمتها الامران المذكوران ، فتبعث الى العالم ما لايقل من ألف عضو لينظم كل في محله تنظيماً لاجل الحكومة الاسلامية الواحدة ، بعد تربية النواة لاولئك الاعضاء تربية خلقية وعملية، فيشرع كل فرد في انماء نفسه بضم أعضاءٍ آخرين اليه . . .

أما التوعية فهي بفتح ما لايقل من مائة مجلة، ومائة مكتبة ، لكل مكتبة ما لا يقل من مأة ممثلين ، يكوّن جميعهم عشرة آلاف مركز لبيع الكتب المعنية بهذا الامر، واللازم أن تتواجدفي كل مكتبة ـ من الاصول والممثليات ـ

---

(١) سورة البقرة اية ٢٠٨ .

(٢) سورة النساء آية ٧٧ .

كتب الاقتصاد والسياسة والاجتماع ، والكتب ضدالتخلف والاستعمار .

وبذلك ينمو الوعي تدريجاً . . والى جانب كل ذلك ، تكون من مهمة الاعضاء ، استدراج الاحزاب والمنظمات والجمعيات والصحف والمكتبات وسائر وسائل الاعلام ، والمفكرين الى هذه الفكرة ، حتى يجمع الكل في شلال واحد . .

وانما شرطنا [السلم] فيالحركة ، لان العالم المدجج بالسلاح لايمكن للتنظيم المذكور أن يقابله بالسلاح ، اذ عدم وجود السلاح في الطرفينبنسبة متعادلة ، يوجب سقوط ذلك التنظيم .

كما ان اشتراط [الجماهيرية] لاجل أن لايصبح التنظيم صنماً يوالي و يعادي فيسبيل التنظيم ممايفقده الجماهيرية ، وكلحركة لاتسندهاالجماهير خليقة بأن لاتكون الاجمعية خيرية كبيرة ، ولقد كان من أسباب سقوط غالب الحركات الاسلامية ـ أي عدم وصولها الى الحكم مع انها تعمل زهاء نصف قرن أو أكثر ـ الصنمية ، مما أخاف الجماهير من وصولهم الى الحكم فحالوا بينهم وبينه بمختلف الوسائل .

وانا نرى ان حركة الانبياء عليهم السلام كانت تتسم بالسلم والجماهيرية، حيث انهم كانوا يسالمون حتى وهم في أوج قدرتهم ،كما فعله الرسول صلى الله عليه وآله عند فتح مكة وغيره ـ الا لدى قصوى حالات الاضطرار ـ وكذلك فعله علي عليه السلام بعد ان ظفر بأصحاب الجمل والنهروان . .كما ان الانبياء كانوا يقبلون حتى الاراذل ـ في اصطلاح الكفار والمنافقين ـ .

أولا : لاستدراجهم الى الطريق السوى .

وثانياً : لاكتساب الجماهيرية ، فهل الافضل أن يعاديك انسان ظاهراً

وباطناً ، أو باطناًفقط ، أما قوله سبحانه : « هم العدو »[١] و « في الدرك الاسفل»[٢] فالمراد الكشف من الحقائق ، وان لا يخدع الانسان بظاهر المنافق ، لا أن يطرده .

التنظيم الاسلامي وعوامل الاستقطاب

واللازم على التنظيم الاسلامي أن يكون مغرياً، يأتي علماً وعملا بمايسبق العالم ، والا فالناس لايتركون ما هم فيه من الرفاه الى الاسوء ـ بنظرهم ـ وكذلك فعله الرسول ﷺ أعطى العلم، والالفة ، والرفاه ، والسيادة، والحرية لعالم كان غارقاً في الجهل والانشقاق وصعوبة العيش ، واستعباد طبقة قليلة لجماهير الناس، ولذا أقبلوا اليه ﷺ في وقت قصير .

ولذا فاللازم أن يعطى التنظيم الاسلامي في العصر الحاضر، ما يفقده العالم المتحضر، من حرية الانسان ، وكون عمل كل انسان لنفسه ، والاخوة لكافة بني الانسان .

فان من طبيعة الناس أن لا ينضووا تحت لواء المتعجرفين الذين يجعلون آرائهم فوق آراء الاخرين ، والذين يصعبون الحياة على الناس ، ولذا قال سبحانه : « يريد الله بكم اليسر »[٣] وقال تعالى : « وشاورهم في الامر »[٤] وقال عز شأنه : « فبما رحمة من الله لنت لهم * ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا

---

(١) سورة المنافقون آية ٤ .

(٢) سورة النساء آية ١٤٥ .

(٣) سورة البقرة آية ١٨٥ .

(٤) سورة آل عمران آية ١٥٩ .

من حولك »[(١)].

وفي دعاء الامام السجاد عليه السلام: (اللهم سددني لان اعارض من غشني بالنصح واجزي من هجرني بالبر ، واثيب من حرمني بالبذل واكافي من قطعني بالصلة واخالف من اغتابني الى حسن الذكر ، وان أشكر الحسنة ، وأغضى عن السيئة)[(٢)].

واللازم أن يكون هذا المنهج ، هو منهج التنظيم: كتابة ، وقولا ، وعملا ، اذ لايكفى أن يقول الانسان للناس ، كونوا كذا ، أو ان يكتب في كتبه حسن منهجه ثم يكون عمله خلاف ذلك ، فان الانسان يقاس قوله بعمله ، ولذا ورد في الحديث :(كونوا دعاة الناس بغير ألسنتكم)[(٣)].

وقال علي عليه السلام: (لعن الله الامرين بالمعروف التاركين له ، الناهين عن المنكر العاملين به)[(٤)] وقبل ذلك قال القرآن الحكيم : « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لاتفعلون ؟ كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لاتفعلون »[(٥)].

كيف يتم تأمين البعد المالي ؟

يبقى السؤال ، في انه من أين هذا القدر الكبير من المال ، لادارة ولو مقدمة التنظيم والوعي أي ألف شخص ، ومأة مجلة ، وعشرة آلاف ممثلية والارتباط بالاعلام والمفكرين ؟

والجواب : ان الامر تدريجي تصاعدي ، والمال في البلاد الاسلامية

---

(١) سورة آل عمران آية ١٥٩ .

(٢) الصحيفة السجادية دعاء مكارم الأخلاق ص ١٢٥ .

(٣) بحار الأنوار ج/٦٧ ص ٣٠٣ .

(٤) نهج البلاغة /صالح/ ص ١٨٨ .

(٥) سورة الصف آية ٢ .

كثير جداً ، فاللازم على النواة العاملة أن تجد الى المال سبيلا ، ولو بقدر متوسط من المال ، تنميهافي التجارة ونحوها ، حتى يكون المال دورياً، فمثلا تحصل على مليون دينار، وتستثمر بما يعطى الربع كل عام ، وبقدر الربع المذكور تتقدم الى الامور المذكورة ، وهكذا .

ثم الله سبحانه وتعالى ـ وهو أقوى الناصرين ـ من وراء العاملين المخلصين قال تعالى : « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً * ويرزقه من حيث لايحتسب * ومن يتوكل على الله فهو حسبه * ان الله بالغ امره * قدجعل الله لكل شيء قدراً»(١) وقال سبحانه : « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم »(٢) وقال تعالى : «ان ينصركم الله فلاغالب لكم »(٣) .

التحرير . . يجب أن يكون شمولياً

وربمايقال: لايمكن تحرير بلد واحد فهل يمكن تحرير كل بلاد الاسلام مرة واحدة ؟ وفيه : ان المشكلة انمانشأت من ارادة تحرير بلد واحد ، فهل يمكن أن يقوم بلد واحد على قدمه ، ويستمر استقلاله ، في وسط بحرمن المناوئين من مستعمري الشرق والغرب وعملائهم في البلاد الاسلامية ، والكل يعلم ان البلاد الاروبية وامريكا تحتوى على أكثرمن تسعمأة مليون متحالف وروسيا تحتوى على أكثر من ربع مليار ، وهكذا .

وربما يظن بأنه يمكن تحرير بلد بلد ، تنظيراً لعمل الرسول ﷺ حيث

---

(١) سورة الطلاق آية ٢

(٢) سورة محمد آية ٧ .

(٣) سورة آل عمران آية ١٦٠ .

حرر بلداً بلداً ، وفيه : انه تنظير مع فارق ، فان الرسول ﷺ عمل في عالم متفكك والآن ارتبط العالم بعضه ببعض ، فاذا لم يتحرك العالم الاسلامي بكله لم يتمكن أن يقف على قدمه .

نقاط . . في كيفية العمل

واللازم لاجل استقامة الأمر امور :

١ ـ ان تجعل النواة ـ البادئة بالعمل ـ نفسها ميزاناً للحكم ، لاان تتهيأ لتسلّم الحكم ، حيث ان العاملين المخلصين اذا مارسوا الحكم ، لم يتمكنوا من تقويم الحكم ، وبذلك يفوتهم الهدف الذي هو تطبيق حكم الاسلام كاملا غير منقوص .

٢ ـ ان يصب الحكم، بحيث توزع القدرة ، ولايبقى مجال للديكتاتورية فان من طبيعة القدرة ان تطغى [الافي المعصوم] وقد قال علي عليه السلام : (من ملك استأثر)[1] وان لم يفعل ذلك ينتهى الحكم ، الى مثل حكومة الامويين والعباسيين والحكم الدينى المنحرف ابشع من الحكم الدنيوي المنحرف ـ كما رأيناه في الحكومتين ، وحكومة محاكم التفتيش ، وغيرها ـ فاللازم ان يكون لكل فئة مجلة وجريدة ، واذاعة وتلفزيون ، وكلمة مسموعة [كل ذلك في نطاق الاستشارة] الى آخره .

٣ ـ ان يكتب برنامج الحكم ، في سياسته وادارته واقتصاده واجتماعه وعقوباته وحرياته ومعاملاته، وحكم الاقليات الدينية وغيرها، وينشر على الجميع حتى يكون الحكم واضح المعالم ، يختاره كل من يراه ، لانه يراه افضل من

---

(١) تحف العقول ص ١٥ .

برامج سائر الاحكام السائدة فى العالم الحاضر .

الحكومة الاسلامية الواحدة والمؤامرات الاستعمارية

وبعد كل ذلك، فهل يمكن قيام حكومة واحدة اسلامية ؟ وهل تترك الحكومات المحلية والحكومات الاستعمارية ـ خصوصاً والوفاق حاصل بينهما ـ ان تقوم مثل هذه الحكومة ؟

الجواب : نعم ذلك ممكن بل واقع ، اذا أخذ بهذه المقدمات المذكورة اما الحكومات المحلية ، فانها تذاب في بحر تلك الحكومة الواحدة ، قرب قيامها، فان الحكومة ليست الا مؤسسة كبيرة، فاذا واجهت مؤسسة اكبر، انهزمت من الميدان ، شأن ذلك شأن كل حكومة اخذت مكان الحكومة السابقة فى العصر القديم أو الجديد .

واما الحكومات الكبرى فلا تتمكن من تسديد ضربة قاضية للحركة المذكورة لا بنفسها ولا بعملائها .

أ ـ اما انها بالمباشرة لاتقدر ، فـ :

١ - خوفها من تصادم القوتين الكبيريين ، أي امريكا وروسيا .

٢ - ان الحركة لما القت السلاح من نفسها ، القت السلاح من يداعدائها والمناوشات الجزئية بالسجن ونحوه ، فضلا عن انها لاتزيل الحركة ، فانها لاتوقف الحركة أيضاً .

٣ - ان الحركة منتشرة ، لاميدان خاص لمحاربتها، ولو حوربت في جبهة خاصة لم يضرها ذلك ، حيث الجبهات الاخر مفتوحة تعمل . وتمد الجبهة التى تحارب فيها ...

ب ـ واما انهــا بوكلائها ـ الحكومات العميلة في المناطق الاسلاميــة المرتبطة بالغرب والشرق ـ لاتقدر على مواجهة الحركة .

أولا : لما تقدم من انها تغرق في بحر الحركة الواسعة ، فلاتتمكن من ان تنجي نفسها فكيف تتمكن من ان تحمى اسيادها .

وثانياً : لان الحركة واسعة لايضرها قيام حكومة صغيرة ضدهــا ، حيث تشتغل وتنمو سائر اجزاء الحركة ، وتمد الجهة المحاربة بالدعاية وغيرها .

اما الوفاق بين الحكومتين الشرقية والغربية ، فلايضر .

أولا : لانه مائع الى أبعد حد حيث انه ليس عـن هدف مشترك ، بل حصيلة الرعب النووى والاصطدام .

وثانياً : فالاقطاب صاروا أربعة، باضافة دول اروبا، والصين، وفي وجود الاقطاب الاربعة يمكن العمل أحسن ممايمكن في وجود قطبين، فان توزيع القدرة يجعل كل قدرة عاجزة عن العمل بمقدار خوفها عن القدرة الاخرى .

ولذا نرى ان الحكومة ذات الاحزاب ، لاتقدر من التعدي على الشعب ، بقدر ماتقدره الحكومة ذات الحزب الواحد، اذ الاولى تخاف من المنافس بينما الثانية ليست كذلك، ولاجل ماذكرناه ، اشتهر في الاونة الاخيرة [قوة العجز] و[عجز القوة] فالعزلة عن السلاح قوة هائلة ، في حال انها عاجزة عن قوة السلاح، والقوة المتعددة الرؤس عاجزة عن العمل لخوف كل رأس عن الرأس الاخر .

ركائز البناء الحركى

ثم من أهم الامور في النواة المركزية للحركة ، ان تبنى نفسها وأفرادها على :

١ - انيصمدوا امام الصعوبات والاغراءات ،فان اولشيء يهدم الحركات الاستجابة للاغراءات أوللمصاعب،فاذا ربيت الحركة على الصمود والاستقامة كان البقاء والنمومن نصيبها ، والانسان الصامد المستقيم، يجلب انظار الناس ويوجب التفاف الناس حوله ، ممايسبب ربح الحركة بذلك ربحاً كبيراً .

٢ ـ ان يشعر الكل بأنهم يتمكنون ان يعيشوا تحت ظل الحركة ، لافي أمن وسلام فحسب ، بلان الحركة توجب نموهموتوسيع آفاقهم، ولذا فاللازم على الحركة ان تجدالمخلص ـ عن تناقضات الاجتماع ، بالحزم والمداراة [فما وضع الرفق على شيء الازانه ، وما وضع الخرق على شيء الاشانه] .

٣ ـ انتبنىابنية متوازية، بينالسياسة والاقتصاد والاجتماع، وضدالتخلف والاستعمار و . . فان أية حركة [أوحكومة] لم تقدر على البناءِ المتوازى ، كان مثلها مثل الطائرة أوالسيارة التي لاموازاة بين اجنحتها وعجلاتها ، فانها آئلة الى السقوط والعطب ، والله سبحانه المستعان

المحتويات

الموضوع ــــــــــــــــــــــــــــــــ الصفحة